الصحافة العراقية

واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية

من (١٨٦٩م - ١٩٢١م)

تأليف

منير بكر التكريتي

ساعدت جامعة بغداد في نشر هـذا الكتاب

مطبعة الارشاد - بغداد

١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

« الاهـداء »

الى التي صدحت في وجداني :

« لتكن لك براءة الاطفال ورجولة الرجال »

الى أمي ..

التقديم

بقلم الدكتور عبداللطيف حمزة
رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة

هذا الكتاب رسالة تقدم بها الاستاذ منير التكريتي للحصول على درجة الماجستير بكلية الآداب من جامعة القاهرة • وقد أثنى عليه الاساتذة الذين تألفت منهم لجنة المناقشة • أما أنا فقد أسعدني وأعجبني من المؤلف أن يكون من دعاة المذهب الجديد ، وهو المذهب القائل بما للصحافة من تأثير بعيد في الادب حيثما وجد • وقد راح التكريتي يطبق هذا المذهب على الادب العراقي والصحافة العراقية في دورها الاول ـ وهو الدور الذي يمثل بداوة الصحافة العربية في قطر من أقطارها هو العراق ـ في ذلك الدور كان لابد للاديب العراقي من أن يظهر للناس بصورة جديدة غير الصورة التي كان عليها قبل نشوء الصحافة • وبعبارة وجيزة نستطيع أن نقول أن الصحافة العراقية خدمت الادب العراقي واللغة العربية خدمة كبيرة • وشاركت كذلك في تثقيف الجمهور العراقي بمختلف الالوان الثقافية • ونقلت بذلك العراقيين من طور الظلام والجهالة التي كانوا عليها في العصر العثماني الى طور العلم ، ويكفي لتصوير هذا الجهل ، وعدم عناية الحكم العثماني بتعليم الشعب العراقي هذه العبارة التي قالها « جون فانيس » وقد زار العراق سنة ١٩٠٣ وأدرك أن العراقيين بحاجة ماسة الى مدارس حديثة يجري التعليم فيها باللغة العربية بدلا من اللغة التركية • ولما فاتح الوالي العثماني بقصده هذا أجابه الوالي متهكما : « ما أنت واضاعة وقتك في تعليم الحمير »(١) • ولقد بقي الحال على ذلك حتى اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ واذ ذاك بدأ طور التجديد بعد طور الجمود وسايرت الصحافة

---

(١) علي الوردي ، طبيعة المجتمع العراقي ص١٣٧

العراقية هذا التطور • وهكذا استطاع الباحث الفاضل أن يبين لنا ما للصحافة من فضل على الادب العراقي بفنونه المختلفة : القصيدة ، والقصة، والمقال في اتجاهاته الثلاثة : الادبي ، والاجتماعي ، والسياسى • واذا آذن لي صديقي الاستاذ منير التكريتي فانني أقول له انني أخالفه في نقطة واحدة فقط وهي انكاره ما للصحافة من تأثير على القصيدة الشعرية في كل اتجاهاتها وعندي أن الشعراء العراقيين كانوا ينظمون أشعارهم في نفس الاتجاهات التي كان الكتاب يكتبون فيها مقالاتهم • وهذا فضلا عن التغير الواضح في الالفاظ والاساليب الشعرية بتأثير الصحافة • فقد كانت هذه الالفاظ والاساليب مخالفة كل المخالفة لالفاظ الشعراء القدماء وأساليبهم •

والخلاف بين الباحثين أمر من الامور الطبيعية في مجال العلم • وهو بركة على العلم نفسه وبركة على طلابه أيضا •

أنظر الى الاستاذ منير التكريتي يقول في كلامه عن الشعر العراقي في فترة البحث : « والمهم هنا أن نقول أن القصيدة كانت تنافس المقال الصحفي في تأدية الاغراض السياسية والاجتماعية ، بل كانت في كثير من الاحيان مقدمة على المقال نفسه • ولذلك لم يكن عجيبا في تلك الفترة أن نجد الشعراء يؤلفون الصف الاول من الصحفيين ، وأن غير الكتاب يؤلفون الصفوف التي تلي ذلك • وهنا نلاحظ الفرق الكبير بين الصحافة العراقية على هذا النحو ، والصحافة المصرية التي أثبت فيها (الدكتور عبداللطيف حمزة) أن المقال كان مقدما على القصيدة، وأن الكتاب كانوا يؤلفون الصفوف الاولى من الصحفيين وأن الشعراء هم الذين يأتون بعد ذلك » • لقد خالفني الباحث الفاضل في هذه النقطة •• ولكني أشعر الى الآ بأن الامر في العراق كالامر في مصر سواء بسواء : ينشر الكتاب أولا ما ينشرونه من المقالات في الميدان السياسى أو الاجتماعي أو الثقافي ، ثم نجد الشعراء يتبعون الكتاب في ذلك ويأخذون عنهم بعض معانيهم كذلك حتى ليخيل الى

القارىء أن القصيدة الشعرية في ذلك الوقت ليست الا مقالة مقفاة ! هكذا كان شاعر كالزهاوي في دعوته الى تحرير المرأة . كان يتأثر في ذلك بالكتاب المصريين الذين تولوا نشر هذه الدعوة في جريدة « المؤيد » للسيد (علي يوسف) . وكان الزهاوي يشترك أحيانا في تحرير هذه الصحيفة ويكتب فيها مقالات في نفس المعنى . وحين ترك الزهاوي مصر الى العراق وجدناه ينظم في هذا الغرض بعض قصائده . فثار عليه العراقيون ثورة عنيفة في أول الامر ثم هدأت ثورتهم بعد ذلك ، وانبرى شعراء آخرون يدعون الى نفس هذه الدعوة .

وبعد : فأنا اذ أقدم هذا الكتاب للقراء أهنىء به المؤلف أصدق التهنئة وأتمنى له المضي في طريق البحث حتى يقدم لقراء العربية كتبا من هذا الطراز وذلك من حيث الاصالة ومن حيث الدقة ومن حيث الامانة العلمية والضمير الحر الذي ظهر بجلاء في هذا البحث . وفقه الله الى كل ذلك انه سميع مجيب .

المقدمة

ستكون مقدمة كتابي هذا حديثا أعرض فيه بايجاز العوامل التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع « الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقفية من عام ١٨٦٩م الى عام ١٩٢١م » وهذه العوامل كثيرة منها :

١ ـ وددت أن أقدم الى أبناء العروبة بحثا يعرفهم بصحافه جزء من وطنهم الكبير وهو العراق ، وليقفوا على الجهاد الصحفي الذي وقفته الصحافة العراقية في فترة البحث ، اذ تعتبر الصحافة المصدر التاريخي الهام لدراسة أحوال العراق ، فهي نتاج أفكار أبنائه ، وتعقيب لنضالهم ، وسجل لضحاياهم •

٢ ـ تبيان المراحل التي مرت بها صحافتنا العراقية في أدوارها المختلفة ضمن واقعها السياسى والفكري •

٣ ـ توضيح مقدار ما أدته الصحافة العراقية الى الادب واللغة من خدمات من حيث تطورهما ونقلهما من طور التقليد الى التجديد ، ومن طور الاتباع الى طور الابداع ، ثم السير بالشعب نحو ايقاظ الحس القومي ، والمطالبة بالحرية والاستقلال •

٤ ـ وأخيرا رغبت في أن أعطي فكرة بسيطة عما لاقاه الصحفيون العراقيون في كل دور من ظلم واضطهاد ومن حرية وأمان ، لكي يقف أبناء العروبة على الجهاد الذي أداه أولئك المجاهدون في مجال الخدمة العامة •

وعلى الرغم مما يحيط هذا الموضوع من متاعب كثيرة فهو موضوع

عزت فيه المصادر والمظان ، وقد لمس « الدكتور عبداللطيف حمزة ، رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة » هذا النقص مما حدا به أن يوجه خطابا الى وزير الدولة العراقي على صفحات جريدة « العرب البغدادية »[1] شاكيا له قلة المصادر المكتوبة في تاريخ الصحافة العراقية . وهذه المصادر لا تتعدى الى الان كتابا صغيرا للاستاذ « رفائيل بطي » ثم كتابا للاستاذ « عبدالرزاق الحسني » وهو معجم عام للصحافة التي صدرت في العراق منذ نشأتها الى عام ١٩٣٣ ، وهذا كله بالاضافة الى المعجم الذي وضعه «فيليب دي طرازي» في تاريخ الصحافة العربية بوجه عام .

أقول على الرغم من هذه الصعوبات فانها تهون لدى الباحث الذي يروم نفع أمته بتقديم ما غاب عن الاذهان بمعلومات مبسيطة تكون الباعث والحافز لمن يريد الخوض في هذا الباب .

وقد قسمت البحث الى سبعة فصول على النحو الآتي :

١ ـ في الفصل الاول : تناولت بالبحث الحالة السياسية ، والاجتماعية والثقافية خلال فترة البحث ، لعلاقة هذه النواحي بالاتجاهات الصحفية .

٢ ـ وفي الفصل الثاني : تكلمت عن نشأة الصحافة وأثر الطباعة في تطورها .

٣ ـ وفي الفصل الثالث : تكلمت عن أهم الصحف التي ظهرت واتجاهاتها في مختلف المجالات .

٤ ـ وفي الفصل الرابع : تناولت بالبحث أهم المجلات التي كان لها الاثر الفعال في اتجاهات الرأي العام العراقي .

---

(١) جريدة العرب البغدادية الصادرة في ١٩٦٥/١٢/٢٩م

٥ - وفي الفصل الخامس : تكلمت عن أهم كتاب الصحافة الذين أدوا خدمة لوطنهم في مختلف المجالات .

٦ - وفي الفصل السادس : بينت الصلة الوثيقة بين الادب والصحافة ، وفيه تناولت بالبحث القصيدة الشعرية والصحافة العراقية ، ثم فصلت فيه :

١ - القصيدة الشعرية في الاتجاه السياسى والوطني .

٢ - القصيدة الشعرية في الاتجاه الاجتماعي .

ثم بعد هذا تطرقت الى الصحافة العراقية وأثرها في تطور فن المقال. وقد تناولت بالبحث :

١ - المقالة في الاتجاه السياسى .

٢ - المقالة في الاتجاه الاجتماعي .

٧ - وفي الفصل السابع : تكلمت عن تطور الاساليب الصحفية في فترة البحث ، لكي تتبين الفروق بين كل طور وطور مرت به الصحافة ، وما امتاز به كل دور من حيث اللغة والمعنى .

وبعد :

فقد بذلت أقصى ما أستطيع من جهد في كتابة هذا الكتاب الذي أرجو أن أكون قد وفقت فيه الى شيء يرضي العلم والعلماء .

الحالة السياسية

١ ـ العهد العثماني :

خضع العراق مدة طويلة للحكم العثماني (١٦٣٨م ـ ١٩١٧م) ، وقد اعتاد المؤرخون أن يعطوا صورة شوهاء للادارة التركية في العراق ولا يخلو ذلك من البالغة ، « ومع ذلك فليس هناك من يعترض اذا قلنا بأن نظام الحكم كان ناقصا بصورة مؤلمة من حيث المبدأ والتطبيق »[١] • وسيطرتهم على أجزاء العراق تكاد معدومة تقريبا الا في بعض المدن الكبيرة ، ولعل اهم سبب أدى بسياستهم الى الاضطراب هو استعلاء الموظفين على من هم دونهم وكأنهم يشتغلون لمصلحتهم واسعادهم حتى ظهر بجلاء الاختلاف البين بين المبادىء والعمل ، فأصبح القانون معطلا ما دام « الولاة يشترون وظائفهم بالمال من السلاطين فكانوا يتعهدون بدفع المبلغ الفلاني قبل الذهاب الى العراق »[٢] ، فما على الوالي الا أن يحاول جهده لجمع أقصى ما يمكن جمعه من المال ليعوض عما فقده ، بل « ادخار مبالغ طائلة ليشتري بها منصبا أرقى أو رتبة يطمح لها »[٣] ، نتيجة لهذا ساءت الادارة وغدت الوظائف والمناصب تمنح لغير مستحقيها والرشوة طابعا ملازما لكثير منهم بدونها لا تنجز مهمة ولا تنتهي قضية •

يروى : ـ أن قاضي الشطرة ـ قضاء ـ انتهت مدته ورغب في اعادة تعيينه في سوق الشيوخ ـ قضاء ـ أو الحي فأبرق البرقية التالية الى قاضي بغداد يلتمس منه ترشيحه لأحد هذين المنصبين قال :

---

(١) فيليب ايرلاند ـ العراق ، دراسة في تطوره السياسي ـ ترجمة جعفر خياط ص٤٧ بيروت عام ١٩٤٩ •

(٢) أنستاس الكرملي ـ خلاصة تاريخ العراق ص٢٠٦ البصرة عام ١٩١٩ •

(٣) المصدر نفسه ص٢٠٧ •

(ان سقتم الشيخ الى السوق فممنون بخمسين ، وان أودعتم الميت الى الحي فممنون بستين)[1] .

استمرت الاوضاع تسير من سيء الى أسوأ لاتباع الولاة ، سياسة عاصمة الدولة ، توعز اليهم بما طلبت وكل من أحدث خلاف ذلك عجل بعزله . ولما قدم الوالي « مدحت باشا »١٨٦٩م قام بالاعمال الجليلة مدة ولايته الوجيزة (١٨٦٩ - ١٨٧٢) وحاول جاهدا اصلاح الجهاز الاداري والقضاء على عوامل التذمر والشكوى من الموظفين ، وكان يتحقق بنفسه من كل ذلك ، ومما يذكر أنه علم « أن متصرف كربلاء - اسماعيل باشا - كان سيء الادارة مرتشيا ، وكذا بعض الموظفين على شاكلته ، فذهب بنفسه ... وأجرى التحقيق فثبت له ما كان قد عزى الى المتصرف فعزل في الحال وأمر بأخذه للمحاكمة[2] . خشي الموظفون من هذه المراقبة لانها خير رادع لهم واطمأن الناس لهذه الاجراءات السليمة .

هذا ما كانت عليه الادارة في المدن الكبرى ، أما أجزاء العراق الاخرى فكانت الامور في فوضى لا حد لها لسيطرة النظام القبلي الذي ساعدت الدولة العثمانية على تمركزه تمشيا مع أغراضها السياسية وفقا للمبدأ القائل : « فرق تسد » فكانت تستعدي قبيلة على أخرى بأغراء شيوخها بالمال وربما استعانت ببعضها لاخماد فتنة قامت بها أخرى[3] ، الا أن « مدحت باشا » قضى على هذه الفتن ليتمكن من انجازات أخرى ينتظرها البلد . فعمد الى توطين العشائر ، وتوفير سبل الري ، وتفويض الاراضي الاميرية لهذه العشائر ، وكان يهدف من عمله هذا الى هدف سياسي حيث استطاعت حكومته جباية الضرائب ، وفرض الجندية ، وقد آتت هذه

---

(١) سليمان فيضي - في غمرة النضال ص٥٥ بغداد عام ١٩٥٢ .

(٢) راجع : جريدة الزوراء الاعداد (٢ ، ٣ ، ٤) عام ١٨٦٩

(٣) راجع : مهدي البصير - القضية العراقية - ج١ ص٧ بغداد ١٩٢٤ ، عبدالله الفياض - الثورة العراقية الكبرى - ص١٧

السياسة ثمارها في مختلف المجالات الاهلية والادارية •

ومن الطريف هنا أن نذكر رواية سليمان البستاني في كتابه الموسوم بـ « عبرة وذكرى » مضمونها :

حين قدم « مدحت باشا » بغداد واليا جمع مجلس الادارة واقترح على أعضائه أن يكتبوا الى الباب العالي استئذانا بزيادة الضرائب •• فوافقوه على اقتراحه وكتبوا المحضر وختموه بأختامهم ، وبعد أيام عاد المجلس الى الاجتماع فاذا « بمدحت باشا » يقول :

(أنه وجد الضرائب الحالية ثقيلة ••• واقترح أن يكتبوا قرارا آخر يبينون فيه للباب العالي تسرعهم في اصدار قرارهم الاول فوافقوه على اقتراحه ، وكتبوا المحضر وختموه بأختامهم وهنا أخرج « مدحت » من جيبه القرار الاول الذي تعمد عدم ارساله •• ومزق القرارين أمام الحاضرين، ثم ألقى عليهم درسا في الكرامة والوطنية والدقة في العمل ••)(١) •

وقد تعاقب على العراق بعد عزل (مـدحت باشا) عام **١٨٧٢** ولاة متعددون لم يقم اكثرهم بعمل يذكر ، فكانوا ضعـافا في الادارة تعوزهم الثقافة والمعرفة ولم تعرف سوى اسمائهم ، وصار العراق يستقبل الواحد ولم تمض مدة حتى يودعه ويحتفل بآخر غيره فكانت هذه خير ملهاة حتى صح قول العراقين في هذه الحالة ما تناقلته الالسن « قبل ما سلّم حتى ودّع » •

ولم يكن الامر مقصورا على الولاة وحدهم فقد كان السلاطين انفسهم على درجة من الضعف والخور •

ومما يروى عن السلطان محمد الخامس ـ محمد رشـاد ـ انه جاءته بعض نساء القصر تشكو حالها لاصدار القرار باعدام صهره ـ صالح

---

(١) سليمان البستاني ـ عبرة وذكرى ـ ص٦٨ـ٦٩

بك ـ وكانت تبكي : فتضرع اليهم ـ الحكام ـ فلم يقبلوا له شفاعة فبكى، وبعد الشنق تبين انه بريء[1] ، هذا ما كان عليه الولاة .

اما الحرية :

فقد انتزعت من السنة الناس ومن قاموس الحياة لانها (عدوة السلطان واعوانه ، اسمها محرم لفظه ، وممارستها جريمة لا تغتفر .. فالحريات بأنواعها المختلفة لم تكن لتباح ... كحرية الكلام والنشر والصحافة ... وان الاسماء التالية حرم اطلاقها على الاشخاص ، سلطان ، خليفة ، عبدالحميد ، فمن كان أسمه سلطان وجب عليه ان يبدل الطاء بالتاء فيدعى سلتان ، ومن كان اسمه عبدالحميد حور الى حامد أو حميّد)[2] فكان الشعب في خوف دائم من وشايات العيون التي كمت الافواه ، لا يعترض في أمر ولا يتماهل في رد طلب[3] .

اما الامن :ـ

فقد كان مفقودا نتيجة لسوء الادارة ، حتى اصبح اللصوص وقطاع الطرق يرتكبون جرائمهم نهارا وهم في مأمن من العقاب ، ما عدا بغداد والموصل فكانتا اهون شرا « اذ لم تكن الاعمال اللصوصية فيهما تتعدى السرقات الفردية في جنح الظلام »[4] .

أما البصرة : فقد كان الناس يحرسون ممتلكاتهم بانفسهم ،ويدافعون عن حياتهم بسلاحهم كأن لم تكن هناك حكومة ولم يكن هناك قانون .

---

(١) راجع : فهمي المدرس ـ مقالات ـ ص٧٣

(٢) سليمان فيضى ـ في غمرة النضال ـ ص٤٨

(٣) راجع : عباس العزاوي ـ العراق بين احتلالين ج٨ ص١٤٧ـ ١٤٨ في تفصيل المعارك التي وقعت بين الرشيد وابن سعود ، وكيف سيق العراقيون الى تلك المعارك .

(٤) سليمان فيضى ـ في غمرة النضال ـ ص٤٩ ، وراجع : ص٥١ في قضية نهب الصيرفيين والحوادث الاخرى .

الواقع ان الاوضاع عامة ساءت الى درجة لم يطق معها الصبر واستمرت الى ايام اعلان ـ المشروطية ـ في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨ حيث استبشر الشعب بهذا الحدث مؤملا ان ينال حقوقه المهضومة وتستقر اوضاعه ، وقد اندفع معظم المثقفين العراقيين في مناصرة هذه الحركة ،فكانت نتيجة اعلان الدستور انتخاب « مبعوثان » أي ـ نوابا ـ من العراق ،لكنهم جاؤا بطريق التعيين لا بالانتخاب وكان نصيب العراق سبعة عشر نائبا .

وقد افتتح المجلس في السابع عشر من كانون اول عام ١٩٠٨م ،وقد مالأ هؤلاء النواب الدولة العثمانية ، وارتموا في احضانها ، ومالوا الى الوظائف لينالوا رواتب اكثر غير آبهين بشعب ولا بمسؤوليتهم ولقد صدق فيهم قول الشاعر العراقي ـ معروف الرصافي :ـ

يا اهل بغداد متى ينجلي
هذا العمى عنكم وهذا الفتور
قد اعلن الدستور لكنكم
لم تظفروا منه ولا بالقشور
يقول من شاهد مبعوثكم
سبحان من يبعث من في القبور [١]

الا ان الحزب الحاكم « الاتحاد والترقي » الذي كان في رأس منهاجه تتريك العناصر غير التركية ، وحقده على كل ما هو عربي ، ابعد من عضوية « مجلس المبعوثان » ومجلس الشيوخ كل من كان معتزا بقيمه العربية ، وقرب كل عربي نزع عنه اخلاقه التي الفها ومال الى اخلاقهم . اما (اذا لمسوا من أحد النواب عنادا في الرأي واصرارا على المعارضة ، ارسلوا من يحمل اليه التهديد في ثوب النصيحة)[٢] فكشف للناس

(١) العراق بين احتلالين ج٨ ص١٦٠
(٢) في غمرة النضال ص١٥٤ـ١٥٥

غرضه وابان قصده ، وما أضمره من غدر للعرب فقد اراد بلغتهم موتا اذ جعل اللغة التركية لغة رسمية في المحاكم ، ولغة علمية وادبية في المدارس، واراد بهم هوانا اذ أبعدهم عن الوظائف وقلدوها الاتراك او لمواليهم من العرب ممن تظاهروا بالتترك اكثر من الاتراك انفسهم .

وقد بلغوا بحركتهم العنصرية امعانا في التشهير والطعن تجلت فيها الشعوبية بأبشع مظاهرها من ذلك ما نشرته صحيفتهم « اقدام التركية» :ـ « ان العرب يبيعون كل شيء بالمال حتى العرض ... » .

يقول صاحب كتاب الثور ةالعراقية : « استخدم الاتحاديون ، فضلا عن الصحافة والمنظمات السياسية ، الدين لتحقيق اغراضهم فشجعوا بعض خطباء الجوامع على النيل من الدين والخلفاء الراشـــدين وآل الرسول ، وقد جمعت الحكومة اقوال احدهم واسمه « عبـــدالله » في كتيب عنوانه « شعب جديد » طبعت منه الملايين ووزعته على الاتراك »[1] .

وبلغ بهم الهوس انهم اذا طلب اي شخص بناء مسجد او ترميمآخر وقفوا في وجهه « وربما ادى بهم الامر الى اضطهاده ليعدل عن فكره»[2]. فأحدث ذلك رجة في البلاد العربية ، وقام شعراء الأمة وكتـابها يكافحون عن حقوقها ويطالبون بحريتها ، معتزين بقومية اريد بهـا شر وبهم هون مطالبين بأشراكهم في ادارة شؤون الدولة ومســاواتهم مع التركي في كل شيء لانها من حقوقهم الطبيعية .

وكان للصحف الوطنية دور فعال بالمطالبة بأصلاح الحـــال وتعيين ولاة يصلحون ما فسد .

جاء في جريدة الرقيب البغدادية :ـ

---

(١) عبدالله الفياض ـ الثورة العراقية ـ ص٤٣
(٢) خلاصة تاريخ العراق ص٢١٠

« الشعب العراقي يريد ان يتولى وال من يقوّم المعوج ويصلح المفاسد ونجد الاعتراضات تترى على تعين وال لا يفهم العربية ولا يتمكن ان يطلع على احوال الاهلين واستماع شكاواهم رأسا وبلا واسطة ، وامثال هذه الاعتراضات ليس لها من سامع »[1] .

عم الفساد وزاد الاضطراب لانصراف اذهان الناس الى ان مفهوم الحرية :ـ ان تسوغ لهم ما شاؤا ولعل اصدق صورة لهذه الحالة ما قاله (معروف الرصافي) بقصيدة عنوانها « بغداد بعد الدستور » :ـ

اری بغداد تسبح في الملاهي
وتعبث بالاوامر والنواهي

رمت حملانها الارباق حتى
تناطحت الكباش مع الشياه

ايا بغداد ان الامر جد
فخلي بعض هزلك في الملاهي

جميع الناس قد نفضت كراها
وابدت للعلى نظر انتباه

وفيك معاهد الدستور تشقى
بغفلة غافل وبسهو ساهي[2]

هذا ما كان عليه العراق في القرن التاسع عشر . أما حالته في بداية القرن العشرين فقد طرأ تحول في ظروفه السياسية حيث بدأت طلائع الوعي العربي تفعل فعلها في نفوس متنوري العرب ، و « لعزيز علي

(١) جريدة الرقيب العدد (٦٦) عام ١٩٠٩
(٢) المصدر نفسه العدد (٥٦) عام ١٩٠٩

المصري » (١) الفضل الاكبر في بعث روح الغيرة القوميـــة ، وقد صدق الاتحاديون حينما وصفوه بانه « بيت الفكرة القومية في الجيش » (٢) فقد اسس حزب العهد عام ١٩١٣ وانشئت له ثلاثة فروع في بغداد والموصل، والبصرة ومن اهدافه كما ذكرها مهدي البصير :ـ

١ ـ الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على ان تكون متحـــدة مع حكومة الاستانة .

٢ ـ على رجال العهد ان يفرغوا قصارى جهـــدهم في بث الدعوة للتمسك بالاخلاق الفاضلة لان الامـــة لا تحتفظ بكيانها السياسي القومي ما لم تكن مجهزة بالاخلاق المهذبة الصالحة .

الا ان هذه الحركة كانت تسير ببطء لانها اعتمـــدت على الطبقة المثقفـــة . وكانت في ظاهرهـــا تعمل على أحيـــاء تراثنا الثقافي وبعث كياننا السياسي ، ولا ينكر ما لسوريةمن فضل في ايقاظالوعي السياسي والفكري في العراق عن طريق المطبوعات والصحف كالمقتبس والعرفان فقد أثرتفي أفكار حملة الاقلام مما ادى الى حركة تذمر واسعة ، فكانت الصحافة من الوسائل الهامة لتنظيم الحركة التحررية ولمّ صفوفها ، والتنبيـــه الى سوء الاوضاع وفسادها في مختلف شؤون البلاد .

وقد ادرك المعنيون بالحركة القومية ان حركتهم تبقى محدودة الاثر

---

(١) ينتمي (عزيز علي) الى أسـرة عراقيـة تسمى (آل عرفات) تسكن البصرة ثم انتقلت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري الى القوقاس وسبب ذلك أن الصدفة جمعت في طريق مكة بين ثاني أجداد المترجم وبين أحد عظماء القوقاس ، فسافرت (آل عرفات) الى هناك ثم صاهر صديقه القوقاسي الكبير وولد حفيده (علي بك) والد المترجم في القوقاس كما ذكر مهدي البصير في كتابه (تاريخ القضية العراقية) ج١ ص٢٣ .

(٢) مهدي البصير ـ القضية العراقية ـ ج١ ص١٤

(٣) للتوسع في مبادىء هذا الحزب راجع المصدر السابق ص٣٣

ما لم يتفهم الجمهور مقاصدها واهدافها لذلك عمدوا الى تنظيم الجماهير وتوعيتها عن طريق الانخراط في الجمعيات والاحزاب السياسية [1] .

بقيت السياسة العثمانية في العراق على هذه الحالة المتردية حتى اعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ في الثامن والعشرين من تشرين الاول اتجهت « استانبول » الى تأثيرها المعنوي والروحي للرابطة الاسلامية في تصوير أي ضعف او هجوم على أي جزء من أجزاء الدولة العثمانيةانما هو طعنة ضد الاسلام حرصا منها على عرشها المبني على اشلاء الابرياء .

وقد نجحت في تصوير هذه النزعة وتحريكها لدى رجال الدين ، فأندفعوا في التعبير عن هذه الرابطة بأخلاص وأمانة حيث أفتى معظمهم من السنة والشيعة بوجوب الجهاد لدفع الضرر عن المسلمين « وأن تعزيز موقف المسلمين تجاه الانكليز غير المسلمين أمر لا مناص منه حسبما تقتضيه احكام الشريعة الاسلامية » [2] .

ومما تجدر الاشارة اليه ان كثيرا من العراقيين استمروا في معاونتهم للترك في حربهم ضد الانكليز حتى نهاية الحرب .

ومن المدهش ان كل قوة استعمارية دخلت المنطقة العربية وحاولت السيطرة على اقدارها ، جربت بشكل او بآخر استغلال الدين لضرب القومية ثم استغلال القومية لضرب الدين وفي الحالين كان هدفها تأكيد سلطانها وضمان مصالحها ، وهذا ما فعلته بريطانيا بالذات على لسان قنصلها البريطاني في البصرة بعد اعلان الحرب العالمية الاولى في رسالة سرية الى « طالب باشا النقيب » يطلب فيها معاونته لهم لاحتلال البصرة مقابل تنصيبه حاكما عاما على البصرة والناصرية والعمارة ، وجعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر الحكومية والمدارس ، وتعيين موظفين عراقيين

(١) راجع : عبدالله الفياض ـ الثورة العراقية ـ ص٤١ ، ص١٠٧
(٢) المصدر نفسه ص١٠٧

في جميع مناصب القضاء والدوائر الرسمية .. الخ [1] وهي نفس المطالب التي طالب بها العراقيون من الدولة العثمانية التي كان نصيبها الرفض على الـــدوام .

الا ان « طالب النقيب » رد على ذلك بقوله :ـ

« ابحثوا عمن يعينكم على استعمار بلاده ، واعلموا ان الذي لا يرضى بحكم الاتراك اخوانه في الدين حري به ان يأبى حكم الانكليز [2] .

فقد أرادت بريطانيا ان تستغل بهـــذا التمزق الواقع بين العراقيين والعثمانيين ، وان تنكأ الجرح من جديد مستغلة بذلك القوميـــة لضرب الدين . ومع كل هذه الوعود فأن العراقيين اشتركوا ، كما قلنا ، في الحرب مع العثمانيين ، وكان للمجاهدين العراقيين مواقف مشهودة . وبعد حرب دامية تمكن الانكليز من احتلال البصرة في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٤ ، وقد استمروا في زحفهم الى بغداد وبعد معارك مريرة احتلت بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧ ، وفي عام ١٩١٨ احتلت الموصل وبقية انحاء العراق « وربط العراق بالانكليز ربطا عسكريا محكما وفصل عن الباب العالمي .. »[3] .

« ان العثمانيين بعد ان فتحوا ممتلكات الدولة الكلدانية والاشورية . وبعد ان تمسكوا بها قرونا اربعة بأسم السلطان تركوهـا ولا تزال متأخرة جاهلة ، تعمها الفوضوية وهي ساخطة على حكامها »[4] . وقد كان احتلال بغداد بداية عصر جديد وتغييرات لم يشهدها قطر آخر في العالم « حيـث استبدل العراق بأسياده الشرقيين المسلمين .. اسيادا مسيحيين غربيين وكان

---

(١) راجع : في غمرة النضال ص١٨٨
(٢) المصدر السابق ص١٩٢
(٣) القضية العراقية ج١ ص٤٩
(٤) أربعة قرون ص٣٥١ ترجمة جعفر خياط .

الفتح العسكري مصحوبا بتأثير حضاري قوي ، ناتج عن اتصال العراق بمدنية الغرب . وظهر هذا التأثير واضحا في الحقول السياسية والاجتماعية والاقتصادية »[1] . فمن الناحية السياسية ، موضوع بحثنا :

٢ ـ العهد البريطاني :

نجد حركة القومية العربية قد اشتد ساعدها وزاد اتصالها بالحركات القومية في الوطن العربي كسورية ومصر ، وكانت حالة البلد السياسية بين مد وجزر بين القوات المحتلة والوطنيين وحافلة بجسام الامور فكانت أساليب موظفي حكومة الاحتلال قاسية لم يألفها الشعب العراقي وقد سبق ان طبقوها في الهند .

ولعل ما قام به « كرين هاوس » حاكم النجف أصدق دليل على قساوتهم ، فكان اذا مر بشارع جعل امامه من يستعمل السوط ليفسح الطريق للحاكم المذكور ، وكان خلفه « الكابتن ونيكت » الذي كانت شراسته مضرب المثل[2] ، يضاف الى ذلك « ان الحكام السياسيين قلدوا اناسا من العوام بعض المناصب الامر الذي أزعج الاهلين »[3] كما انهم عاملوا ابناء العشائر معاملة شعب غير متمدن ، فأعتمدت في حل مشكلاتهم على التحكيم العشائري ، ثم اصدرت نظام دعاوي العشائر المدنية والجزائية في السابع والعشرين من تموز عام ١٩١٨[4] . بالاضافة الى كل ما تقدم فقد أرهقت الشعب بالضرائب .

اما التبرعات فقد كثرت وتعدد وجهات صرفها لمنفعة القوات

---

(١) تقارير الدائرة السياسية لحكومة الاحتلال ص٦١ عام ١٩١٧

(٢) راجع : عبدالله الفياض ـ الثورة العراقية ـ ص١٣٥

(٣) محمد طاهر العمري ـ مقدرات العراق السياسية ـ ج٣ ص٤

(٤) وقد صنعت ثورة الرابع عشر من تموز خيرا بالغائه وبذلك أزالت الوصمة السوداء من جبين القضاء العراقي .

المحتلـة[1] .

يقول الجنرال هالدن :ـ « لقد كانت المسائل المالية تحتل الصدارة في نظرنا »[2] . وانصافا للحقيقة ان حكومة الاحتلال مع كل ما تقدم من مساوئها قد مهدت السبل لتهيئة الظروف الملائمة لقيام الدولة العراقية عام ١٩٢١م لاعتمادها في ادارتها على اساليب حديثة متقنة ، ومعالجة المشاكل الكثيرة بالطرق العلمية .

وفي جو الاحتلال الانكليزي الخانق ، كان العراق الجبار جاداً لظفر حق مغصوب وحرية مكبوتة ، وبقيت النفوس تشوق الى تلك الامنية الغالية في انشاء حكومة عراقية ، لكن حكومة الاحتلال كانت تماطل في ذلك مما زاد في نقمة الشعب ، واخذت الدعايات ضد السلطات المحتلة تزداد عنفا في مختلف انحاء القطر .

وتعتبر النجف الاشرف والكاظمية المنبع الاساس لكثرة من يأمهما من الزوار ، مما هيأ الاذهان الى قيام ثورة ،ولا حديث للناس آنذاك الا ما يدور حول وضع العراق والاستقلال والاستعمار[3] .

وقد فكر المعنيون بالحركة الوطنية ان حركتهم تبقى محدودة الاثر ما لم (يوثقوا صلتهم برجال الدين ... فيستفيدوا من تأثيرهم في نفوس الجمهور[4] .

وقد شهدت جوامع بغداد ودور العلم في النجف الاشرف والكاظمية

---

(١) كتبرعات لبناء ملاجىء للجنود في بريطانيا ، وبناء الاثر الخالد للقائد الانكليزي (مود) كما تقول جريدة العرب ، راجع أعداد جريدة العرب ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ عام ١٩١٨ .

(٢) راجع : عبدالله الفياض ـ الثورة العراقية ـ ص١٣٠

(٣) راجع : في غمرة النضال ص٢٠٢

(٤) عبدالله الفياض ـ الثورة العراقية ـ ص١٩٧

اجتماعات اعدت وهيأت الرأي العام ، وبلورت القيادة الوطنية . فقد كانت تستغل المناسبات الدينية فيها لالقاء الخطب السياسية والشعر الوطني مثلوا بالمراسيم الدينية المعتادة .

يقول العمري :ـ « كانت المظاهرات السلمية والاحتفالات التي تعقد في الجوامع تمردا علنيا يدل على قرب انفجار بركان الثورة .. »[١] .

ويعتبر جامع « الحيدرخانة » مركزا عاما للتجمع والمظاهرات التي تقام ، فكانت توزع فيه رقاع الدعوة للحضور بالشكل الآتي :ـ

« ان اهالي محلة الميدان يتقدمون الى حضرتكم بالدعوة للحضور في الحفلة التي يقيمونها ليلة الجمعة في جامع الميدان ـ الحيدرخانة ـ للتبرك بتلاوة منقبة المولد النبوي الكريم مشفوعة بذكر مقتل « سيدنا الحسين » عليه السلام »[٢] .

وقد فطنت السياسية الانكليزية المعروفــة « مسز بل » الى اثر هذه المظاهرات فأخذت تدعو الشــبان المتحمسين الى شرب الشاي عندها ، واختارت ان تكون هذه الدعوة ليلة « الجمعة » لانها وقت الاجتماع وقد أجاب الشبان دعوتها لاول مرة ، غير انها اعربت لهم عن رغبتها في حضورهم كل « جمعة » ففطنوا الى هذه اللعبة البارعة فقاطعوها[٣] .

ورأت السلطات المحتلة عظم تأثير هذه الاجتماعات فأصــدرت بيانا جاء فيه :ـ

« اعتاد بعض المفسدين منذ شهر رمضان ان يعقدوا الموالید في ليالي الجمعة ، ظاهرا لمقاصد دينية ، ولكن في الحقيقة لتهييج افكار الناس ضد

---

(١) محمد طاهر العمري ـ مقدرات العراق ـ ج٣ ص٣٣٥
(٢) مهدي البصير ـ تاريخ القضية العراقية ج١ ص١٤٦ .
(٣) راجع : مهدي البصير ـ تاريخ القضية العراقية ـ ج١ ص١٤٦

الحكومة ولبث روح الاختـــلاف .. وان الحرية الممنوحـــة قد اساؤا استعمالها وان المحركين يضلون العوام ضلالا مبينا بجسارتهم ومذاكراتهم في مجلس المولود »[1] .

وقد تعدت هذه الاحتفالات الى المدارس الاهلية فكانت بمثابة مراكز حزبية لنشر المبادئ السياسية . وقد زادت شراسة السلطات المحتلة قبيل الثورة فنكلت بالوطنيين ، ونفت الكثير منهم مما ادى الى الاستياء العام ، واصبح الاصطدام وشيك الوقوع وهـذا ما ساعد على قيامها (الثورة) في (٣٠ حزيران عام ١٩٢٠)[2] عندما تسلل عشرة رجـال من شجعان عشيرة « الظوالم » الى سراي الحكومة في الرميثة لانقاذ زعيمهم « شعلان ابي الجون » من سجنه بعد ان قتلوا حراس الســجن واخترقوا ابوابه ، واخرجوا زعيمهم .

كان هذا الحادث الشرارة الاولى في اشعال نيران الثورة ، والحقيقة ان هذا الامر ما كان له ان يؤدي الى تلك النتيجة الرائعـــة ، لو لم يكن العراق قد أعد نفسه لتلك الساعة ، ساعة الخلاص من القوات المحتلة[3] . وقد قام علماء الدين بدور فعال في حث المسلمين العراقيين على الثورة وفي مقدمتهم الامام « محمد تقي الشيرازي » الذي افتى في محاربـــة الانكليز « وكان لهذه الفتوى الخطيرة وقع عظيم في نفوس العراقيين ووجدوا انفسهم في قيد وثيق تجاه الحكم الشرعي »[4] .

وقد آزر الثورة اكثر رجال الدين ، ومنهم من اســـهم فيها مثل

---

(١) جريدة العراق عدد (٦٣) في ١٣ آب عام ١٩٢٠

(٢) راجع : عبدالرزاق الحسني ــ الثورة العراقيـــة الكبرى ــ ص ٩٦ـ٩٧ .

(٣) راجع مجلة بغداد عدد (٢٠) عام ١٩٦٥ .

(٤) جعفر محبوبة ــ ماضي النجف وحاضرها ــ ج١ ص٢٦٣

(أبو القاسم الكاشاني) الزعيم الايراني المعروف[١] ، وقد وقعت معارك كثيرة ذهب ضحيتها عدد كثير من المجاهدين • الا ان بريطانيا ارتأت ان تحل القضية حلا سلميا فأختارت « السير برسي كوكس » الخبير بالشؤون الادارية والسياسية ، بدلا من « ولسن » وقد عقبت الحكومة البريطانية بيان حول مهمته جاء فيه :ـ

« ان (كوكس) سيضطلع بمسؤوليةادارة الحكومة الملكيةالبريطانية في البلاد الى ان يتمكن من تنفيذ سياسة حكومة جلالة الملك لتأسيس حكومة عربية في العراق ••• »[٢] •

وصل « كوكس » بغداد في الحادي عشر من تشرين اول عام ١٩٢٠ لتسلم مهام المندوب السامي في العراق • وقد استقبل من وجهاء بغداد ثم خطب الشاعر « جميل صدقي الزهاوي » بين يديه صدرها بيتين :ـ

عد للعراق واصلح منه ما فسدا
وابثث به العدل وامنح اهله الرغدا
الشعب فيه عليك اليوم معتمد
فيما يكون كما قد كان معتمدا[٣]

وبعد ان رحب به اجمل ترحيب عاد وتكلم عن الثورة العراقية فقال :ـ

(انها حركة ذمها المفكرون في ابانها)[٤] • ثم هاجم الثوار هجوما

---

(١) راجع : القضية العراقية ج١ ص٥٠ـ٥١
(٢) عبدالرزاق الحسني ـ الثورة العراقية الكبرى ـ ص١٨٤ـ١٨٥
(٣) راجع : جريدة العراق الصادرة في الثاني عشر من تشرين الثاني عام ١٩٢٠ ، ديوان الزهاوي ص١١٠ ، ١٤٥ ، ٣٢٠ طبعة القاهرة •
(٤) الغريب في الامر أن لجميل قصيدة عامرة في رثاء أبطال الرميثة مطلعها :

ماذا بضاحية الرميثة من غطارفة جحاجح

جرح فيه كرامة الشهداء • وما كاد « كوركس » يستقر ببغداد حتى اصدر بيانا بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٢٠ جاء فيه : « ان فخامة « السر برسي كوكس » يعلن لجميع افراد العشائر وطوائف العراق ، بأن حكومة بريطانيا العظمى انتدبته ليعود الى العراق لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة ، بمساعدة رؤساء الامة ، ولتشكيل حكومة وطنية في العراق »[١] • وقد استسلم اكثر الثوار لهذا البيان ، وهكذا انتهت الثورة بعد حرب دامت اكثر من خمسة اشهر « ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠–٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٢٠ » بعد ان كلفت الجانبين خسائر في الارواح والاموال ، لكنها وان اخفقت عسكريا فانها نجحت سياسيا لايقاظها الحس القومي للمطالبة بالاستقلال ، وتشكيل حكومة اهلية فيما بعد ، لكن السياسة البريطانية رأت نتيجة للضغط الشعبي ان تشكل حكومة اهلية برأسها « الامير فيصل » لتثبيت نفوذها كما ظهر من محادثات وزير المستعمرات «ونستون شرشل» مع « الامير فيصل » و « لورنس » في اواخر عام ١٩٢٠ على ان يتعهد الامير بتوقيع تحالف مع بريطانيا • وبناء على هذا مهدت بريطانيا السبل لتتويجه •

٣ – العهد الملكي :–

من تزوير الاستفتاء • فتوج « فيصل » ملكا على العراق في الثالث والعشرين من آب عام ١٩٢١ فكان التاج خير منحة للرجل[٢] •

وهكذا تم تشكيل حكومة اهلية يكمن وراءها الانتداب البريطاني كما يقول محمد رضا الشبيبي : « مستقلة ذات سيادة في الظاهر ولكنها لم تكن كذلك في الواقع فالاستقلال كان استقلالا مثلوما وناقصا نقصا فاضحا ، بل كان الحكم ثنائيا بين الانكليز وبين فريق من صنايعهم ••• وكان الغنم

---

(١) عبدالرزاق الحسني – الثورة العراقية الكبرى – ص١٨٤–١٨٥

(٢) لتفصيل ذلك راجع : – أيام فلبي في العراق – ترجمة جعفر خياط ، لبنان ١٩٥٠ •

للسلطة البريطانية وصنائعها والغرم على الشعب العراقي »[1] .

لكن الاحرار ثابروا « على التنكر لتلك الخطة الاستعمارية المرسومة وتعددت الانتفاضات والثورات طوال الحكم الاهلي ، وندد قادة الرأي بأساليب الحكم والحكام ، ووقفوا منها موقف المعارض من الاول الى الاخير .. »[2] .

وهكذا ظل العراق مكافحا الملكية وحليفها الاستعمار ، حتى قيض الله له ـ العراق ـ ان يتخلص من الاضطراب السياسي وقيود الاستعمار والملكية صبيحة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ .

هذه هي الحالة السياسية عرضتها بعهودها الثلاثة ، العهد العثماني ، والعهد البريطاني ، والعهد الملكي من « ١٨٦٩-١٩٢١م » .

---

(١) جريدة الايام عدد (١٢٤) في العاشر من ايلول عام ١٩٦٢ .
(٢) المصدر السابق .

الحالة الاجتماعية

١ - في العهد العثماني :

نقصد بالحالة الاجتماعية ، مجموعة التقاليد والافكار التي ألفهاالناس في مختلف شؤون الحياة ، الاخلاقية والقانونية والدينية والخرافية .

والمتتبع لهذه الحالة في العراق أبان القر التاسع عشر يجد ان اكثر المؤرخين لم يعطوا الصورة الواضحة لملامح المجتمع العراقي ، وانما كانت هذه الملامح تأتي عرضا « لحاجة سياسية اقتضت الاشارة اليها » (١) .ولعل ما كتبه الرحالة وغيرهم ، على ندرته ، يعطينا الصورة التقريبية لذلك المجتمع . فما كان مألوفاً قبل القرن التاسع عشر هو نفسه خلال هذا القرن لا سيما في القرى والارياف والبوادي ، وتكاد تكون نفسها فياوائل القرن العشرين . ومما يجدر ذكره ان اكثر القبائل ، العراقية لا تزال ، كما كانت في العهد العثماني ، تعتز بالكرم والصراحة وحمل السلاح والشجاعة وغيرها .

وقد كان العراق مدة خضوعه للحكم العثماني « يعيش فيشبه عزلة اجتماعية . فكان الناس فيه ، الا القليل منهم ، لا يعرفون عن الحضارة الحديثة واحداث العالم الخارجي الا النزر اليسير » (٢) . وكان هذا المجتمع العراقي في حالة من الانحطاط والتردي والتفسخ ، يعمه الجهل وتسيطر عليه الخرافات ، مرتعا للصوص ، وملجأ للعصاة ، فسادت حياة هذا العصر الفوضى وعمه الاضطراب .

---

(١) ابراهيم الوائلي - الشعر السياسى العراقي - ص٧١ بغداد عام ١٩٦١ .

(٢) علي الوردي - طبيعة المجتمع العراقي - ص٣٣٩

ومن المؤسف ان بعض الولاة كانوا يحرضون الاشرار على تعكير صفو الامن لكي يستولوا هم على ما بأيديهم ، فخشي الناس سطواللصوص وانكمشوا في قراهم ، تاركين الزراعة والتجـارة ، وظهر نقصان الغلال واضحا[1] فقضوا بذلك على موارد رزقهم الضئيلة •

يقول الدكتور علي الوردي : « كانت الحكومة العثمانية تحرص كل الحرص على ان تحافظ على هيبتها في أعين الناس•فهي لا تبالي مايفعل الناس بانفسهم ما داموا يحترمونها ويبدون مظاهر التزلف أمامها وقـد صار ذلك من التقاليد الاجتماعية في المدن العراقيـة »[2] • ولقد تجـاوز الامر الى القتال بين العشائر فكانت لهذه الظاهرة الاجتماعية اسبابها :ـ اما النزاع حول الاراضـي أو النزاع بدافع الاحقـاد والثـارات ، لان أغلب سكان العراق هم من القبائل التي اتبعـت نظاما قبليـا يقوم على الاعتزاز بالنسب وأتباع نظام معين في جميع شؤنها الاجتماعية من ثار وديّات • اما سكان المدن فكانوا اكثر استقرارا لانصرافهم الى بعض الصناعات الاولية ، والعلم والتجارة الداخلية والخارجية ، فكانوا ينقلون بضائعهم من العراق الى الخارج على ظهور الجمال لانعدام وسائل النقل الحديثة• أما في داخل العراق فكانت بواسطة (الاكلاك)[3] و (الشختير)[4] التي تسير في نهري دجلة والفرات •

ولم تكن المواصلات البرقية والتلغرافية موجودة وقـد انشئت عام ١٨٦١م حيث تم الاتصال بين بغداد واستانبول •

---

(١) راجـع : يوسف عزالدين ـ الشـعر العراقي الحـديث ـ ص١٥ـ١٦

(٢) علي الوردي ـ طبيعة المجتمع العراقي ـ ص٣١١

(٣) تصنع من القرب الجلدية تربط مع بعضها ويوضـع فوقهـا الخشب لتوضع عليها الاحمال •

(٤) القوارب النهرية الكبيرة

اما موارد الرزق :ـ فكانت ضئيلة جدا ، ومصادر كسب القوت تافهة وعلى الرغم « من ضآلة هذه الموارد ، وانحطاط مستوى المعيشــة ، كانت الدولة تثقل كاهل الناس برسوم الاحتساب والضرائب المتعددة[1] . والى جانب هاتين الطبقتين اي ـ سكان القرى والمدن ـ طبقة الاتراك والمماليك « الذين احتلوا وظائف الدولة وقيــادة الجيش يحفون بالوالي ، ولا هم لهم الا استرقاق الناس والاساءة الى ابناء الشعب »[2] .

اما الزراعة :ـ فقد كانت بـدائية لاستعمال الفلاح الطرق القديمة ، وكانت المناطق الزراعية عشائرية يسودها النظام القبلي ، وحياتهم ساذجة تتميز بالولاء والتفاني للعشيرة . وقـد اهملت مشــــاريع الري فلم تهتم الحكومة بها مما ادى الى اندراسها فلم تعد صالحة للارواء[3] .

اما الناحية الصحية :ـ فقد بلغت أسوأ دركات الانحطاط « اذ تفشت الامراض وفتكت بالكثيرمن ابناء العراق لعدم وجود المستشفيات والمؤسسات الصحية »[4] .

اما المرأة :ـ فهي في المدن اسيرة بيتها ، وقد نظروا اليها نظرة احتقار، وشددوا عليها الحجاب اذا ما خرجت من بيتها ، ولكنها في الريف تعاون الرجل في الرعي والزراعة . وقد حرمت حق اختيار زوجها في الارياف والمدن على السواء وانما كان وليها يفرض عليها زوجا لم تره ولم تعرف عن اخلاقه شيئا ، مما ادى الى كثرة الطــــلاق ، وزعزعـــة نظام البيت والاسرة واثر في تربية الاطفال وتوجيههم ، فكانت المرأة اشبه بالسلعة تباع وتشترى في سوق الزواج . وقد نعتوها باشنع النعوت وكانوا يخجلون من

---

(١) عباس العزاوي ـ العراق بين احتلالين ـ ج٨ ص١٢٥

(٢) أبو الثناء الالوسي ـ غرائب الاغتراب ـ ص ١٩٩

(٣) راجع : يوسف عزالدين ـ الشعر العراقي أهدافه وخصائصه ـ ص٢٠ .

(٤) في غمرة النضال ص٥٣ .

ذكر اسمها ، واعتبروها عبئا ثقيلا يجب التخلص منه •

ومن الطريف هنا ان نذكر : انه اذا توفي لاحدهم زوجته كان يقال له في العزاء : « فراش جديد » اشارة الى ان الله هيأ له بموتها فراشا جديدا[١] •

وكانوا يفرحون اشد الفرح اذا بشر احدهم بالذكر لاعتقادهم بان (ألف ولد مجنون ولا فد بنت خاتون)[٢] • وقد احيطت بتقاليد صارمة حتى حرموها من تعليم القراءة والكتابة ، لانها تؤدي الى فسادها « •• فأما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله منه ••• فانهن لما كن مجبولات على الغدر ، كان حصولهن على هذه الملكة من اعظم وسائل الشر والفساد ••• فاللبيب من الرجال هو من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى ، فهو اصلح لهن وانفع •• » ثم يقول : « ان المرأة اذا تعلمتها توصلت بها الى اغراض فاسدة وامكن توصيل الفسقة اليها على وجه اسرع وابلغ •• »[٣] •

في هذا المجتمع المفكك الذي عمه الجهل واقعده الفقر ، مع تحكم الاستبداد فيه اجيالا طويلة ، اصبح بحالة فقد معها التميز بين الضار والنافع واختلط فيها الخير بالشر ، وضاعت المقاييس ، فأصبح المتملق للوالي ذا مكانة ، والمخلص ممقوتا وهو معرض في كل لحظة الى السجن والتشريد ، ويجلب على نفسه السخط • ومع هذا الوضع المزري أنعدم الاحساس والشعور نحو الجماعة ، لان روح الجماعة لا تكون في اي مجتمع الا حيث تكون ثقة الناس بعضهم بالبعض الآخر اولا ، وثقة الناس بحكامهم ثانيا ، والحديث عنها في مثل هذه الاوضاع حديث بلاهة ، والحديث عن التضحية

---

(١) محمد جميل بيهم ـ المرأة في حضارة العرب ـ ص٣١٣ •
(٢) مثل عراقي شائع •
(٣) خيري الدين نعمان الالوسي ـ الاصابة في منع النساء من الكتابة ص٨٠ـ٨٩ •

هي الاخرى حديث سخرية ، لان الحكم الفاسد قضى على روح الجماعة فأنقلبت المثل العليا ، وأثر ذلك في سلوك الناس فتهالكوا على من بيدهم الحل ، وتقربوا الى الموظفين لقضاء حاجاتهم ، فشاع في الناس الدجل والرياء . ولعل خير وصف لتصوير فساد الحياة الاجتماعية ما يقوله سليمان البستاني : « ولكن هذا الجسم (١) ، على قوته الكامنة وان شئت فقل على ضعفه الظاهر ، لم يقو على تحمل اذية الحكومة ... يساق الناس فيه سوقا ... فنكس الرؤوس وذلل النفوس ، استبداد لا مرشد له الا التعنت عن هوى تميل اليه النفس الى حيث لا تدري ولا شرع له ولا وازع ، يحلل اليوم ما يحرمه غدا »(٢) .

فقد كان الحكام مستبدين يتخذون من الدين وسيلة لبقاء سلطانهم وقوتهم . ولما كان العثمانيون من السنة الحنفية فقد اتخذوا التفرقة بين السنة والشيعة وسيلة لاضعاف العراقيين وابقاء سيطرتهم عليهم . وقد اضطهدوا ابناء الشيعة حتى لجأوا الى حرمانهم من الوظائف الحكومية ومنعوا ابناءهم من دخول المدارس الحكومية ، مما اثر في الناحية الاجتماعية.

وقد حدثني الدكتور مصطفى جواد :ـ ان هذه التفرقة فرضوها على العراق بينما نرى اتراكا من المتشيعين المعروفين « بالبكتاشية » في تركيا نفسها لهم مراكز حساسة في الدولة وقد تغاضوا عنهم لانهم أتراك . استغلت هذه النعرة الطائفية مما ادى الى التناحر وتردي العلاقات بين ابناء الطائفتين « السنة » و « الشيعة » لم تكن في صالح الامة . فالانقسام الذي حدث بين الطائفتين « كان ذا تأثير كبير في طبيعة المجتمع العراقي ..فبعد ما كانت هاتان الطائفتان فرقة واحدة في أول الامر ، اصبحتا مختلفتين في كثير من العقائد والطقوس »(٣) ، كانت نتيجة ذلك تضاربا في الاهواء

---

(١) يقصد به الدولة .

(٢) سليمان البستاني ـ عبرة وذكرى ـ ص١٨ـ١٩ .

(٣) علي الوردي ـ طبيعة المجتمع العراقي ـ ص٢٢٨

واختلاف في العادات أدى بكل طائفة من الطائفتين الى التجمع في اماكن معينة فالسنة مثلا يعيشون في مناطق معينة من العراق والشيعة كذلك في مناطق اخرى ، بل ادى الامر الى تكتلهم في محلات واحدة ضمن المدينةالواحدة، مما حدا ببعض العناصر الاخرى من غير العرب كالترك والاكراد وبعض الاقليات الاخرى ان تحذو حذوهم لانها خضعت لتلك المؤثرات[1] فكثر الدجالون والمشعوذون الذين استخدموا الدين لاغراضهم الخاصة •

يقول صاحب « تاريخ الطب في العراق » : « اصبح العراق ميدانا فسيحا لعبث الدجالين والمشعوذين ومرتعا للمتطببين واصحاب الخرافات •• كما كان بعض المرتزقة من المشعوذين يستخدمون الدين لاغراضهم ، فينتشرون في ارجاء البلد بزات رجاله يبيعون الادعية والرقى والطلاسم وكانت لهم ، لجهل الشعب وفقره ، سوق رائجة ومجال فسيح »[2] •

ولكي نعرف مبلغ ما وصل اليه العراق من تدهور حضاري ، ان بغداد لم يكن فيها اي شارع معبد الا في بداية عام **١٨٧٠** في عهد « مدحت باشا » •

وفي عام **١٩١٠** فتح اول شارع في بغداد في عهد « ناظم باشا » سمي « شارع النهر » الذي عرف فيما بعد باسم « شارع المستنصر » • وان ازقة بغداد قاطبة لم تكن مضاءة وقد بدأت الحكومة باضاءتها عام **١٨٧٩** حيث وضعت فيها فوانيس نفطية[3] •

الواقع ان الاساليب والعادات البالية التي ورثها العراقيون منذ اجيال

---

(١) للتوسع في هذا الباب راجع ـ طبيعة المجتمع العراقي ـ فصل (الدولة العثمانية في العراق) •

(٢) الدكتور هاشم الوتري ، والدكتور معمر خالد الشابندر ـ تاريخ الطب في العراق ـ ص٥٧ بغداد عام ١٩٣٩ •

(٣) راجع : ـ طبيعة المجتمع العراقي ـ ص١٢٢

بقيت تؤثر في المجتمع ، وما ظنك بمجتمع يحتقر الناسج والحائك وزراع الخضر وصياد السمك[1] ؟

يحدثنا الدكتور علي الوردي فيقول :ـ « هناك اربع فئات محتقرة واكثر هذه الفئات احتقارا هم « الحاكة » ويأتي بعدهم « الحساوية » اي الذين يزرعون الخضر ، ثم « البربرة » اي ـ الذين يصيدون السمك بالشبكة ـ واخيرا يأتي « المعدان » وهم الذين يعيشون على تربية الجاموس »[2] .

مما يدل على تدهور الحضارة ، والناس لا زالوا يعيشون في مجتمع مغلق من جميع وجوهه .

هذا ما كان عليه الوضع الاجتماعي في العراق في العهد العثماني .

٣ ـ في عهد الاحتلال البريطاني :ـ

وبعد زوال الحكم العثماني وعلى وجه التحديد بعد الحرب العالمية الاولى التي تعتبر بحق نقطة تحول هائل ، انفتحت بها آفاق جديدة للعراقيين لم يكن لهم بها عهد من قبل ، اذ كانوا في عزلة تامة كما قلنا سابقا . فعندما دخلت قوى الاحتلال ، ورأى العراقيون جنوده وما هم عليه ، استيقظ الفكر العراقي اذ دهمته الحضارة بقوة شديدة ، ورأوا فيها من عجائب المخترعات والنظم ما بهر عقولهم حيث انفتحت بها آفاق لم يعرفوها من قبل ، واحدث ذلك تغيرا كبيرا في المجتمع ، وهزه هزا عنيفا ، انقسم الناس الى طائفتين طائفة : مجددة تروم الاقتباس ، وطائفة :محافظة على ما الفت من عادات وتقاليد، زادتها الدعاية العثمانية القائلة : « ان الانكليز جاؤا ، لتحطيم الخلافة ومحق الاسلام »[3] قوة وعنادا لكل ما هو جديد .

---

(١) في تفصيل هذه الحوادث راجع شاكر مصطفى سليم ـ الجبايش ـ بغداد عام ١٩٥٦ .

(٢) طبيعة المجتمع العراقي ص١٥٨ .

(٣) طبيعة المجتمع العراقي ص٣٤١ .

ولما كانت هذه المظاهر الاجتماعية الجديدة جاءت مصاحبة للاحتلال الانكليزي ظن المحافظون ان الحضارة من صنعهم وصنع امثالهم من الكفار. وكان لرجال الدين اثرهم الواضح في ذلك، اذ اعتبروا كل من يأخذ بأسباب هذه الحضارة خارجا عن الملة، ورددوا قالة عرف بها المحافظون (التشبه بالكافر حرام)[1]. فحرموا واستنكروا كل ما هو جديد ولو كان مشروعا او نافعا، فدخول المدارس حرام، وقراءة الجرائد حرام، وتعلم اية لغة اوربية حرام، والتوظف حرام، والسفور حرام!

هذا ما كان من امر الناس في الفترة الاولى من ايام الاحتلال. ولكن ما ان مضت فترة وجيزة وعملت الحضارة عملها في العقول والنفوس حتى رأينا اكثر الذين استنكروا الدخول في المدارس، والتوظف، والسفور والتجديد، عاشوا ليروا ابناءهم يدخلون المدارس، ويتسنمون الوظائف في مراكز الدولة. فقد جرفتهم المدنية الحديثة وجعلتهم يبيحون ما كانوا حرموه على انفسهم. فقد تغيرت القيم الاجتماعية وفق منطق التطور. وهكذا شرع المجتمع العراقي يخطو خطوات موفقة نحو التقدم والتطور منفتحا بعدما كان مغلقا على نفسه.

---

(١) طبيعة المجتمع العراقي ص٣٤٢.

الحالة الثقافــة

بقي العراق ، بحكم سياسة الدولة العثمانية الاستمرارية ، بعيـدا عن التيارات الحديثة • فقد حال النفوذ التركي دون ما يسمى ثقافـــة حديثة • اعتمدت الدولة على جعل العراق عثمانيا بكل مظاهره ، ليقطعوا كل صلة بما هو عربي •

وفي دراستنا للحالــة الثقافية في هــذا العهد لابد لنا ان نتعرف على الامور الآتية :

١ ـ المدارس وانظمتها وطرق التعليم فيها •

٢ ـ التـأليف •

٣ ـ الأدب واتجاهاتــه •

١ ـ المـدارس :

بدأ العثمانيون بانشاء المدارس التركية في بغداد في منتصف القرن التاسع عشر • ففي سنة (١٨٦٨م)[1] تم انشاء (مكتب رشدي) أي (مدرســة ابتدائية) في بغداد ثم أسست ثانويــة للبنين ســنة (١٨٧٠م) في زمن (مدحت باشا) وكان اهتمامه منصبا على فتح المدارس العسـكرية ، ففتح سنة (١٨٧٢م) ثانوية عسكرية •

وقد أعرض الناس عن هــذه المدارس ، لقلة كفـاءة المعلمين ولأن مناهج دراستها لا تفي بالقصــد ، ولأن قواعد اللغــة العربية كانت تدرس بالتركية لذا كان الطلاب (يتخرجون ولا يعرفون الكتابة حتى باليسير من

---

(١) جريدة الزوراء عدد «٥٨٥» السنة السابعة •

اللغة العربية)[1] .

وكانت هذه المدارس مهملة ، ولم تقم الحكومة باصلاحها . وقد استفادت الدولة العثمانية (من هذه النفرة بارسال موظفين اتراك ، ومعلمين الى العراق)[2] .

لذلك فكرت الطوائف (اليهودية) و (المسيحية) في انقاذ ابنائها من هذه المدارس . وقد أسس (اليهود) أول مدرسة لهم في بغداد سنة (١٨٦٥م) واستقدموا لها خيرة الاساتذة من (أوربا)[3] .

اما المسيحيون فقد قاموا بتأسيس المدارس في بغداد والموصل ، ويعود الفضل في تأسيسها بالدرجة الاولى الى المبشرين الامريكان ، والانكليز ، والفرنسيين .

وكان يدرس فيها مختلف العلوم واللغات[4] . وقد أدت هذه المدارس خدمات جلى في تثقيف ابناء هاتين الطائفتين ، ولذلك تهافت عليها الطلاب لمستواها الرفيع .

اما المسلمون : (فقد بقوا في جهلهم وانحطاط مداركهم ، وكانت القبائل أشد السكان انحطاطا وجهلا حتى بمبادىء القراءة والكتابة)[5] وتقلصت اللغة العربية وشاعت اللغة التركية في بغداد ، وتدفق سيل جارف من الالفاظ التركية والايرانية ، وكثرت الرطانة كأن لم تكن بغداد عربية ولم يكن اهلها عربا ! .

---

(١) اربعة قرون من تاريخ العراق ص٢٠٣ .
(٢) العراق بين احتلالين ج٨ ص٣١٥ .
(٣) راجع جريدة الزوراء العدد (٢٢١) السنة الثالثة .
(٤) راجع : ابراهيم الوائلي ـ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص٩٨ .
(٥) المصدر السابق ص٩٨ .

ولقد صدق (أحمد بك الشاوي) حينما يقول في المعارف :

الجهل اجمعه بدا ... ثـرة المعارف مستدير
أعضاؤها ورئيسها ... في الجهل ليس لهم نظير[1]
وافى النذير بعزلهم ... يا حبذا ذاك النذير[2]

وللرصافي قول شبيه بهذا :

معارف بغداد قد جاءها ... مدير من الطيش في مسرح
حمار ولكنه ناطق ... وطفل ولكنه ملتحي
فيا ايها العلم عنها ارتحل ... ويا ايها الجهل فيها اسلح[3]

ذكر الدكتور (جون فانيس) : (عندما جاء الى العراق في عام ١٩٠٣ ، انه ادرك بأن المجتمع العراقي في حاجة ماسة الى مدارس حديثة يجرى التعليم فيها باللغة العربية ، وليس باللغة التركية التي كانت سائدة في مدارس ذلك العهد ، ولما فاتح الوالي بقصده أجابه الوالي متهكما : (ما انت واضاعة وقتك في تعليم الحمير)[4] . هذه هي السياسة التعليمية التي رسمها الاتراك لتعليم ابناء العراق .

ولولا مدارسنا العلمية القديمة وخزائن كتبها الثمينة لما بقي أثر للثقافة العربية في العراق . فقد اتبعت هذه المدارس في تعليمها الطريقة الموروثة وهي :

أن يتعلم الطالب القراءة والكتابة والقرآن الكريم في الكتاب ، ثم ينتقل الى الجامع أو الصحن حيث يتعلم النحو والصرف ، فيدرس

(١) في الاصل « له » .
(٢) راجع عباس العزاوي — العراق بين احتلالين — ج٨ ص٣١٥ .
(٣) ديوان الرصافي شرح مصطفى السقا ص٥٣١ ، طبعة دار الفكر العربي عام ١٩٥٣ .
(٤) راجع : علي الوردي — طبيعة المجتمع العراقي ص١٣٧ .

(متن الاجروية) ويحفظها بنصها دون ان يهمل منها حرفا ، ثم يدرس كتباً مختلفة اخرى ، مثل (قطر الندى وبل الصدى) و (شذور الذهب لابن هشام) . واذا ما انتهي من النحو وما يتعلق به من صرف واشتقاق يكلف بدراسة شيء من علم الفقه ، ثم يتناول بقية العلوم التي تتصل بالعربية والدين وبقية كتب التاريخ واللغة . وكان يدير هذه شيوخ العصر سواء كان ذلك في المساجد أم في بيوت الشيوخ الخاصة .

وقد تخرج في هذه المدارس أكثر ادباء العراق الذين ساهموا في الحركة الثقافية وكان لهم الفضل في انشاء طبقة من الشعراء والمؤلفين العراقين في خضم الحكم العثماني !

فاذا اراد الشاب العراقي أن يتم تعليمه بعد ذلك فليس امامه الا الذهاب الى (الاستانة) حيث المدارس العليا التي يتخرج فيها ضابطاً أو مهندسا أو طبيبا . لأن مثل هذه المدارس العليا لم يكن لها وجود في العراق الى ما قبل نهاية الحكم العثماني بفترة وجيزة .

ولذلك لم يهتم بهذا التعليم العالي غير الطبقة الموسرة التي تستطيع الانفاق على ابنائها في (الاستانة) لهذا الغرض ، وقد درس معظم هؤلاء في مختلف الكليات وبالاخص في الكليات العسكرية وكانوا النواة الاولى في تأسيس الجيش العراقي فيما بعد[1] .

ولابد لنا ان نذكر هنا ان حزب (الاتحاد والترقي) الحاكم قد اسس في العراق كثيرا من المدارس الابتدائية ، لم يكن الهدف منها ثقافيا وانما للدعاية السياسية فقط . وقد تدخلوا في شؤون التعليم واتخذوه وسيلة للتبشير بمبادئهم مما ادى في الاخير ان ينصرف عنها أكثر ابناء العراق ، وهكذا استمر العراق يتعثر في دياجير الجهل .

---

(١) راجع : في غمرة النضال ص٥٧ .

يقول البستاني عن فساد نظم التعليم ، الذي حرمته الرقابة من كل علم نافع وضيقت قيه على العقول ، (حتى حار المعلمون في امرهم وكانوا وهم يلقون ولو مسألة نحوية أو حسابية صرفة يخشون ان تصدر منهم اشارة الى عدد يوافق اعداد سني الظلم ، أو فتحة أو كسرة تشير الى فتح الاعين وكسر القيود)[1] • حتى بلغ بهم الامر الى تشديد الرقابة على الصحف خشية ان توقظ الحس العراقي • فقد قطعوا كل صلة بين كل قطر عربي وآخر من ذلك ما قاموا به من منع دخول الصحف العربية سواء أكانت مؤيدة أم معارضة (وكان عقاب من يقتنيها السجن أو النفي)[2] •

٢ ـ التـأليف :

خشي الناس بطش الحكام والاعوان ووشاياتهم فانصرف أكثر الناس الى كتب الدين ، والفقه ، وكتب الاقدمين يتدارسونها ويلتمسون منها العبرة والذكرى • فانكمش التأليف لأنه يدخل المؤلف في مشاكل هو في غنى عنها •

ولقد خشي الناس حتى من المؤلفات التي كانوا يحتفظون بها في بيوتاتهم خشية الوشاية ، وكثيرا ما فتشت الدور لهذا الغرض ، فكان اصحابها يلقون بها في النهر أو النار للتخلص منها • وقد ضاعت أكثر الكتب الثمينة عن هذا الطريق • واذا اراد احدهم ان يؤلف كتابا وبعبارة أدق أن يجلب الشر على نفسه فعليه أن يعرض مؤلفه على لجان تنظر في كل كلمة ومدلولها وقد يطول الانتظار شهورا في منحه الاجازة بطبعه • ومن ينظر في تلك الكتب المؤلفة تجابهه في مقدمتها تلك الادعية الطنانة للسلطان والتسبيح بحمده وعدله •

يقول (سليمان فيضي) : (اما التأليف فكان على ندرته محفوفا

---

(١) عبرة وذكرى ص٣٦ •
(٢) في غمرة النضال ص٥٠ •

بالمخاطر . فكانت المؤلفات تعرض قبل طبعها على « مجلس المعارف الاعلى » وويل للمؤلف أو الطابع أن تغير في الكتاب حرف أو زيدت كلمة ، وويل له اذا قلل من الدعاء للسلطان)[1] .

اما الجمعيات والاندية الادبية فكانت خاضعة لرقابة أشد فلم يكن يسمح باجازتها الا ما كان منها خيريا محضا ، وكانوا يخافون حتى من اسمائها ولم يكن يسمح فيها لا للبحوث ولا للخطابات .

٣ ـ الادب واتجاهاته :

مر الأدب في هذه الحقبة بفترتين متباينتين لكل منهما مميزاتها وهما :

١ ـ فترة الجمود والعزلة .

٢ ـ فترة التطور والتجدد .

وتبدأ الفترة الاولى : على وجه التقريب من منتصف القرن التاسع عشر حتى اعلان الدستور عام ١٩٠٨م وتوصف هذه الفترة بان العراق كان في عزلة عن كل ما هو اجنبي من حضارة أو ثقافة ولما كان الاتراك قد استأثروا بالحكم والتوجيه السياسي فقد عزف أكثر ابناء العراق عن السياسة وانصرفت جهود ذوى المواهب منهم الى الادب . وكانت ثقافاتهم عربية بحتة اتخذت من العامل الديني طابعا يميزها ، فقد اتخذ الادباء وبالاخص الشعراء من مآسي آل البيت وسيلة للتنفيس عما يملأ صدورهم من مشاعر الظلم والجبروت وذلك في صور حماسية وذكر للبطولات وفي ثناياه دعوة الى النضال والاعتزاز بالعقيدة والاشادة بالامجاد[2] .

تطرق الشعراء الى مختلف الفنون :

---

(١) في غمرة النضـال ص٥٠ .

(٢) راجع : مجلة الهلال القاهرية ـ الكتاب الذهبي ـ « الادب والادباء » ص١٢١ـ١٢٤ عام ١٩٤٢ .

ومن أشهر شعرائهم في ذلك الوقت (ابن معتوق) و (الكعبي) و (ابن معصوم) ويليهم في المنزلة (حيدر الحلي) و (عبدالغفار الاخرس) و (عبدالباقي العمري) وغيرهم .

غير انه يلاحظ في الطبقة الاخيرة من هؤلاء الشعراء انهم انحرفوا عن طريقة من سبقهم من الشعراء فمدحوا الولاة وموظفي الدولة ، والصقوا بهم صفات هم ابعد الناس عنها ، خشية بطشهم ورغبة في تملقهم فجاء مدحهم ممسوخاً سداه كذب التجارب الشعورية ولحمته الضعة والهوان[١] .

واخذ جميع من ذكرناهم من الشعراء يقلدون السابقين في طرائقهم فكنا نسمع ذكر الاطلال والربوع والوقوف عليها ومساءلتها عن الحبيب الغادى والدعاء لها بالسقي والرعي ، كما أن الالفاظ القديمة شاعت في شعرهم فالشيح والقيصوم والعقيق وغيرها كثر تردادها .

وقد تعدى ذلك الى التشبيهات فالصدغ بالعقرب ، والحاجب بالنون ، والردف بكثيب الرمل ناهيك عن حشر هذه القصائد بالمحسنات فكأن القصيدة (معرض) لهذه الانواع البديعية ، وربما ضحى الشاعر بالمعنى الذي اندفع من اجله في سبيل الوصول الى مثل هذه المحسنات وتجويدها[٢] .

وخلاصة القول : ان الشعر كان تقليدا للسابقين من الشعراء باجلى مظاهره ، ومما هو معروف أن المقلد دون المقلد درجة واقل رتبة ، لذلك لم يصل ادبهم الى ما كان مرجوا منه .

---

(١) راجع : يوسف عزالدين ـ خيرى الهنداوى حياته وشعره ـ ص ١٠ ـ ١٦ .

(٢) راجع : ناصر الحاني ـ الادب العربي ـ ص٢٧ بغداد عام ١٩٤٤م .

٢ ـ فترة التطور والتجدد :

وتبدأ باعلان الدستور عام ١٩٠٨م حتى اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م • وفي مستهل هذه الفترة اطلقت الحريات ، حرية الرأى والقول والاجتماع • ودخلت البلاد في يقظة فكرية لا عهد لها من قبل تجلت في كثرة الاندية والجمعيات والصحف والمجلات •

وقد مال أكثر الكتاب والشعراء الى التجديد لا الى التقليد ، والى الابتكار لا الى الاتباع • فشاع الشعر الاجتماعي والسياسي وعبّر الادباء عن مساوىء الاستبداد ، وتغنوا بالحرية وقيم الفضائل ومكارم الاخلاق • وفي اخريات هذه الفترة ظهرت الدعوة القومية الى استقلال العرب واخذ مكانتهم (وكانت هذه الدعوة ـ القومية ـ ليس لها ما يميزها أو اطار يحدد معالمها)[1] قبل اعلان الدستور فكانت (تكبت حينما اكراما للرابطة الاسلامية وتظهر حينا)[2] وقد امتازت هذه الفترة في التطور في أدب العراق نظما ونثرا وفي أخرياتها اصبحت رسالة الادب قومية بحتة بعد ان زاد الاتحاديون في امعانهم وخرقهم للدستور • وهكذا استمر الادب بالتقدم والثقافة في تطور الى ان اعلنت الحرب العالمية الاولى واحتلال الانكليز البصرة عام ١٩١٤ •

هذه هي الحالة الثقافية في العهد العثماني •

اما الحالة الثقافية في عهد الاحتلال البريطاني :

فقد اهتمت السلطات المحتلة أول الامر بتثبيت دعائم الامن ، وترسيخ اقدامها في العراق • ونظرت الى الناحية الثقافية والانظمة السائدة فعمدت الى هدمها • وبدأت تبني في بطء نظاما ثقافيا جديدا ، فكلفت السلطات المحتلة أحد الانكليز المدعو (مستر دوبس) ـ مدير

(١) يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوى حياته وشعره ـ ص١٦ •
(٢) المصدر السابق ص١٥ •

الادارة المالية ـ بدراسة المشكلة الثقافية عام ١٩١٥م وتقديم اقتراحاته ، الا انه جوبه بقلة المعلمين مما دعاه ان يقول : (لولا الضرورة القصوى في تهيئة العرب للوظائف الحكومية ولتجنب اتهام الادارة البريطانية بانها لا تميل الى ايجاد التسهيلات الثقافية فانه ـ دوبس ـ يميل الى عدم فتح مدرسة واحدة في السنتين القادمتين ...)(١) .

ولابد لنا هنا ان نشير الى ما قلناه سابقا من ان العراقيين قرنوا كل شيء يقوم به المحتل ـ ولو كان نافعاً ـ بالكفر فرغبوا عنها .

ولم يفتح من المدارس في العراق حتى نهاية عام ١٩١٥ سوى مدرستين ابتدائيتين وفي نهاية عام ١٩١٨م فتحت عشرون مدرسة ابتدائية وفي عام ١٩١٩م فتحت احدى وعشرون مدرسة اخرى . ثم توالى فتح المدارس وتهافت عليها الطلاب بعد ان زالت الدعايات القائلة : (التشبه بالكافر الحاد) . وعاش من حرموا على الناس دخول المدارس ليروا ابناءهم وهم يرتادونها . وقد بلغ عدد المدارس عام ١٩٢٠ ثمانين مدرسة للبنين ، وخمس مدارس للبنات(٢) .

الحالة الثقافية في الحكم الاهلي :

وبعد أن تأسست الحكومة الاهلية تحت اشراف السلطة المحتلة في الثالث والعشرين من آب عام ١٩٢١ ، أخذت الحركة الثقافية تسير ببطء . اما المناهج التعليمية فقد هدف واضعوها لخدمة اغراض المحتل ولخدمة الحكومة في تهيئة طبقة من الموظفين العراقيين للوظائف الكتابية . وقد بقيت المناهج على هذه الوتيرة مدة طويلة بعيدة كل البعد عن حاجات البلد ومتطلبات التقدم . ولعل اسباب هذا الجمود (قد تسبب في الدرجة الاولى عن الوضع السياسي القلق ونموذج الشخصيات التي تعاقبت على

---

(١) راجع : داود سلوم : تطور الفكرة والاسلوب ـ ص٤٣ .
(٢) المصدر السابق ـ ص٤٣ .

كرســـي وزارة المعـارف ـ التربيـة ـ وتأثير السياســة الاجنبيـة على الحكومة)[1] .

كما وان من تولـــوا وزارة التربيـة آنذاك قـد تثقفوا وفق برامج المدرسة القديمة التي اشرنا اليها ، مما اثر في التعليم اذ جعل الهـــدف الاسمي من التعليم يتلخص في فتح المدارس الاكاديمية واهمال المدارس الصناعية . اما الخطط التربوية فكانت هي الاخرى اشد اضطرابا لانهـا كانت تسير وفق هوى الوزير ، وهذا يعني ان كل وزير يتسنم الوزارة يهمل كل ما بدأ به سلفه ، فكان (هناك تبديل مستمر في الخطط التـي توضع لخلق اسس ثقافية احسن مما قبلها ولايجاد طرق احسن في خلق جيل فعّال مثقف)[2] .

وقد عنيت الحكومة العراقية بعد تشكيلها عناية فائقة بتثقيف الشعب ، فكثرت المدارس الابتدائية لمكافحة الامية واسست عدة دور معلمين ، كما اتجهت العناية كذلك لتعليم الفتيات .

ومما يذكر ان حكومة (الملك فيصل الاول) عنيت بفتح مـدارس للبنات قد انتفض الشعب وتظاهر وكان ينادي (المقبرة ولا المدرسة)[3] لكن الشعب العراقي فيما بعد عرف قيمة الحركة التي تهدف الى تعليـم البنت ، فكثرت مدارس البنات في مختلف الوية العراق .

ثم اهتمت بعد ذلك بنشر التعليم العالي فاسست عـدة كليات بعـد سنوات للطب والهندسة ، والصيدلة في بغداد . وما زالت الكليات تتوسع فقد عمت أكثر الوية العراق وسيأتي اليوم الذي تنتشـر فيه الكليات في جميع الالوية وتلك أمنية نصبو لها جميعاً .

---

(١) تطور الفكرة والاسلوب ـ ص٤٥ .
(٢) أمين الريحاني ـ قلب العراق ـ ص٢٣٣ .
(٣) محمد جميل بيهم ـ المرأة في حضارة العرب ـ ص٣١٢ بيروت ١٩٦٢ .

الفصل الثـاني

الصحافة نشـأتها وتطورها

الصحافة ، نشأتها ، وتطورها

(١٨٦٩ ـ ١٩٢١)

قبل المضي في الكلام عن تاريخ الصحافة العراقية في فترة البحث ، يجمل بنا ان نتكلم عن :ـ

تاريخ الطباعة في العراق :

تأخر ظهور الفن المطبعي في البلاد العربية بصورة عامة والعراق بصورة خاصة ، وذلك للعزلة التي فرضتها الدولة العثمانية على البلاد العربية في كل ما هو حديث ، خشية ان تهب الشعوب العربية الرازحة تحت سيطرتهم مطالبة بالحرية والحياة الكريمة ، فتأخرت البلاد ثقافيا وبقيت خالية من الطباعة مدة طويلة رغم انتشارها في معظم الاقطار الاجنبية • وللبنان الفضل الاول في ادخال المطابع فقد اسست مطبعة (دير قزحيا)[١] عام ١٦١٠م فكانت أول مطبعة عربية في بلاد الضاد[٢] •

اما العراق :

فقد دخلته في منتصف القرن التاسع عشر مطبعة حجرية اسست في (لواء كربلاء) عام ١٨٥٦م استقدمت من ايران في عهد (محمد رشيد باشا) وتعتبر أول مطبعة عرفها العراق • وفيها طبعت طائفة من رحلات (ابي الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي) مفتي بغداد • وفي

---

(١) « قزح » سريانية الاصل وتعني « الكنز » و « حيا » تعني « الحياة » ، ويحتمل ان يكون معناها « القسيس الحي » • راجع : انيس فريحة ـ اسماء المدن والقرى بيروت عام ١٩٥٦ •

(٢) راجع : رفائيل بطي ـ مجلة منبر الاثير ـ العدد الثالث ص٢٣ بغداد ١٩٤٥ •

عام ١٨٦١م اسست مطبعة (التبريزي) الحجرية المجلوبة من ايـــران ايضا ، اسسها احد كبار الفرس يدعى (الميرزا عباس) وكانت تفي بحاجة السكان لقلة عدد القراء والكتاب آنذاك •

وفي الموصـــل انتشـــرت المطابع على أيدى (المبشرين الدومنيكان) الذين استوطنوها عام ١٨٥٦م فقد جلبوا معهم مطبعة حجرية ثم ابتاعـوا عام ١٨٥٩م مطبعة كاملة ، وفي عام ١٨٦٠م وهبت (جمعية مدارس الشرق بباريس) مبالغ طائلة وحروفا متنوعة للمبشرين (الدومنيكان) ، واول كتاب طبعته هو (رياضة درب الصليب) عام ١٨٦١م[١] • استمرت مطابع الدومنيكان في النشر الا ان السلطات العثمانية ، اثناء الحرب العالمية الاولى، صادرتها بدعوى تبعيتها لدولة معادية وضمت الى (مطبعة الولاية) • وعندما ولي (مدحت باشا) أنشأ (مطبعة الولاية) ـ الزوراء ـ التي جلبهـا من فرنسا ، وعلى أثر افتتاحها اغلقت مطبعة (التبريزي الحجرية) ابوابهـا ، كما احضر مع مطبعة الولاية (مطبعة حجرية) سميت (بمطبعة القيلق) ـ المطبعة العسكرية ـ تقوم بطبع مطبوعات الجيش المختلفة، وهي مطبوعات سرية لا يطلع عليها الا كبار الجيش • وقد أدت مطبعـة الولاية عملهـا باشراف مديرها (أحمد مدحت أفندي) ، الذي اصطحبه مدحت باشـا ، حيث بدأت بطبع جريدة (الزوراء) الجريدة الرسمية •

أخذت هذه المطبعة في النمو بعد عزل (مدحت باشا) عام ١٨٧٢م • وفي عام ١٨٩٣م (أصبح فيها تسع طابعات ، واحدة منها تدار بالبخار واثنتان تداران باليد واربع طابعات حجرية وآلة واحدة لتحسين الاقمشة واخرى لعمل المظاريف ، وقد اصدرت في هذه الفترة « سالنامة » أي الولاية)[٢] •

---

(١) راجع : دكتور لخليل صابات ـ تاريخ الطباعة في الشرق العربي ـ ص ٢٨٤ مصر ١٩٥٨ ، وروفائيل بطي ـ مجلة منبر الاثير ـ العدد السادس • ١٩٤٥

(٢) الدكتور خليل صابات ـ تاريخ الطباعة في الشرق العربـي ـ ص٢٨٥ •

وقد أسست (مطبعة الولاية) في الموصل عام ١٨٧٥م وقامت بطبع بالاوراق الرسمية والتقاويم التركية المعروفة (موصل سالنامه‌سي) وطبع جريدة (الموصل) ، ولم تكن هذه المطبعة مقصورة على طبع المطبوعات الحكومية وانما كانت تطبع كل ما يقدمه اليها الاهالي من مطبوعات .

وهنا لابد لنا ان نذكر ان هذه المطابع تفتح وسرعان ما تغلق ، لقلة عدد من يشترى مطبوعاتها حتى أن مطبعة الولاية نفسها كادت تتوقف عن العمل لولا أن استأجرها أحد الافراد لحسابه الخاص[١] .

ومجمل القول : ان الطباعة في العهد العثماني كانت متأخرة . ولما جاءت الحرب العالمية الاولى اصيبت الطباعة بنكسة ، لقلة الورق فاضطرت بعض المطابع الى اغلاق ابوابها واستمرت مطابع اخرى تشتغل يوما وتتعطل اياما حتى انتهت الحرب . الا ان الثورة ـ ثورة العشرين ـ ما لبثت أن اندلعت وهب العراقيون يدافعون عن حريتهم المسلوبة وارضهم المحتلة ، فكان للثورات العراقية أثر في تأخر حركة الاصلاح الطباعي بعض الوقت .

وعندما تأسست الحكومة الاهلية عام ١٩٢١م عكف العراقيون على بناء دولتهم الجديدة ، وكان من الطبيعي ان تساهم الطباعة في هذه الحركة . فأخذت المطابع تزداد واستأنفت المطابع القديمة عملها لاحياء تراثنا الادبي والثقافي وما زالت في ازدياد مضطرد الى يومنا هذا .

الصحافة قبل ظهور المطبعة :

مرت الصحافة بادوار خلال العصور المختلفة حتى ظهرت بشكلها الحاضر بظهور الطباعة . والصحافة قديمة قدم الانسان تنطق بلسانه وتعبر عن آرائه واتجاهاته . فهي مرآة تنعكس عليها مشاعر الجماعة

---

(١) الدكتور خليل صابات ـ تاريخ الطباعة في الشرق العربي ـ ص٢٩٥ .

وآراؤها وخواطرها بوسائل تعبيريـة تختلف من مجتمـع الى آخر ومن زمان الى زمان •

فللعراقيين القدماء (كالبابليين) صحف تسجل فيها الحوادث يومياً• والتاريخ يحدثنا ان الملك (حمورابي) كان يذيع اوامره على رعيته للحضور الى بابل للاشتراك في الاحتفالات الموسمية المعينة ، فقد دلت التحريـات الاثرية في نينوى ـ قرب الموصل ـ وما وجدته في مكتبة (آشور بانيبال) على سجلات مفصلة ومنظمة بحسب تواريخها وحوادثها وبالاخص حروب الملوك وفتوحاتهم •

كما اكتشفت مديرية الآثار العراقية في اطلال (عقرقوف) ـ قرب بغداد ـ طقما ـ حجرا ـ مقسما الى اثني عشر جدولا باسماء الاشـــهر البابلية مبينا ما يتحتم على الشعب عمله وذلك اشبه بما تقوم به صحف اليوم من بلاغات ومراسيم صيانة الامن وسلامة الدولة •

وقد اتخذت الاقوام (الاشورية) صورة اخرى لهذه الصحافة فقد كانوا يرقمون حوادث انتصاراتهم على الحجر والطين وبجانبها يصورون بالالوان صورا للاسرى فيها مشاهد تصور التمثيل بهم ، وكانوا يعرضونها في شوارعهم العامة وقصورهم الخاصة ، لذلك يعتبر (الاشوريون) أول من أوجد الصحافة المصورة[١] •

وقد اجتازت الصحافة اطوارا قبل اختراع الطباعة منها :ـ

طور الصحافة الشفوية :

حيث كانت الاخبار تلقى مشافهة ولنـا من تأريخ الادب العربي في مختلف ادواره دليل على الصحافة الشفوية ، فالرواة والشعراء والخطباء انما كانوا صحفيين ، لهم منزلتهم في مجتمعاتهم وتأثيرهم فيها •

---

(١) راجع : رفائيل بطي ـ مجلة منير الاثير ـ العدد الثالث ص ٢٢ عام ١٩٤٥ •

فالشاعر والخطيب كانا لسانها الناطق وقلبها النابض وليس غريبا أن تقيم القبائل قديما الولائم والافراح بخطيب يظهر وشاعر ينبغ فكانوا كصحف حزبية يدافعون عن القبيلة ويندون بخصومها ويشيدون بفرسانها ايام الحروب ، فهم اشبه بصحفنا اليوم . فحسان بن ثابت يعتبر صحيفة الاسلام والاخطل صحيفة بني امية والكميت بن زيد صحيفة آل البيت والطرماح صحيفة الخوارج وهلم جرا .

وبعد طور المشافهة يأتي :

طور الصحافة الخطية :

فقد مضى الناس يستنسخون هذه الاخبار . وقد شاعت صناعة النسخ في بلاد الرافدين في العصور الوسطى ولا سيما في البصرة والكوفة وبغداد. وقد ازدهرت الوراقة والنسخ ومارسها (نبغاء لمع اسمهم كأبي حيان التوحيدي فهو لم يتفوق في نسخ الصحف حسب بل كان كاتبا مبدعا يلي الجاحظ ان لم نقل يفوقه في اسلوبه الصحافي)[1] . فكان هؤلاء صحفي عصرهم . وليس من المغالاة في شيء اذا قلنا ان (الجاحظ) يعتبر شيخ صحافة زمانه .

يقول الدكتور عبداللطيف حمزة :(ولك ان تتصور معي رجلا من كتاب القرن الثالث الهجري كالجاحظ ـ ما اجدره ان يكون اول صحفي ممتاز لو عاش في عصر كالذي نعيش فيه ! بل ... كان بالفعل ذلك الصحفي الناجح الذي لم ينقصه يومئذ غير الاسم . لذلك نظرت الى الادب الجاحظي كله على انه صحافة كاملة لذلك العصر)[2] .

---

(١) رفائيل بطي ـ مجلة منير الاثير ـ العدد الثالث ص٢٢ عام ١٩٤٥ .

(٢) الدكتور عبداللطيف حمزة ـ مستقبل الصحافة ـ ج١ ص١٤ عام ١٩٦١ .

استمرت الصحف الخطية الى ان اخترعت المطبعة فكان ظهور الصحف مقرونا بظهور المطبعة فغلبت الصحف المطبوعة على الصحف الخطية .

واول جريدة ظهرت في عالم النشر بعد ذيوع الطباعة (سميت - غازيتا - وذلك في عام ١٦١٠م في مدينة البدقية)[١] ومنها انتشرت الى اوربا. يقول المفكر الفرنسي - الفيكونت دافنتل - : (ان الجريدة في نشأتها الاولى عند بدء اختراع الطباعة كانت تطبع في ورقة واحدة في كل اربع وعشرين ساعة حاوية كل الاخبار الهامة ، وكان نشر الاخبار هو الفكرة الاولى لانشاء الصحف ثم تطورت الصحافة حتى أصبحت الجريدة هي الصلة بين الزعماء والشعب والوسيلة لنشر الدعايات والافكار الجديدة ...)[٢] .

اما الشرق العربي : - فقد عرف الصحافة الحديثة على يد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م اذ جلبوا معهم مطبعة كبيرة لطبع المنشورات التي كانوا يوزعونها ليثبتوا بها لاهل مصر حسن نيتهم في حملتهم هذه وصاروا يطبعون جريدتيهم المشهورتين (بريد مصر) و (العشرية المصرية) أثناء اقامتهم من ١٧٩٨-١٨٠١م[٣] . ثم نظموا طبع جريدة عربية هي « جريدة التنبيه » التي تعد أول صحيفة في العالم العربي على رأي بعضهم ، الا أن « الدكتور ابراهيم عبده » أثبت أنها لم تصدر وان صدر المرسوم بانشائها[٤] .

---

(١) رفائيل بطي - مجلة منبر الاثير - العدد الثالث - ص٢٢ عام ١٩٤٥ .

(٢) راجع : عبدالله حسين - الصحافة والصحف - ط١ ص١٨ مصر عام ١٩٤٨ .

(٣) راجع : ناصر الحاني وجماعته - الادب العربي - ص١٤ - ١٥ بغداد عام ١٩٤٤ .

(٤) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص٩ ، مجلة منبر الاثير العدد الثالث ص٢٣ عام ١٩٤٥ .

لكن المسلم به أن جريدة « الوقائع المصرية »[1] هي أول جريدة عربية عامة صدرت ، أنشأها « محمد علي الكبير » عام ١٨٢٨م ونظم صدورها بعده « اسماعيل باشا » • وكان يحررها فطاحل أبناء مصر أمثال « محمد عبده » و « سعد زغلول » • ويقول الدكتور عبداللطيف حمزة : « وأن كان مؤرخو الصحافةالمصرية يذكرون أن هناك صحيفةمصرية سبقت (الوقائع المصرية) الى الظهور وهي صحيفة (جورنال الخديوي) • غير أنه تبين للوالي (محمد علي) بعد ذلك أن هذه الصحيفة لا تخدم أغراضه بما فيه الكفاية ، ولذلك فكر في انشاء (الوقائع المصرية) لخدمة هذه الاغراض ، ولكي توزع منها نسخ كثيرة تكفي أعضاء الاسرة المالكة وموظفي الحكومة وطلبة المدارس في الداخل والخارج ، وبعض أفراد الشعب المصري بالاضافة الى ذلك »[2] •

أما العراق :ـ

فقد شهد ميلاد صحافته على يد الوالي « مدحت باشا » الذي أنشأ أول جريدة في العراق المسماة « الزوراء » عام ١٨٦٩م لا لغرض ثقافي قصده ، وانما لنشر آرائه الاصلاحية و (الفرمانات السلطانية) • وأحقاقاً للحق أنها نبهت الشعب الى أن هناك صحافة وأوامر ، وهناك شكاوي فضلا عن الاخبار الاخرى •

وقد ظلت الجريدة الرسمية لولاية بغداد الى أن احتل الجيش البريطاني بغداد عام ١٩١٧ فاحتجبت ـ الا أن (رزوق عيسى) يذكر في مجلة

---

(١) كان اسم الصحيفة سابقا « غازيتا » الكن « أحمد فارس الشدياق » غيره فاطلق عليه اسم « صحيفة » أما اسم « مجلة » فقد اصطلح عليه « الشيخ ابراهيم اليازجي » • راجع هامش ص١٥ من كتاب « الادب العربي » لناصر الحاني بغداد عام ١٩٤٤ •

(٢) محاضرات الدكتور عبداللطيف حمزة بقسم الصحافة بجامعة بغداد عام ١٩٦٥ـ١٩٦٦م •

« النجم » الموصلية في عددها السابع :

« ورد في بعض أسفار رحالي الافرنج ومنهم الانكليز تلميحات واشارات الى أن أول صحيفة ظهرت في بغداد كانت تعرف باسم (جورنال العراق) أنشأها (داود باشا الكرجي) عندما تسنم منصب الولاية عام ١٨١٦م ، وكانت تطبع بمطبعة حجرية . بيد أن الكاتب المحقق لا يليق به أن يجزم بصحة ما طالعه في كتب الرحالة الاجانب ما لم يعثر على نسخة من تلك الصحيفة . ومن المحتمل أن لفظة (جورنال) يراد بها سجل العراق الرسمي (كالسالنامه) وليس جريدة بالمعنى المعروف اليوم »(١).

ولو سلمنا بهذا الرأي لوجدنا لهذه الجريدة أثرا أو نسخة منها في دور الكتب في بغداد وما جاورها من البلدان ، كما أن المطابع الحجرية لم تدخل العراق كما قلنا سابقا الا في عام ١٨٥٦م لهذا تبقى اليد في انشاء أول جريدة رسمية في العراق « لمدحت باشا » باصدار الزوراء . وبعدها كثرت الصحف الرسمية فقد تلت « الزوراء » ، « الموصل » المؤسسة عام ١٨٨٥م وتبعتها « البصرة » عام ١٨٩٥م . وهذه الصحف استمرت تنشر مرة كل اسبوع باللغتين العربية والتركية حتى توارت عن الانظار على أثر الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧م .

وقد مرت الصحافة العراقية منذ نشوئها عام ١٨٦٩م حتى بوادر الاستقلال عام ١٩٢١م بأدوار ثلاثة يتميز كل دور عن الذي يليه بميزات مختلفة ، تجلت فيها اختلات سياسة الهيئة الحاكمة واتجاهاتها فانعكس هذا الاختلاف على الصحف عامة من حيث أهدافها ، وسياستها العامة ، وتقدمها حينا ، وتأخرها ثانية . والصحافة مثلت الادوار المختلفة التي مرت بها ضمن واقعها السياسي والفكري ، والدور الذي لعبته باعتباره جزءا من التاريخ السياسي للعراق وهذه الادوار هي :

---

(١) رزوق عيسى ـ تاريخ الصحافة في العراق ـ مجلة النجم الموصلية ص٢٤٩ عام ١٩٣٤ .

١ ـ الدور الاول :

ويبدأ منذ نشوء الصحافة عام ١٨٦٩م الى اعلان الدستور عام ١٩٠٨م •

٢ ـ الدور الثاني :

ويبدأ من اعلان الدستور عام ١٩٠٨م الى احتلال القوات البريطانية البصرة في كانون الاول من عام ١٩١٤م •

٣ ـ الدور الثالث :

ويبدأ ببدء الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤م حتى بوادر الاستقلال عام ١٩٢١م •

وسنتكلم عن هذه الادوار بشيء من الايجاز •

١ ـ الدور الاول « ١٨٦٩م-١٩٠٨م » :

يعتبر (مدحت باشا) كما قلنا سابقا أول من وضع الحجر الاساس في خلق الصحافة العراقية بتأسيسه جريدته الرسمية (الزوراء) عام ١٨٦٩م • وكان العراق قبل هذه الفترة محروما من الصحافة • فقد كانت تصل اليه الصحف من عاصمة السلطنة استانبول (حيث عرفت السلطنة العثمانية الصحافة أول الامر عام ١٨٣١م عندما اصدر (السلطان محمود) أمره بتأسيس جريدة (تقويم وقائع) التركية ، فكانت الجريدة الوحيدة التي تصل العراق وكان العراقيون يعرفون التركية قراءة وكتابة أكثر من لغتهم العربية لانها لغة الدولة الرسمية ولغة التعليم كما سبق ذكره • اما الجرائد العربية فكانت معدومة آنذاك ولعل جريدة (الجوائب) (لأحمد فارس الشدياق) التي ظهرت في الاستانة عام ١٨٦٠م أكثرها انتشارا في العراق فيما بعد[١] •

---

(١) راجع رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص١٣

وعندما صدرت (الزوراء) الرسمية سعى مؤسسها لايجاد مجتمع عراقي يضاهي المجتمعات المتقدمة ، كما هو معروف عنه ، متخذا من (الزوراء) وسيلة لافهام العراقيين أن هناك حكومة وأنظمة ، وقوانين مما هيأ الاذهان الى الاستقرار ، والقضاء على عوامل التذمر ، وشجع الناس على نقد الولاة والحكام ، اذ كان لهذه الجريدة الحرية الكافية في نشر مطالب الشعب وشكاواهم ، وانتقاد اعمال الحكومة ، ومأموريها مطالبة بالاصلاح . الا أن هذه الحال لم تدم طويلا فقد عزل (مدحت باشا) عام ١٨٧٢م واعقبه ولاة كثيرون عمدوا الى طمس معالم الاعمال الاصلاحية التي قام بها . فتغيرت خطة (الزوراء) وفق اهواء الولاة ، ودخلت معمعة السياسة ، واتخذت لكل وال لبوسا يتفق ووجهته التي يرومها ، وجعلت المصانعة ديدنها ، واصبحت جريدة تركية ليس فيها ما يهم الناس، وبالاخص عندما تسلم (عبدالحميد) سلطنة الدولة العثمانية (١٨٧٦م - ١٩٠٩م) ضيّق على الصحافة في انحاء الدولة العثمانية وخشي سوء عاقبتها وسار ولاته في بقية الاقطار العربية على نهجه ، فاصبحت الصحافة في العراق (شأنها في ذلك شأن بلاد الامبراطورية العثمانية الاخرى ، معدومة الوجود تقريبا تحت ظل حكومة السلطان عبدالحميد)[1] .

يقول (فيليب دي طرازي) : (كانت الصحافة مطلقة الحرية تنشر الانباء على علاتها ... وتنتقد اعمال الحكومة ومأموريها حتى انها لم تشفق على السلطان نفسه ... فكانت تنشر المقالات الضافية عن مواقع الخلل ... بل انها كتبت صريحا عن مقتل الوزراء في دار الخلافة ...

غير ان السلطان عبدالحميد لم يكن يهمه من امور السلطنة الا صيانة حياته . خشي سوء العاقبة من دولة الجرائد وصولة كتّابها . فاصدر

---

(١) عبدالله الفياض - الثورة العراقية - ص٥٧

أمرا بتقييد حريتها وضيق عليها المراقبة ..)[1] . عاش العراق وصحافته فترة اضطهاد ، وطورد كل كاتب عراقي حر ، لهذا كانت الصحافة الرسمية التي تمثلها الصحف العراقية الثلاث في هذه الفترة ، الزوراء ، والموصل المؤسسة عام ١٨٨٥م ، والبصرة المؤسسة عام ١٨٩٥م ، اضافة الى مجلتين هما (اكليل الورد) المؤسسة عام ١٩٠٢م ، و (زهيرة بغداد) المؤسسة عام ١٩٠٥م[2] اقول الصحف الثلاث الرسمية صحف مداهنة وتملق فما كانت تنشر سوى ما يطيب للسلطان وولاته من الفاظ التفخيم والتعظيم رغم مظالمهم جميعا وسوء اداراتهم . وكانت الصفحات الاولى من هذه الصحف تبدأ بالدعاء للسلطان ، كما يقول سليمان فيضي ، بهذه العبارات :-

(اطال الله عمر مولانا أمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، خادم الحرمين الشريفين ، وخاقان البرين والبحرين ، السلطان بن السلطان ، والخاقان بن الخاقان عبدالحميد خان ادام الله عزه وأعز جنده واسعد عهده ونشر على بلاد الاعداء راية نصره ... الخ)[3] .

ثم يقول : (ولم تكن الحكومة لتمنح امتيازا لأية صحيفة اخرى مهما كان نوعها غير انه كانت تصدر « جريدة الاقبال » لصاحبها « عبدالباسط الأنسي » ، ولعلها كانت الصحيفة الوحيدة التي كانت تصدر في البلاد العربية ، وقد استطاع صاحبها ان يحتفظ بامتيازها بكثرة دعائه للسلطان والاشادة بذكره)[4] .

وقد منع الولاة دخول الصحف من الخارج سواء أكانت معارضة أم

---

(١) فيليب دي طرازي - تاريخ الصحافة العربية - ج٢ ص٧

(٢) راجع : عبدالرزاق الحسني - تاريخ الصحافة العراقية - ج١ ص١٧ النجف عام ١٩٣٥ .

(٣) سليمان فيضى - في غمرة النضال - ص٤٩

(٤) سليمان فيضى - في غمرة النضال - ص٥٠

مؤيدة ، ومن وجد بحوزته صحيفة من هذه الصحف الممنوعة كان مصيره اما السجن أو النفي الى الخارج أو الى مناطق نائية من العراق ابقاء على عزلة العراقيين التي ارادها العثمانيون .

حدثني الاديب العراقي ناجي القشطيني[1] : (ان زميله أحمد الشواف لاحظ ابنه ـ عبدالله ـ ذات يوم يدخل غرفته ويسدها سدا محكما على غير عادته ـ لينعم بقراءة الغازيتا ـ فما كان من الاب الا ان داهم الغرفة ، فوجد ابنه يقرأ ـ الغازيتا ـ فأرعد وازبد وانهال على ابنه بالضرب المبرح قائلا له : « لقد خربت بيتي بادخالك الغازيتا » فاذا بالابن المسكين يسرع الى احراقها خشية العيون والرقباء) .

وفي هذا الباب يحدثنا (سليمان فيضي) ويقول :ـ (ان الشيخ مبارك الصباح ، أمير الكويت ، كان مشتركا في جريدة (الخلافة) التي اصدرها في لندن بعض احرار الترك ، وعندما وشي جاسوس بوكيله في البصرة (عبدالعزيز سالم البدر) بانه دفع اشتراك هذه الجريدة ، كبست داره ، وتحققوا من دفاتره ، وحكموا عليه بالنفي الى ديار بكر عشر سنوات)[2] .

وهكذا استهتر السلطان وولاته باقدار الصحف .

يقول (سليمان البستاني) :ـ

(فكم من جريدة الغيت أو اوقفت لزمن محدود أو غير محدود ... بل كم من مرة فاجأ الجريدة أمر بتعطيلها ، وظل صاحبها يبحث اشهرا فلا يعلم لذلك سببا ...)[3] .

---

(١) شاعر وأديب عراقي معروف من شعراء ثورة العشرين .
(٢) سليمان فيضي ـ في غمرة النضال ـ ص٥٠
(٣) سليمان البستاني ـ عبرة وذكرى ـ ص٢٧ مصر عام ١٩٠٨

كثيرهم الصحفيون الذين سجنوا ، وعذبوا لاستعمالهم كلمات أتت عفو البديهة وفيض الخاطر انسجاما مع ما كتبوا (فكم من مرة انقضت الصواعق على رأس الصحافي لجهله أن هذه الكلمة أو تلك قد انتزعت بحكم الاستبداد من معجم الالفاظ الكتابية ... كالثورة والانصاف والحرية ، وان عبارة أو جملة وجب حذفها من ابواب الانشاء كقولك ، العدل اساس الملك ، والظلم مرتعه وخيم ، والحرية منتهى غايات الامم)[1] .

ومجمل القول : ان الصحافة في هذا الدور كانت لسان السلطان واعوانه ، به تشيد ، وبلسانه تنطق ، فقد عزفت عن الشعب ، بل تخلت عنه نهائيا ، ولم تعر لرغباته اية أهمية . وان خير وصف لهذه الحالة ما اثبته الدكتور (عبداللطيف حمزة) :

(... على الصحافة ان تتوخى التعبير عن هذه الشعوب ... أما اذا تخلت الصحافة عن هذا الواجب ـ الواجب المقدس ـ آراء الشعوب ـ فانها في هذه الحالة تخلي الطريق امام الحاكم المستبد فيبطش بها وبامته ويستعبدهما تماما)[2] .

وهذا ما حدث بالفعل للصحافة والشعب ، فقد ظل كلاهما ميتاً بصورة حيّ ، وظلت الصحافة بالذات أسيرة السلطان ، تنشر وفق ما يوعز ، لهذا ليس من التعسف في شيء اذا ما اطلقنا على هذا الدور دور الأستبداد .

٢ ـ الدور الثاني « ١٩٠٨م ـ ١٩١٤م » :

لم يكد ينبثق فجر الحرية في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م أثر

---

(١) المصدر السابق ص٢٨

(٢) الدكتور عبداللطيف حمزة ـ مستقبل الصحافة ـ ج١ ص٢٣٠ القاهرة عام ١٩٦١ .

اعلان الدستور حتى قام فريق من ادباء العراق ومفكريه ، واخذوا ينشرون الصحف على اختلاف نزعاتها ، وانطلقت الاقلام من عقالها ، وخرج المفكرون يستنشقون عبير الحرية • وأول من أقدم على ذلك (مراد بك) شقيق (محمود شوكة باشا) ـ قائد الانقلاب ـ فأصدر في العاصمة العراقية جريدة (بغداد) عام ١٩٠٨م • وتعتبر هذه الجريدة باكورة الجرائد الشعبية السياسية ، ثم حذا حذوه (عبدالجبار باشا الخياط) فأصدر في مستهل كانون الثاني من عام ١٩٠٩م جريدة (العراق) ثم قام بعده (عبداللطيف ثنيان) فأنشأ جريدة (الرقيب) في الثامن والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٠٩م[١] •

ثم توالى اصدار الجرائد الشعبية ، وأخذت تكتب بصراحة وبحرية لا حد لها •

يقول رفائيل بطي : (اخذت الصحف تكتب ما كان يعز كتابته أو التطرق اليه في العهد المباد فلبست الصحافة ثوباً زاهياً من المقالات الحرة والأقوال الصريحة)[٢] •

وقد خفت الرقابة على الصحف ، وتمتع الناس وبخاصة الصحفيين منهم بنوع من الحرية لم يألفوها من قبل ، ولا سيما في الفترة الواقعة بين عامي (١٩٠٨م ـ ١٩٠٩م) تلك الفترة التي ساد فيها التبلبل السياسي وظهور بوادر الوعي القومي في العراق • اذ اخذت تهز وجدان الشعب العراقي نزعتان : نزعة الرابطة الاسلامية ، والاتجاه نحو الدولة العثمانية ، والدفاع عن استقلالها ، ونزعة ثانية تدعو الى الاستقلال ضمن اطار الدولة العثمانية • نتيجة لهذا خاضت الصحف في هذه الموضوعات ، واتجهت الى

---

(١) راجع : رزوق عيسى ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ مجلة الحرية البغدادية المجلد الاول ص٤٢٢ •

(٢) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٢٠

الجدل السياسي والحزبي مع نقص الخبرة في الصحافة والسياسة معا ، فظهرت (في انهرها مهاترات شخصية يندى لها الجبين)[1] .

يقول محرر جريدة العرب البغدادية : (كانت محتويات تلك الصحف الانتقاد بلهجة شديدة قارصة تدل على تهور وانتقام وسوء أدب وقد يقحم في عباراتها السب والشتم)[2] .

هذه الصحافة الشعبية ظهرت على أيدي نفر من الصحفيين استغلوا الحرية الممنوحة لهم ، فهبوا يتراشقون بالكلام البذيء ، والتهم الرخيصة ، وكان المفروض في هؤلاء الصحفيين أن يحتضنوا هذا المولود الجديد - الصحافة الشعبية - لخدمة مجتمعهم وتوجيهه الى سبيل الاصلاح لان الصحفيين زعماء امتهم لا يتاجرون بمقدرات بلادهم .

وكم هو خليق بالاشفاق على ذلك الشعب - العراقي - الذي دنس فضيلة صحافته هدف مادي أو غرض شخصي ، وفي هذا المعنى يقول الدكتور عبداللطيف حمزة : (اذ المفروض في الصحافة أن تكون مرآة للرأي العام الذي عاشت في احضانه مرتبطة بمصيره)[3] .

فالصحفي ، كما هو معروف في أى زمان ومكان ، تقع عليه مسؤولية الامانة ، والدقة ، وتحري الحقائق والهاب شعور المواطنين للمطالبة بحق اغتصبه غاصب أو استهتر به مستهتر ، لكن شيئاً من هذا لم يكن له وجود في تلك الصحف ، بل من المستحيل ان يكون هذا ، لأن الولاة كانوا يعتمدون على ضروب مختلفة من الفساد والافساد الصحفي وشراء الضمائر وقلب للحقائق ، بل كم من مرة حرضت الدولة اعوانها ، من ذوى

---

(١) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص٢٠
(٢) جريدة العرب البغدادية عدد ٤٤ في ٢١ ايلول عام ١٩١٧
(٣) الدكتور عبداللطيف حمزة - الصحافة والمجتمع - ص٤ القاهرة عام ١٩٦٣ .

الاقلام المأجورة ، على الصحف التي تجاهر بالحق كما حدث للمرحوم (عبداللطيف ثنيان)[1] .

بعدت الصحافة عن المجتمع وانزلقت في متاهات لا حد لها . وانصافاً للواقع يتحتم علينا ان تذكر في هذا الباب ثلاثاً من الصحف هي : الرقيب ، والرياض ، وصدى بابل ، عرفت واجبها وادت الامانة الصحفية على أتم وجه فقد كانت تعالج موضوعات ذات أهمية . فجريدة (صدى بابل) نشرت في عددها الثالث عشر الصادر في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٠٩ مقالا طالبت فيه باستخدام اللغة العربية في الدوائر الرسمية جاء فيه :

(كثيرا ما لهجت جرائدنا الوطنية وغيرها من الصحف والمجلات بطلب اتخاذ لغتنا العربية رسمية في ديارنا هذه . وقد افاض ابناء العرب في هذا البحث بما لديهم من الدليل والتعبير عن خواطرهم ... فأقول ولا اخشى معترضاً انه قد يستحيل في جميع الاصقاع - يقصد العراق - ان يرى بين ذلك الشعب الغفير من يحسن كلمة من التركية ما خلا افرادا في المدن يعدون على الاصابع) ثم ختمت المقال بقولها : (فقد بلغنا من الخدمة ما هو علينا . فرض واجب وضربة لازب) كما نشرت في العدد السابع عشر عام ١٩٠٩ مقالا أخر طالبت فيه باستعمال اللغة العربية في المرافعات وقالت : (ان الحكومة التركية أن أصرت على استعمال اللغة التركية فانها تقيم قائمة أولاد العرب عليها) .

ثم نشرت في العدد الخامس والسبعين قصيدة عنوانها (الندبة العراقية) تعاتب فيها نواب العراق في (مجلس المبعوثان) على خمولهم ، وجبنهم في مطالبتهم بحقوق العراقيين جاء فيها :-

---

(١) راجع : رفائيل بطي - الصحافة العراقية - ص٢٦

فقولوا لنواب العراق اما لكم تشـاغلتم عنا باعلى المراتب
يشق علينا جبنكم وخمولكم ولو كنتم نسل الكرام الاطايب[1]

اما جريدة (الرقيب) : ـ فقد عرفت بالجرأة والشعور بالواجب وكان صاحبها (عبداللطيف ثنيان) شاهراً قلمـه ، فما كان حسنا اطـراه وما كان خطأ انتقده • جاء في عددها (١١٥) مقال بعنوان (كتاب لأنظـار والي الولاية المحترم) تحدثت فيه عن الاصلاح واستتباب الامن في بغداد مخاطبة (ناظم باشا) :ـ (يا حضرة الناظم المحترم تجاسرنا على مقامك السامي قبل هذا بكتابين على اعمدة جريدة الرقيب ••• وقد جئناك اليوم بثالث كما سنعقبه برابع وخامس الى اخره • فنأمل منكم الاصغاء التام لأن هذا لسان الامة وهي ترجمان افكارها • ايها الناظم المحترم ندعوك اليـوم لاجراء أمر مهم لا يوازيه أمر غيره الا وهو الامن لأن الامن لا يقاس به أمر مهما كان عظيما ••• فأرنا همتك وانشر فينا عدلك • وفقك الله لمـا يصلح البلاد ويريح العباد أجمعين)[2] •

وقد كلفت هذه الصراحة صاحب الرقيب وصدى بابل ثمنا غاليا ، اذ حرضت الحكومـة اصحاب الاقلام المأجورة والصحف المرتزقة على مهاجمتها مما أضطر صاحب الرقيب الى تعطيل جريدته ، وفرّ من خصمه الوالي واعوانه الى الشام • اما صاحب صدى بابل فوقف يقارعهم الحجـة بالحجة ويندد بخصومه • فقد كتب مقالا بعنوان (لو ذات سوار لطمتني) جاء فيـه :

(كل يعلم السبب الذى ألجأ حاتما في ارساله هذا المثل) • ونحن نصدر به عبارتنا هـذه الى (مرقعـة الهندي)[3] ـ بمعنى لو ذو علـم

---

(١) جريدة صدى بابل عدد ٧٥ ك٢ عام ١٩١١م
(٢) جريدة الرقيب عدد ١١٥ عام ١٩٠٩م
(٣) جريدة عراقية خاصمت صاحب « صدى بابل »

ناظرني ـ .

لقد عثرت بطريق الصدفة على الجزء من تلك المرقعة ، ووقفت على تطاوله وخروجه عن حدود الادب وسنة الكمال ... وتعلقه بأذيال اسمال السفاهة . ولم اعجب لشأنه لان لكل امرىء من دهره ما تعودا فذكرني حالة قول الاسكندر (لموتحة)[1] عند رجوعه عن النساء اللائي برزن لمحاربته حيث قال :

(هذا جيش ان غلبناه فما لنا فيه من فخر ، وان غلبنا ، كما غالبنا حضرة صاحب المرقعة بذيء الكلام ، فذلك فضيحة الدهر) . فهنيئاً لك أيها السادر في خيلائه قد غلبتني فانك بالسب احذق لأني ، وحق حرمة ادبك ، لم اتعود ذلك منذ دبت حتى شبت ، فكيف اتعوده وقد وخطني الشيب ، فأن السفه ليس من شأني ولا سلكت له صراطا . فاكرر التهاني لحضرتك انك بالسب احذق . كيف لا اهنئك وحضرتك لم تزل متنافساً بهذا الخلق النميم ... فوالحق يقال : لقد حزت في ميدانه قصب السبق وكل واحد يمكنه أن يقول :ـ

ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره

على أن آدابي لا تسوغ لي ذلك وعند هذا أمسك القلم عن الجرى في هذا المكان فتكون فيه خاتمة الكلام والسلام)[2] .

---

(١) أحد قواد الاسكندر المقدوني .

(٢) جريدة صدى بابل عدد ٣٣ في ١٩ آذار عام ١٩١٠ .

جاء في مجمع الامثال للميداني ج٢ ص١٧٤ ـ تحقيق محمد محي الدين ـ المطبوع بمصر عام ١٩٥٩ أن المثل « لو ذات سوار لطمتني » لم يقله حاتم ، وانما قال : « لو غير ذات سوار لطمتني » كما ورد في ج٢ ص٢٠٢ من المصدر نفسه . ويروي الاصمعي المثل على هذا الوجه ، وذلك أن حاتما الطائي مر ببلاد « عنزة » في بعض الاشهر الحرم فناداه أسير لهم : يا أبا سفانه أكلني الاسار والقمل فقال : ويحك أسأت اذ نوهت باسمي في غير

فقد اساءت الصحف استعمال معنى الحرية وفي هذا يقول محـــرر جريدة العرب :

(ظن الناس أن عهد الحرية اقبل وأن صباح النور انبثق ، فأخذ الكتّاب والشعراء ... يدبجون المقالات ... حتى انهم تعدوا طورهم واجروا اقلامهم في ابحاث حادوا فيها عن سواء السبيل وخاضوا في مسائل تأباها الاداب وتنبذها الاديان وتمقتها الحرية الصادقة نفسها)[١] . مر على هذه الفوضى القلمية حوالي خمس سنوات والصحف الوطنية تنبه الى الخطر الجسيم الذى يكمن وراء هـــذه المهاترات . فقد كتبت جريدة (صدى بابل) مقالا بعنوان (تقدم بلادنا وتأخرها) جاء فيه :

(... أن من أكبر دواعي تأخرنا هو الانشقاق الداخلي ... فأننا والحق يقال لا نهدأ ولا نمل من أن نرشق بسهام القذف والطعن من هو أقرب منا من الاخوان ، ولا ننفك معهم عن تصويبها نحو غيرنا . وهكذا لم تزل كل امة تتحامل على اختها ، ويقذف قوم بنبال التنديد غيرهم . ويطعن آخرون ... حتى كثر الشقاق واتسع الخرق وتفاقم الخطب . فكيف يرجى ـ ناشدتكم الله ـ التقدم والنجاح لقوم هذا دأبهم وديدنهم ؟! ... وكيف نرجو اذا تقدمنا ونحن امة منشقة تحارب نفسها بنفسها ؟! فهذه هي حالة الخـــراب التام والدمـار العميم فيا للشـــقاء . وللداهية والمصـــيبة)[٢] .

بلاد قومي ، فساوم القوم به ، ثم قال أطلقوه واجعلوا يدي في القيد مكانه ففعلوا ، فجاءته امرأة ببعير ليفصده فقام فنحره ، فلطمت وجهه فقـــال : « لو غير ذات سوار لطمتني » . يعني : اني لا أقتص من النساء ، ففـدى نفسه فداء عظيما .

(١) جريدة العرب عدد ٤٤ في ٢١ ايلول عام ١٩١٧م .

(٢) جريدة صدى بابل العدد التاسع في ٨ تشرين الاول عام ١٩٠٩م

وكتبت أيضا مقالا بعنوان (الحرية والاصلاح) جاء فيه :ـ (يا ابناء الوطن ليس الدستور الا سوادا على بياض واوراقاً مطبوعة لا يجدي الملة في شيء أن لم تقم هي نفسها بتعزيز أركانه واخراجه الى حيز العمل به وتخدم وطنها خدمة صادق حر شفيق على شعبه واهله . وليعلم بنو قومنا اننا لو بقينا على ما نحن عليه ... لم تقم لنا بعدئذ قائمة ولم نحظ بشيء من ذلك أبدا حتى نتجرع كأس المنية ونشرب حمياها ونخسر بالصفقة ونخيب بالنهضة في حاضرنا ومستقبلنا)[1] .

الا أن الصحفيين لم ينفع معهم نصح أو ارشاد ، وقد استمروا في طيشهم (مما جعل الرجعيين يقفون على فريسة باردة ، فخرجوا من أوجارهم ، وطفقوا يندددون بحرية الصحافة التي خلعها الدستور على الاقلام غير المدربة والصحافين الهوج)[2] .

ولابد لنا أن نرجع سبب هذه الكارثة الى كثرة الجرائد والمجلات التي صدرت عند اعلان الدستور ، واكثرها كانت هزيلة . وهذه الجرائد التي صدرت هي :ـ

١ ـ بغداد ٢ ـ العراق ٣ ـ الرقيب ٤ ـ الارشاد ٥ ـ الانقلاب ٦ ـ التعاون ٧ ـ الروضة ٨ ـ الحقيقة ٩ ـ صدى بابل ١٠ ـ الزهور ١١ ـ بين النهرين ١٢ ـ الرياض ١٣ ـ مصباح الشرق ١٤ ـ سبيل الرشاد وغيرها[3] فقد بلغت الاشباع فصار يتولى التحرير فيها أى شخص بغض النظر عن ثقافته ومؤهلاته ، ولا يتحاشى أى شخص في اصدار أية صحيفة . الا ان الاتراك رأوا في هذه الصحف خطرا يهدد كيان دولتهم ،

---

(١) المصدر السابق العدد الخامس في ١٠ ايلول عام ١٩٠٩م

(٢) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٢١

(٣) راجع : فيليب دي طرازي ـ تاريخ الصحافة العربية ـ ج٤ ص٨٠ بيروت عام ١٩٣٣م .

فحظروا نشر الجرائد ما لم تكن مرخصة من الاستانة أو بأمر خاص من الوالي ، فضاق الخناق على الصحافة حتى أصبحت الحرية خبراً من الاخبار • وقبل اعلان الحرب العالمية الاولى زاد الاتحاديون في مطاردة كتّاب الصحافة واصحابها ، فمنهم من قتل أو نفي أو منع من اصدار الجرائد ، واصبح كل موظف تركي أشد استبددا من (عبدالحميد) الذى ضرب به المثل بحكمه المطلق • وهكذا انتهى هذا الدور وقد جنت منه الصحافة والصحافيون أنواعا من الحرية والاضطهاد في وقت معا •

٣ ـ الدور الثالث « ١٩١٤م-١٩٢١م » :

قبيل الحرب العالمية الاولى ـ كما قلنا سابقا ـ زاد الاتحاديون امعانا في ملاحقة الصحف ومحرريها ، بل ادى بهم الحقد على الصحافة العراقية ان قتلوا وسجنوا وعذبوا الصحفيين الاحرار لمعارضة اكثر الصحف العراقية الحزب الحاكم « الاتحاد والترقي » لا سيما صحف البصرة التي كانت تتمتع بنوع من الحصانة ، مكتسبة من هيبة زعيم المعارضة هناك «السيد طالب باشا النقيب » •

يقول رفائيل بطي : « وجدت الحكومة ان صحف البصرة تتمتع بنوع من الحصانة ، مكتسبة من هيبة زعيم المعارضة هناك ـ طالب باشا النقيب ـ وتأثيره على السلطة مما يجرىء هذه الجرائد على الامعان في النقد والمقاومة »(١) ، مما الجأ وزارة الداخلية في الاستانة الى ابلاغ والي البصرة في اخريات عام ١٩١٣م « باقفال جميع الصحف الموجودة والامساك عن منح امتياز اية جريدة جديدة »(٢) •

ويخيل الينا ان حكومة الاستانة خشيت الروح القومي الفياض الذي

---

(١) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٣٨

(٢) المصدر السابق ص٣٩

طغى في الصحف لئلا يشجع ذلك بقية الصحف الاخرى في بقية انحاء المملكة العثمانية للجهر بقوميتها والدعوة الى استقلالها . فعمدوا الى كم الافواه « ومنعوا الناس عن الجهر بالقول ، وحرموهم الصراحة في الكلام ، واصبحت خبرا من الاخبار ، فأخذ الناس يبتعدون عن هذا الميدان »[1] . اما القلة من الصحفيين فقد صمدوا امام هذا الارهاب ، متمسكين بعقيدتهم القومية مطالبين باستقلالهم .

وقد انتهز الحاكمون المنتمون الى حزب « الاتحاد والترقي » اعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م فرصة للايقاع بالصحفيين المعارضين والتنكيل بهم . فعطلوا الصحف ولاحقوا الصحفيين المعارضين من ذوي النزعة القومية العربية ، فنفوا « داود صليوا » صاحب جريدة «صدى بابل» و« الاب انستاس ماري الكرملي » صاحب « مجلة لغة العرب » و« ابراهيم صالح شكر » صاحب « مجلة الرياحين »[2] . وطاردت السلطات العثمانية البقية الباقية بحجة ظروف الحرب الاستثنائية ، لذلك اقفلت جميع الصحف الشعبية الا جريدة واحدة هي «الزهور» لصاحبها « محمد رشيد الصفار» لموالاتها للحكومة ، وتأييدها سياسة الحاكمين حتى نهاية الحرب العالمية الاولى واحتلال الموصل بعد ان غيّر اسم جريدته فأسماها « دعوة الحق ». غير ان العثمانيين رأوا أبان الحرب ان يستعينوا بالصحافة في بث الدعاية لهم والتشنيع بخصومهم الانكليز ، فأنشأوا لهذا الغرض جريدة يومية في بغداد في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩١٥م[3] اسموها « صدى الاسلام » تنشر باللغتين العربية والتركية ، وعني حزب « الاتحادوالترقي» بها عناية فائقة فأختار لها خيرة كتاب الصحافة العراقيين مثل : ابراهيم

---

(١) عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ ج١ ص٩ .
(٢) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٥٥ .
(٣) راجع : عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الصحافة العراقيـة ـ ج١ ص ٥٥ .

حلمي العمر ، والشاعر خيري الهنداوي ، والشاعر عبدالرحمن البناء ، والشاعر جميل صدقي الزهاوي •

وقد نشرت ـ صدى الاسلام ـ الفتاوى العديدة لرجال الدين في تحريض المسلمين العراقيين على الثورة على أعداء الاسلام ـ الانكليز ـ •

ولما احتل الانكليز البصرة في غرة كانون اول من عام ١٩١٤م ، اتجهوا الى الصحافة كعادتهم ليوطدوا بها سلطانهم ويرسخوا سيادتهم • فكان اول عمل قاموا به الاستيلاء على « مطبعة الولاية » الرسمية بالبصرة ، ثم ابتياع المطابع الاهلية ليخلو لهم الجو في النشر والاعلام ، وتوجيه الرأي العام العراقي • فأخذوا ينشرون نشرة يومية باديء الامر باللغتين العربية والانكليزية تذيع في الناس أنباء المعارك الدائرة في جبهات القتال ، ثم أصبحت فيما بعد جريدة يومية اطلق عليها اسم « الاوقات البصرية » • ظهر عددها الاول في عام ١٩١٥م باربع لغات ، العربية ، والتركية ، والفارسية ، والانكليزية وكانت خير اداة للاعلان عن سياستهم • وقد لعب « المستر جون فلبي » السياسي الانكليزي المعروف دورا هاما في تحريرها • ولم تكتف القوات البريطانية بهذه الصحيفة ، بل اصدرت مجلة اسبوعية مصورة اسموها « العراق في زمن الحرب » الى جانب جريدتهم المشهورة • وقد ضمت هذه المجلة صورا للوقائع الحربية مع صور للشخصيات العراقية الموالية لسياسة الاحتلال البريطاني لا سيما شيوخ القبائل (١) •

هذا ما كان من امر الصحافة في البصرة •

اما في بغداد : فقد اهتم الانكليز بأمر الصحافة ، فلما دخلوها منتصرين عام ١٩١٧م استطاعوا ان ينشئوا جريدة « العرب » في الرابع من

---

(١) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٤٣

تموز في نفس العام • وكان الهدف من اصدارها محـاولة فرض الرأي الاستعماري على جماهير العراقيين تحت شعارهم المعروف « جئنا محررين لا فاتحين » • وقد عهدالى « مستر جون فلبي » ادارة سياستها وتحريرها•

اما هيئة تحريرها فقد تولاها الادباء العراقيون (من الاصدقاء المقربين للحكومة الانكليزية) كما تقول (مز بل)[1] وهؤلاء الاصدقاء المقربون هم نخبة من رجال العلم والادب في العراق اغرتهم السلطات المحتلة بانها جريدتهم لبث الفكرة القومية ، وخدمة اللغة العربية ، وتثقيف الشعب • وقـد اجزلت لهم الاجور العاليـة • والغريب في الامر ان اكثر هؤلاء المحررين كانوا ينشرون مقالاتهم باسماء مستعارة ، وللقـاريء اللبيب ان يدرك المغزى من هذا •

ثم توالت الصحف والمجلات بالظهور مثل « الاوقـات العراقية » ظهرت في غرة كانون الثاني من عام ١٩١٨م ، وجريدة « دار السلام » في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩١٨م ، ومجلة « دار السـلام » في السادس من تشرين الاول عام ١٩١٨م ، ومجلـة « النادي العلمي » في الخامس عشر من كانون الثـاني عام ١٩١٩ م ، وجريدة « العراق » في مستهل حزيران من عام ١٩٢٠م • وهذه الجرائد والمجلات جميعها كانت تمالىء القوات المحتلة والسير في ركابها •

يقول عبدالرزاق الحسني : « لما استولى الانكليز على العراق اخذوا ينشرون في البلاد بعض الصحف التي تروج مبادئهم وتحسن الى الناس سياستهم »[2] •

ولا بد لنا ان نذكر هنا ان الظروف السياسية مدة الاحتلال البريطاني

---

(١) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٤٣

(٢) عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ ج١ ص٩

للعراق ، عملت على كبت الشعور الوطني بمساعدة هذه الجرائد الموالية ، فقد استغلت الناحية القومية لبث روح الحقد والكراهيــة على الاتراك ، وكانت لطخة سوداء في جبين الصحافة العراقية في هــذه الفترة ان تقود الرأي العام العراقي أيد هي ابعد ما تكون عن الامــانة الوطنية • غير ان المخلصين من ابناء العراق شــعروا بالمرارة لارتمــاء اكثر الصحفيين في احضان المستعمر ، فنشأ نتيجة لهذا تياران متصارعان : هما التيارالصحفي الموالي للقوات المحتلة ، والتيار الثاني : هو التيار القومي الــذي يروم الخير لامته ولشعبه • وقد عانى هذا التيار الاخير من التعسف والاضطهاد من السلطات المحتلة غير انه صبر باصرار وعناد وكانت ثمرة صبره ايقاظ الشعور الوطني للقيام بثورة العشرين ، فأنتعشت الصحافة عند قيام الثورة، ولعبت دورها الفعال بفضل جهود المجاهدين العراقيين الذين استطاعوا قبل اعلان الثورة بالتمويه على السلطات المحتلة للحصول على امتياز لاصـدار مجلة شهرية ،في مظهرها « مجلة تاريخية ادبية مصورة » وفي حقيقتهـا سياسية لبث الروح القومي • وهذه المجلة هي «مجلة اللسان» عام ١٩١٩•

وقد لاقت رواجا منقطع النظير لعنايتها بالقضية العربية بصورة عامة، والقضية العراقية بصورة خاصة •

وكذلك فطنت الاحزاب السرية العراقيــة قبيل ثورة العشرين الى اهمية الصحف في الاعداد للثورة • يقول رفائيل بطي : « قرر فرع حزب العهد العراقي بالاشتراك مع بقية الاحزاب الوطنيــة ، وهم يتدابرون الخطط للثورة على المحتل الغاصب ، اصدار جريدة تتابع حركة الايقاظ، والحوا على حكومة الاحتلال في طلب الاذن بجريدة باسم « الاسـتقلال » فمنحتهم امتيازها بعد تردد ومماطلة في الثامن والعشرين من ايلول عــام ١٩٢٠م »(١) • وقد عملت هذه الجريدة بفضل صاحبها « عبــدالغفور

(١) رفائيل بطي ـ الصحافة العراقية ـ ص٥٨

البدري » ، احد اعضاء حزب العهد ، وجهوده لتهيــأة الجو للثورة في انحاء العراق كافة •

اما مركز قيادة الثورة في النجف : فقد اتخــذ الثوار من جريدة « الفرات » المؤسسة في الخامس عشر من ايلول عام ١٩٢٠م وسيلة لبث روح التآلف ، وتشجيع الثوار ، وشرح تعاليم الثورة ، ونشر مســاوىء الاحتلال • ثم رأى الثوار ان يؤسسوا مكتبا للدعايـــة والاخبار المتعلقة بالثورة ، فقدموا طلبا للقائممقام المنصب من قبل الثوار بأصــدار جريدة في النجف بأسم « الاستقلال » فوافق على ذلك ، فصدرت في الثامن عشر من ايلول عام ١٩٢٠م طافحة بالمقالات وآراء المجتهدين من رجال الدين وفتاواهم • وان تاريخ الكفاح العراقي ليسجل لهذه الجريدة صفحــة ناصعة رغم قصر عمرها • وهذه الصحف جميعا توارت عن الانظار بعد ان قضي على الثورة •الا ان الصحافة لاقت بعد هذا فترة من الجمود •

ولما تألفت الحكومة الاهلية بانتخاب فيصل ملكــا على العراق عام ١٩٢١م اخذت الصحف تنشر في طول البـــلاد وعرضها ، واقبل الكتاب ورجال الادب على اصدار الصحف فأنتعشت الصحافة فيهذه الفترة وبدت الحاجة اليها ماسة لاداء واجبها القومي •

يقول رفائيل بطي :« سارعت الحكومة في منح الاذون بها ••وطفقت الاقلام تدعو الى استقبال الصفحة الجديدة من حياة العراق بعودة الملك الى اهله الشرعيين »[١] •

وقد صدرت جرائد عديدة نذكر منها :ـ

١ ـ الفلاح « في ٢٠ حزيران عام ١٩٢١م» لعبداللطيف الفلاحي •
٢ ـ دجلة « في ٢٥ حزيران عام ١٩٢١م » لداود السعدي •

---

(١) رفائيل بطي ـ الصحافة العراقية ـ ص٥٨

٣ ـ الرافدان (في ٢٦ أيلول عام ١٩٢١م) لسامي خوندة[١] .

بيد ان هذه الجرائد التي ظهرت في هذا العهد الملكي ، كان معظمها قصير العمر للعداء المستحكم بين الحكام والصحفيين الاحرار . فكانت الصحافة بين الالغاء والتعطيل وقد اتخذ الحكام من قانون المطبوعات العثماني الصادر في السادس عشر من تموز عام ١٩٠٩م سيفا مصلتا على رقاب الصحافة . ذلك القانون الذي ذاق منه الصحفيون العراقيون الامرّين ، وقد بقي هذا القانون ساري المفعول حتى عام ١٩٣١ حيث حل محله « قانون المطبوعات المرقم ٨٢ لعام ١٩٣١م » . وقد عدل هذا القانون عدة مرات[٢] .

يقول الحسني : « اما الصحف الادبية فلم يكن هناك قانون يحميها أو سلطة شعبية تدافع عنها ، فكانت تحت رحمة الموظف المسؤول يسحب امتيازها متى شاء او يأمر بتوقيف اصدارها اذا اراد »[٣] .

ورغم كل ما لاقته الصحافة من ضروب الاضطهاد ، فان قسما من هذه الصحف بقي دائب الخدمة والجهاد ، كما وان الصحافة واجهت المزيد من التحديات ، كما واجهت في الماضي . ولكنها في النتيجة انتصرت على كل التحديات ونالت حريتها لان حرية الصحافة في الحقيقة لا تعني حرية الاجهزة القائمة على اخراجها بقدر ما تعني حرية الجماهير . وهي ليست مُلكا للحكام كما ظن العهد الملكي المباد الذي اراد خنقها والحد منها ، وانما حرية الصحافة تعني حرية الناس وحقهم في الاطلاع على كل ما يدور في وطنهم العربي الكبير وفي العالم اجمع . وهذا ما حققته ثورة تموز عام ١٩٥٨م بالفعل .

---

(١) راجع : عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ ج١ ص٦٢ .

(٢) راجع : عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الصحافة العراقية ـ ج١ ص١١ .

(٣) المصدر السابق ص١١

الفصل الثالث

أهم الصحف

(١٨٦٩م - ١٩٢١م)

أهم الصحف

(١٨٦٩م – ١٩٢١م)

لم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني غير الجرائد الرسمية : الزوراء ، والبصرة ، والموصل • فما كاد يعلن الدستور عام ١٩٠٨م حتى هب العراقيون على مختلف نزعاتهم وميولهم الى اصدار الصحف والمجلات في مختلف انحاء العراق • متخذين من الحرية التي منحهم اياها الدستور المذكور وسيلة للتعبير عن آرائهم وعما يجول بخواطرهم • فقد كان في هذه الفترة بامكان اى فرد يملك ثمن الورق والطبع ولو لعدد واحد ان يصدر جريدة ، وكان صاحب الجريدة يجمع في شخصه المالك للجريدة ، ورئيس تحريرها ، والمخبر ، ومدير ادارتها ، وقد يكون الموزع في اكثر الاحيان [١] • كما ان اكثر الذين زاولوا مهنة الصحافة اعوزتهم الثقافة في ابسط قواعدها ، مما ادى الى ضعف مستواها الفني ، والكتابي وخاصة في مناقشاتها السياسية • فأدى ذلك في النهاية الى كسادها ، ثم غيابها عن الانظار •

يقول المؤرخ العراقي رزوق عيسى :–

« ان معظم تلك الصحف توارت عن الانظار ••• لقلة الرواج الذي صادفته لان الشعب العراقي لم يكن مستعدا في ذلك الحين كل الاستعداد لتلاوة الصحف ومطالعتها كسائر الاقطار الراقية هذا فضلا عن ان فن الصحافة كان حديث العهد في ربوعنا وان طائفة من ارباب الصحف لم يكونوا يحسنون لغة اجنبية تساعدهم على تعريب مقالات سياسية ونقل شذرات ادبية واجتماعية الى العربية ودرجها في اعمدة صحفهم » [٢] •

---

(١) راجع فصل – كتاب الصحافة –
(٢) مجلة الحرية البغدادية المجلد الاول ص٤٢٢ سنة ١٩٢٥ •

والظاهرة الغريبة في صحفنا في فترة البحث انها تظهر الى الوجود وسرعان ما تختفي دون أن يعرف الناس عنها شيئاً . وقد وصف هذه الحالة « عبدالرزاق الحسني » بقوله : « تصدر عدة جرائد ومجلات من وقت لآخر وفي فترات متقاربة جداً باسماء متباينة وتحت مسؤوليات مختلفة واكثرها يصدر ويختفي ولا يعرف الناس عنه شيئاً ... فهي تصدر ولكن لا تلبث اكثر من بضعة ايام حتى تبتلي بمرض افلاسي او اجرامي فتدهمها المنية فتميتها »[1] .

ولعل الآفات التي اصيبت بها الصحافة العراقية من المهاترات الصحفية واتخاذ الطعن والسب وسيلة للتنكيل بعضهم بالبعض الآخر مما جعل الناس يفقدون الثقة بالجرائد وعدم الركون الى لهجتها فعمها الكساد وادى الى زوالها .

جاء في جريدة العرب البغدادية :ـ

« ان هذه الصحف كانت بضاعة كاسدة والقراء أقل من القليل وقد نفق بعضها في عهد الاتراك ، لان اغلبها تصدر بلغتين نصفها بالعربية والنصف الثاني بالتركية ... وعندما يمضي عليها شهر وعرف فكر صاحبها ملت والقيت بين النفايات »[2] .

وقد احصى (فيليب دى طرازي) عدد الصحف التي صدرت من (١٨٦٩م ـ ١٩٢١م) في الجزء الرابع من كتابه الصحافة العربية على النحو الآتي :ـ

(٥٨) صحيفة في بغداد ، (١٦) صحيفة في البصرة ، (٦) في الموصل

---

(١) عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الصحافة العراقية ج١ ص ١١ سنة ١٩٣٥ .

(٢) جريدة العرب البغدادية عدد ٤٤ في ٢١ ايلول سنة ١٩١٧ .

وواحدة في كركوك ، وواحدة في النجف وواحدة في كربلاء »[1] .

كما أحصي ايضا عدد المجلات خلال الفترة نفسها :ـ

« ١٥ مجلة في بغداد ، وواحدة في النجف ـ العلم للشهرستاني ـ وواحدة في كركوك ـ كوكب المعارف ـ والاثنتان في الموصل ـ اكليل الورود والنادي العلمي ـ »[2] .

وقد أعتمد « دي طرازي » في احصائه هـذا على « رزوق عيسى » صاحب مجلة العلوم . يقول رزوق عيسى : « نشرت سنة ١٩١٠ لمجلة باسم العلوم وبعثت بعددها الاول الى فيليب دي طرازي فطلب الي ان اكون مراسلا للصحف التي تصدر في العراق فلبيت الطلب لما يترتب على ذلك من الخدمة الادبية للعراق في نهضته الادبية ... فكنت أدون تاريخ كل صحيفة تنشر والخص مقدمتها وخطتها والغاية التي ترمي اليها »[3] . ويتبين لنا مما تقدم ان اكثر الصحف كانت قصيرة العمر بحيث اصبحت العادة لكل جريدة عندما تقرظ جريدة جديدة ان تدعو لها بالحياة الطويلة لئلا تكون كسابقتها في الاختفاء . وفي بحثنا هذا سنتناول الصحف التي ظلت دائبة الخدمة والاثر في احد العهود الثلاثة : العهد العثماني ، والاحتلال البريطاني ، والحكم الاهلي ، سواء أكانت صحيفة رسمية ام شعبية ، والتي خدمت البلد على الصعيدين الرسمي ، والشعبي لما لذلك من أثر هام في تاريخ صحافتنا العراقية خاصة والصحافة العربية عامة .

---

(١) فيليب دي طرازي ـ تاريخ الصحافة العربية ـ ج٤ ص٨٠ بيروت سنة ١٩٣٣ .

(٢) المصدر السابق ج٤ ص١٤٨ .

(٣) مجلة النجم ـ السنة السادسة ـ العدد السابع ص٢٤٩ عام ١٩٣٤م .

جريدة الزوراء

(١٨٦٩م - ١٩١٧م)

عيّن مدحت باشا عام ١٨٦٩م واليا للعراق وله الرغبة الصادقة في الاصلاح والاخلاص في العمل • وقد ولّى الرجل وجهه شطر مختلف شؤون العراق فرأى الجهل ، والفقر المدقع ، والمرض المتفشي • لذلك قرر ان يُصدر صحيفته الرسمية ـ الزوراء ـ لتنبه الشعب الى ما يروم القيام به الوالي وما يجب على الشعب عمله • فكانت هذه البادرة خير موقف للشعب ، فأنصاع الناس الى آرائه وتوجيهاته كما انهم من ناحية ثانية لاسفاقوا عن طريق الزوراء من ان هناك حكومة وقوانين ، وهناك اصلاحا افعليا ، ومراقبة على الموظفين من قبل الحكومة • حتى بلغ الامر بهذا الشعب أن يتجرأ على نقد حكامه على صفحات الزوراء بجرأة وصراحة وقد كان من قبل محروما منها • وكان « مدحت باشا » يتحقق عن أكل من عرف عنه سوء حالة من الموظفين ليضرب على يده • عزل قائمقام راوندوز بسبب ارتشائه ، وهكذا فعل بمدير ناحية عنه ، كانوا قد اخذوا بعض المبالغ باسم الرسوم ، وسيق هؤلاء للمحاكمة ، وصار الموظفون يخشون أن يعبثوا بالامن لما يجري من مراقبة فكان الناس بمأمن •• »[١] •

وقد اعد الوالي العدة قبل ان يصدرها فأصطحب المحررين من الاستانة وعلى رأسهم الكاتب التركي المعروف ـ أحمد مدحت افندي ـ وجلب لها المطبعة المسماة ـ مطبعة الزوراء ـ «الولاية» من فرنسا وما ان تمت كل الترتيبات حتى صدر عددها الأول يوم الثلاثاء في الخامس من

---

(١) الزوراء ـ العدد الثاني ـ السنة الاولى سنة ١٨٦٩م •

ربيع الاول من عام ١٢٨٦هـ الموافق السادس عشر من حزيران عام ١٨٦٩م باللغتين العربية والتركية وقد جاء في ترويستها « هذه الغازيتا تطبع في الاسبوع مرة يوم الثلاثاء وهي حاوية لكل نوع من الاخبار والحوادث الداخلية والخارجية » .

وقد نشرت في هذا العدد صورة الفرمان العالي لمدحت باشا بتوليته ولاية بغداد وهذه بعض فقراته المترجمة الى اللغة العربية بلغة ذلك العهد :ـ

« وزيري سمير الدراية مدحت باشا :ـ

توقيعي الهمايوني الرفيع اذا وصل يصير معلوماته من المستغني عن الوصف والبيان والايضاح والتبيان ، خطة ولاية بغداد الجسيمة من اعظم القطع المركبة من الممالك المحروسة من دولتي العلية ومن اقتضاء ارضها ووضعها قابلة لكل نوع من الاعمار والترقي وهذا شيء من المسلمات وبناء على كل نوع لاجل استحصال اسباب اعمارها اعز الآمال والمطالب عند سلطتي الهمايونية اقتضى انتخاب وتعيين ذات مقتدر بمنه تعالى بايصال الفعل الى حيزه في رأس ادارة ذلك المحل وفق آمالي الهمايونية وانت الى الآن بوقوفك ووجودك في خطوب سلطتي السنية مع اتصالك بالغيرة والاقدام والدراية وحسن ابراز خدماتك ان شاء الله الملك المعين تقتدر على ايفاء مطلبي المستصحب للميمنة والخير . فقد صدرت ارادتي السنية المزينة لسنوح المواهب احالة وتفويض ادارة امور ملكية وعسكرية الولاية المذكورة اعتبارا من اليوم الثاني من شهر ذى القعدة سنة الف ومائتين وخمسة وثمانين لعهدة لياقتك » .

وفي هذا العدد الاول تحت عنوان (المقالة) ورد خطاب مدحت باشا الذي القاه في الاحتفال بقراءة ذلك الفرمان العالي يكاد يكون اشبه بالمنهاج الوزاري في عهدنا الحاضر وفي ثناياه الصورة الواضحة لشخصية

الرجل ، وميله الى اثارة النفوس للعمل وهذا نصه كما ترجمته الزوراء :

« قد علم من يعرف التركية حكم هذا الفرمان العالي السلطاني ، ومن لم يعرف وجب عليه أن يعرف من غيره ، وان جل مقاصد سلطاننا ان ينال الاهلون الرفاه والسعادة وفي ظل العدل والرأفة سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ••• وان ينالوا الحد اللائق من استكمال ذلك والمحافظة عليه ، وان اول واجب الموظفين أن يخدموا هذه المهمة ويقوموا بها خير قيام ••• » .

ثم ينتقل الوالي بعد هذا الى وصف حالة العراق وتأخره وماوصلت اليه الحال والى فطرة اهله وشهرتهم فيقول :ـ

« ••• وهنا الاراضي تقبل كل نوع من العمارة والاهلون لائقون لكل تعليم ، وفطرتهم معلومة واستعدادهم مشهور ، فيستطيعون اكثر من غيرهم التقدم ، لينالوا حظا من الثروة والحضارة ••• لكن الخراب المستولى ، وعدم النشاط ناجم من تقصير الاهلين ••• ولا منجاة من هذه الورطة الا بالانقياد للمتبوع الاعظم ••• ونأمل ان نصل الى الغاية المطلوبة فنرى الآثار النافعة وثمار المساعي في اقرب مدة » وبعد هذا يطنب مدحت باشا في وصف الغنى ويذكر العراقيين بحالة العصر وتقدمه ويقول :ـ

« ••• وليعلم ان الغنى لا يراد به جمع النقود ووضعها في الصناديق او الخزانات وحبسها هناك وانما النقود المطلوبة هي ان تتداول بين الناس وان يراعى فيها وجائب العصر وحالاته ، وان تراعى التجارة والزراعة كما يقتضيه العصر ••• »

وبعد هذا ينتقل الى تحديد مسؤولية الموظف ، ويبين رأيه في الهيئة الادارية وما يعمله الناس تجاه الموظف فيقول :ـ

« ••• وليعلم كل موظف انه لم يعمل لنفسه ، وانما يعمل في حدود

وظيفته للقيام بخدمة الاهلين وسلامتهم وسعادتهم ، وليعاون الاهلون الموظفين فهم في حاجة الى تسهيل هذه المهمة التي يقومون بها ، وليتحملوا المشاق في هذا السبيل فيما لم يدركوا نتائجه، وهو مما يعود للكل بالخير» .

وفي الاخير يجمل الوالي خطابه بقوله :ـ

« والحاصل ان كل ما يعمل لا يقصد منه الا راحة الاهلين وسعادتهم وسلامتهم فمن واجبهم الانقياد والطاعة التامة . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لما يرضي السلطان من الخدمات ، وان نؤديها بنجاح ، وان ينجينا من الخطأ جميعا ... آمين » .

كانت الزوراء تنشر في اعدادها مختلف شــؤون الولاية والانباء الرسمية والمعاهدات ورسائل من مختلف انحاء العراق . والمتصفح لاي عدد من اعدادها يجده مرتبا على هذا النحو :ـ

اخبار داخلية ـ تحتل الصــدارة ـ فاخبار خارجيــة ، وأوامر سلطانية ، وكلمات ثناء واطراء على سياسته والتسبيح بحمـده كما انها لم تهمل السياسة الدولية ، وما يحدث من تغييرات فيها من ذلك قولها :ـ

« نظرا للاخبار المأخوذة بواسطة التلغرافات الماسكين طرف الحكومة في باريس قد غلبوا على الجمعية الاشتراكية والنفوس التي قد قبض عليها منهم اليوم وهم في السجن مغلولين يتجاوز عددهم عن ستين الف نفس . فاذا كانت هـذه الاخبار صحيحة فيكون أمن فرنسـة قد عاد والاختلال الظاهر قد اندفع وارتفع »[1] .

كما انها تقتنص الاخبار الخارجية التي تثير الهمم في نفوس الجنـد ليتخذوا منها العبر اسوة بغيرهم في الدول الاخرى ، من ذلك مـا جاء في عددها «١٥٨» :ـ

---

(١) الزوراء العدد ١٤٥ السنة الثانية في ٨ مايس سنة ١٨٧٠م .

« قرأنا في الجرائد ما فحواه : ان نياشـــين « المدالية » التي تعطى لعساكر المانيا الذين كانوا في محاربة فرانسا قد تقرر اعمالهـــا من نحاس المدافع التي اخذت من فرانسا وان يتحرر على صفايح هذه النياشين هذه العبارة فعلى الصفحة الاولى « قد عمل من نحاس المـــدافع التي اخذت من الاعداء » وعلى الصفحة الثانية « لله الشكر فان جانب الحق قد صـــار معيننا »[1] • وقد يكون في العـدد الواحد اكثـر من خبـر خارجـي • ففي العدد السابق نفسه خبر خارجي آخر جاء فيه :ـ « مما طــالعناه في اوراق الحوادث ان التأمينات التي اعطتها دولة ايطاليا للبابا من جهةاتخاذها بلدة روما مقرا لكرسي حكومتها قـــد كتبت في درج خط نفيس وطليت أطرافها بالذهب تصدق اعلاها بأمضاء قرار ايطاليـــا البارلمتو وشورى الدولة وقد ارسلت مع مأمور مخصوص الى روما لاجل التقديم »[2] •

هذا فضلا عما تضمنته اعدادها من ارشادات عامة ، ومقالات صحية تنبه الجمهور الى الاهتمام بالصحة العامة ، واتخاذ الاحتياطات اثناء انتشار الاوبئه ، حفظاً لسلامة الناس، وهو شبيه بما تفعله صحفنا اليوم من وسائل التوعية الصحية اثناء انتشار الامراض • من ذلك قولها تحت حقل « مواد خصوصية » :ـ

« ••• بمناسـبة ظهور القوليرا ـ الكوليرا ـ في بندر ابو شهر كانت قد اتخذت التدابير المقتضية حسب القاعدة التحفظية بحق من يأتي من هناك الى البصرة لكنها كيف ما كان ظهرت احيانا في المحل المسمى ـ القورنة ـ وبعد الدوام بها كم يوم زالت واندفعت فقطمقتضى ما اخذناه من الاشعارات التلغرافية انه بهذا الدفعة ظهرت ايضا في البصرة بصورة شديدة حتى ان يوم الثامن من شهر مارت توفي من الذين عرض لهم هذا الداء اربعة عشر

(١) الزوراء العدد ١٥٨ السنة الثالثة في ٢٢ حزيران سنة ١٨٧١م
(٢) المصدر نفسه •

نفرا وثاني يوم سبعة عشر نفرا وهؤلاء الذين قد توفوا اكثرهم من الاعجام » ثم بعد هذا تنتقل الزوراء الى وصف الاحتياطات التي اتخـــذتها الحكومة لمنع انتشارها « ••• بناء على ذلك فقد لزم ••• اجراء التدابير الاحتياطية واعطيت الاوامر المقتضيـــة من جانب الحكومـــة الى المأمورين بان علة القوليرا هذه ما دامت باقية ان لا يدعوا ـ وابورا ـ او ســـفينة تمر لذلك الطرف وكل من يأتي يوقفونه في القورنـــة لاجل اجراء ـ القرنتينة ـ ـ الحجر الصحي ـ » ثم بعد هذا تذكر الجريدة الموطن الاصلي لهـذا المرض واسبابه : « •• وسبب علة القوليرا التي تظهر هنا بكل سنة في اكثر الاوقات هي سارية من ممالك ايران لان تلك الممالك هي منبع لها لما فيها من الاوساخ والقاذورات ••»

ثم تختتم الزوراء هـــذا المقال بحث النـــاس على التحفظ من هذا المرض : « ••• وفي ابتداء الظهور منها يعتني في التدابير التحفظية حسب الامكان وفي اسرع وقت •• »[1] •

كما انها كانت تراقب الموظفين ، واعمالهم ، وتحذرهم من مغبـــة التماهل في وظائفهم ، وتنذرهم مما ادى الى سير الامور بصورة متقنة جاء في العدد «١٣٠» :ـ

« لا يخفى ان تنظيف محلات مدينة بغـــداد هو محوّل الى بعض الخدمة والمأمورين والمعاش الذي يعطى لهم في كل شهر يبلغ الى (ستة او سبعة آلاف غرشا) ومع ذلك فالنظافة المطلوبة غير صالحة •• وهذا الامر انما هو حاصل من عدم دقة المأمورين •• »[2] •

هذه اللهجة الصريحة ، وهذا القول الحق مما زاد في تعلق الناس بصدق ما تقول وترشد •

---

(١) جريدة الزوراء العدد ١٢٩ السنة الثانية ١٣ اذار سنة ١٨٧٠م
(٢) جريدة الزوراء العدد ١٣٠ السنة الثانية ١٦ اذار سنة ١٨٧٠م

الواقع ان جريدة الزوراء حوت الكثير من اخبار العراق ، واحواله السياسية ، والثقافية ، والتاريخية . فهي اعظم موسوعة يرجع اليها في هذا الشأن .

يقول مؤرخ الصحافة العراقية رزوق عيسى : « وفيها من النبذ التاريخية النفيسة ما لا توجد في مصحف من مصاحف التاريخ العراقي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري »[1] .

استمع الى احصائيتها لسكان بغداد عام ١٨٧٠م حيث تقول :ـ

« لا يخفى أن بلدة بغداد مع انها تحتوي على مقدار ثمانية عشر ألف دارا واهاليها وسكنتها يصل مقدارهم الى ماية وخمسين الف نفس » .وفي العدد نفسه تستطرد الى وصف ما ألفه الناس ، وما اعتادوه في شؤونهم المعاشية حينذاك فتقول : « ... فالحنطة التي تطحن لمأكولات هذا المقدار من النفوس قد انحصرت اما في الرحى التي تدار بالبغال او باليد حتى ان اجرة طحينة الحنطة تصل الى ثلث ثمن الحنطة وما عدا ذلك فالحنطة التي تطحن لا تصير وفق المطلوب بل بعض الطحين يخلط ويفسد وهذا هو من الامور الثابتة بالتجربة فالآن جعلت الحكومة السنية علاوة على الهمة التي بذلتها في حقوق العموم من استكمال راحة الجميع يعني انها قد تشبثت في جلب ماكنة للطحين »[2] .

والمتصفح لاعداد الزوراء في أيام مدحت « ١٨٦٩م ـ ١٨٧٢م » يخرج بنتيجة : هي انها اتخذت الحق ديدنها ، والمصلحة العامة رائدها غير انها غيرت لهجتها عندما اقصي مدحت باشا من ولاية بغداد فدخلت معمعة السياسة ، ولبست لكل دور لبوسه ، واصابها ما اصاب الصحافة في

(١) مجلة الحرية البغدادية المجلد الاول ص٤٢٤ عدد تموز سنة ١٩٢٤م .
(٢) الزوراء العدد ١٤٥ السنة الثانية ٨ مايس ١٨٧٠م

العهد الحميدي من الضغط ، والتشديد عليها ، وخنق حريتها ، الا انها استمرت في الصدور .

جاء في جريدة العرب البغدادية « ... كان في كلامها شيء من الحرية والمجاهرة بالحق في ايام مدحت ولما غادرها جعلت المصانعة ديدنها »[1] .

وقد سجلت الزوراء في سنواتها الثلاث بدقة كل ما قام به المصلح مدحت باشا من أعمال ، وأصلاحات بحيث تعتبر خير مرجع لتأريخه في العراق كما يقول رفائيل بطي[2] استمرت الزوراء تنشر باللغتين التركية والعربية زهاء أربعين سنة . وعندما اعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨م وظهرت جرائد عربية في بغداد طوى قسمها العربي ، وصارت تكتب باللغة التركية وحدها . فأحتج على ذلك فريق كبير من العراقيين من ذوي النزعة القومية فأذعنت الحكومة لطلبهم ، ثم عادت تنشر باللغتين اعتبارا من العدد (٢٤١٨) الصادر في ١٢ تموز عام ١٩١٣م[3] . وقد حرر فيها أول الامر بعض موظفي الولاية ممن لم يحسنوا العربية لذلك اصاب القسم العربي منها (التباين في الاسلوب فكانت ركيكة سخيفة أحيانا)[4] اذ المألوف ان تكون هذه الجريدة ذات صلة وثيقة بمن تخاطب من العرب الذين يتكلمون العربية ، وتعبر تعبيرا صادقا في الفاظ معروفة ومعاني سائدة ، لكن هذا ما لا نجده في الزوراء الرسمية التي تصدر في بلد عربي هو العراق بلد الادب واللغة . فقد عفي عليهما حتى كأنك تقرأ رطانة

---

(١) جريدة العرب العدد (٤١) ٢١ ايلول سنة ١٩١٧م

(٢) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص١٥

(٣) راجع مجلة الحرية البغدادية : المجلد الاول ص٤٢٥ عدد تموز ١٩٢٤م .

(٤) مجلة منبر الاثير ـ العدد السادس ـ ص٥ سنة ١٩٤٥ .

لا صلة لها بالعربية وتردد الفاظا مبتذلة عامية تشـــعر وانت تقرأها اشبه بالغريب في لغتك ومصطلحاتك . اقرأ معي هـــذا المقال تحت عنوان : « عريضة مخصوصة الى جريدة حقايق الوقايع » : ـ « بينما انا في مطالعتي الى نسخة جريدتكم التي نمرتها «١٦٩» الواردة بهــذه المرة مع البوستة قراءتي الى صورة المكالمـــة التي جرت بين الصلح والحرب واذا ورد جاسوس خيالي الذي كنت قد ارسلته مقدما الى تجسس الافكـار وحيث انني قد امرته بالذهاب الى الجبهة الشمالية وفي رجوعه سألته عن من رأى ومع من تلاقى هناك ... وحيث انني لاحظت ان هذه الافادة لا تخلو من فائدة ... وصرت مجبورا على تقديمها وعرضها لديكم بمعرفـــة جريدة الزوراء حيث انه ليس لي واسطة غيرها الى تقديم ذلك اليكم »[١] ثم اورد الكاتب بعد ذلك محاورة خيالية بين شخصين احدهما يدعى (حرب) والثاني يدعى (خيال) . وقد كنى بالاخير عن الجاسوس الذي بعث به جبهة القتال . وهي محاورة يخرج منها القاريء بفكرة ضد الحرب .

واقرأ مقالا آخر تحت عنوان ـ مواد عمومية ـ :ـ

(... لا يخفى ان الدولة التي تملك على أورمانات[٢] واسـعة فلا شك ان هوائها يكون معتدلا ويكون ذلك سببا مستقلا لادخار النقود . اما ممالك السلطة السنية حال كونها مملوة من هذا الجوهر . فحدوث الغوايل المتمادية كانت حـــايلة عن ذلك وبقت تلك الثروة مرمية على الارض ...)[٣] قد يعترض معترض فيقول : ان هذا شيء مألوف في كل جريدة حيث يظهر في اعدادها الاولى هذا النوع . ومع ايماننا بوجاهة هذا الرأي الا ان الجريدة أنحطت كذلك في اواخر أيامها . فقد قال عنها

---

(١) جريدة الزوراء العدد ١٢٨ السنة الثانية ١٨٧٠م

(٢) « أورمان » اسم للأجمة باللغة التركية .

(٣) جريدة الزوراء العدد ـ ١٣١ ـ السنة الثانية ١٨٧٠م .

الاب انستاس ماري الكرملي :ـ « وأما مواضيعها فلا تستحق الـذكر • وا أسفاه على ولاية بغـداد ان تكون جريدتها الرسميـة بهذه الصورة الدنيئة »[١] • اذ المفروض فيها ـ الزوراء ـ وفق منطق التطور أن تبدأ بسيطة ساذجة ثم تنمو ، وتزدهر حتى تكامل لكن هذا لم يحدث •

يقول رفائيل :ـ « وقد انتقد الزوراء بعض ادباء العرب في العـالم العربي ، وقد نعوا عليها هذه الركاكة الفاضـحة والغلط المزري »[٢] • وقد تداركت السلطة هذا الامر فأناطت تحرير قسمها العربي « بجماعة من رجال العلم والادب من العراقيين منهم احمـد عزت باشا الفاروقي الموصلي » وقد كان ينشر فيها ما تجود به قريحته من شعر •

قال مادحا السلطان عبدالعزيز « ١٨٦١م ـ ١٨٧٦م » :ـ

سـلطاننا عبدالعزيز بعـدله
قـد عمّر الدنيـا واطراف الفلا

حتى لقد غصّت لهـاة الطف في
سـكانها والضيق فيهـا استفحلا

والكرب منهم والبـلا في كربلا
قـد حلّ حتى لا خلاء ولا ملا

وغـداة قد ضاق الخانق بأهلها
والصحن منها بالزحام قد امتلى

صـدرت ارادته السـنية في بنـا
أرض تكون وسيعة لحمى الملا[٣]

---

(١) مجلة المسرة اللبنانية عدد شباط سنة ١٩١١م •
(٢) مجلة منبر الاثير العدد السادس ص٥ سنة ١٩٥٤م •
(٣) جريدة الزوراء العدد ـ ٢١٩ ـ السنة الثالثة سنة ١٨٧١م •

ويظهر لنا ان هذا الشـــعر ركيك برغم انه قيل في مدح السلطان عبدالعزيز • غير ان له قصيدة اخرى في تهنئة الوالي مدحت باشا بالسيف المرصع المهدى له من الباب العالي ، وقد جاءت جزلة في كثير من ابياتها ، وبعيدة عن الركاكة التي وصفت بها الابيات السابقة ومنها قوله :ـ

لله ســـيف لاح وهو مـــذكر
في حده غدت الايـــادي تنحـر

سـيف ترصع بالجلال وانــه
يخشــاه من هذا الهلال الخنجر

والنــار كامنة بصفحة حــده
والمــاء من افرنـــده يتفجر

فتظنــه قد ســـال من اطرافــه
مــاء به نار الصواعق تُسعر

الى ان يقول :ـ

يا ايهـــا المولى المشير ومن به
بـــدر الوزارة يستنير ويزهر

عمـرت اطـراف العراق وانــه
لولاك ما كان الولايـة تعمـــر

انت الذي اوليـــت ما اوليتنـــا
من نعمـــة عظمت على من يشكر

انت الرشـــيد وهــذا كرخنا
والفضل يحى والطليعـــة جعفر

كم خصــك السلطان منه بصارم
لا زال يذكر في الانام ويشـهر

وراك اعلا للســـوف لانــه
اصبحت ســيفا غمده لا يكسر

فهو النــذير غدا بكفك قائما
نعمــانه يجري وانت المنــذر[1]

ثم تولى تحرير الزوراء بعد الفاروقي اخوه علي رضا • وقد حرر فيها كذلك الشاويتون ، عبدالحميد ، واحمد ، وعبدالمجيد ، والاستاذ طه الشواف ، والعلامة محمود شكري الالوسي الذي كان لمقـــالاته اثر في تحريك الجو الادبي[2] • لذلك يلاحظ القاريء في اعدادها المختلفة ان لغتها ، واسلوبها يصلان تارة الى الذروة فيجد في عباراتها حسن السبك ، وجزالة اللفظ ، وسلامة التعبير ، واخرى يهبطان الى ارك من الركاكـــة فيرى عبارات عقيمة ، غامضة ، ضحلة ، ومنشـــأ كل ما ســبق يعود الى اختلاف ثقافة محرريها ، وقابلياتهم المتباينة •

عاشت هذه الجريدة مدة «٤٩» عاما ، وبلغت اعـدادها « ٢٦٠٦ » • وقد نشر عددها الاخير عام ١٩١٧م ثم توارت عن الانظـــار اثر احتلال الانكليز بغداد •

وهكذا استطاعت الزوراء ان تقدم للعراق اجل الخدمات في الميادين الثقافية ، والاجتماعيـــة ، وان تكون صورة للفكر العراقي ، والادب العراقي في الفترة التي عاشتها •

---

(١) جريدة الزوراء العدد ـ ١٨١ ـ السنة الثالثة ١٨٧١م
(٢) راجع : مجلة منبر الاثير العدد السادس ص٥ عام ١٩٤٥م

جريدة الرقيب

(١٩٠٩م – ١٩١٠م)

ما كاد ينبثق فجر الحرية بأعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م حتى قام فريق من الادباء العراقيين ، ومفكريه من المعنيين بالشؤون العراقية بأصدار الصحف عملا بما أعلنه الدستور بإطلاق الحرية للشعب •فظهرت لاول مرة في تاريخ العراق الجرائد الشعبية وفي طليعة من اقدم على ذلك – مراد بك – الذي أصدر في العاصمة العراقية جريدة بأسم «بغداد» (١) وتعتبر هذه الجريدة باكورة الصحف الشعبية ثم حذا حذوه «عبداللطيف ثنيان » احد الادباء العراقيين المعروفين فأصدر جريدة « الرقيب » •

ظهر عددها الاول في الثامن والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٠٩م• وقد جاء في ترويستها انها : « جريدة عربية تركية خادمة لترقي الوطن بكمال الحرية » • صدرت في اول امرها مرة واحدة في الاسبوع • لغاية عددها الحادي عشر من السنة الاولى • غير ان قراءها ألحّوا على صاحبها بأصدار « الرقيب » مرتين في الاسبوع فلبى طلبهم وقد جاء فيه : « بناء على اصرار اغلب القراء الكرام علينا بأصدار الجريدة مرتين في الاسبوع التزمنا أصدارها اليوم بصورة فوق العادة لاننا قد ذكرنا في العدد الاول : اننا لا نصدرها مرتين او اكثر في الاسبوع الا بعد وصول مطبعتنا الخصوصية ••• ولكن اصرار المومأ اليهم التزمنا بتكرارها ••• وأملنا بالله تعالى المعونة بعد ورود المطابع على اصدارها مرتين او ثلاث مرات•ومنه

(١) وقد تبين بالبحث أن هذه الجريدة مفقودة ولا وجود لعدد من أعدادها في مكتبات بغداد •

لتوفيق »[1] . كانت تصدر باللغتين التركية والعربية غير ان القسم التركي كان صغيرا جدا بالنسبة للقسم العربي الـــذي يشغل معظم صفحاتها وقد رحبت الرقيب كزميلاتها بتأييد المشروطية ـ الدستور العثماني ـ على أمل انه يحقق الحرية كما اعلنها الدستور . جاء في مقال لها تحت عنوان ـ تأييد المشروطية والاشتراك فيه ـ: « لا يخفى على عموم اخواننا العثمانيين ما كنا نلاقيه في الدور السالف من انواع الظلم والتعدي والاستبداد والاستعباد وما كنا نئن تحت ثقله ... حتى قيض الله سبحانه لهذه الملة المظلومة من قام بنصرتها وهم « جمعية الاتحاد والترقي » الذين طالما ذكرنا فضلهم على الامة ونوهنا بذكرهم وحمدنا لله عز وجل على انهم تمكنوا بمعونتـه تعالى من قلب ذلك الدور النحس .. »[2] .

وقد سجلت هذه الجريدة مواقفها الجريئة ، وصراحـــة لهجتها ، ومجابهة الحكام بقول الحق . ولك ان تقرأ خطتها في عددها الاول ومـا التزمت به قولا وعملا لتجد صلابتها ، وسلامة نهجها : « لاح لنا ان نذكر لقراء « الرقيب » خطة حركته التي لا يمكن ان يروغ عنها او يزيغ فيما يأتي ، الا وهي التعقيب لما يتمكن من تعقيبه من احوال المأمورين والاهالي على اختلاف مللهم وتباين نحلهم وتضادد اهوائهم فيذكر الحسـن منه ويطريه ليقتدى به ويذكر القبيح ويستهجنه ليتجنبه الغير ... فلذلك جعلنا خطة الرقيب خطة حرة الى آخر درجة تذكر المسيء وتقبح فعلـــه مهما كان .. وتذكر المحسن وتقدر احسانه ... »[3] . وقد كان لجريدة الرقيب تأثيرها في المجتمع ومكانة مرموقة بفضل صـــدق قلم صاحبها ، واخلاصه لوطنه ، وصراحته في معالجة قضايا العراق يوم كانت معالجة مثل تلك القضايا من اصعب الامور واشقها على الكاتب ، كمـــا ان الدولة

---

(١) الرقيب ـ العدد (١١) السنة الاولى ١٩٠٩م .
(٢) الرقيب ـ العدد (١٧) السنة الاولى ١٩٠٩م .
(٣) الرقيب العدد الاول السنة الاولى ١٩٠٩م .

لا تتورع من ان تكيل التهم لمن يصارحها من الوطنيين العراقيين فقد تتبع تبيان غير هياب من سجن او نفي اعمال الحكومة وخططها فما وجـد منه الخير للعراق اشاد بذكره ، واثنى عليه وما كان خطأ ، استهجنه وندد به.

من ذلك قوله في مدح « رشدي بك » احد الموظفين الاتراك بمقـال تحت عنوان « الرجال صناديق مقفلة » جاء فيه :ـ

لقد صدق من قال :ـ

ان الرجـــال صناديق مقفلـــة
ومـــا مفاتيحـا الا التجـارب[1]

نعم قد صدق ولم يقل ذلك الا بعد ان عرك الزمان وعرف الرجال واحوالهم واطوارهم لان الرجال بصفتهم رجالا لا يتميز بعضهم على بعض في الخلقة والحركات ولا يمكن ان تعرف اخـــلاقهم الا بعد التجـارب ولعمري لا تجربة احق واصوب من تجربته بعد ما تسند اليه الوظـائف المهمـة ...)[2] .

الى جانب هذا المدح ، نجد في العدد «٩٧» تحذيرا للحكومـــة في مقال تحت عنوان ـ لحضور مقام الولاية الجليلة ـ جاء فيه :ـ « جئنـاكم اليوم راجين على السنة العموم ... الامر بصورة الجد والاهتمام في اجراء توحيد الاوزان والمقاييس في الولاية وتوابعها ... فـان لم تقوموا بذلك وتفتيش أمور البلدية بيد الحازم رشدي بك فلا يمكن ان يطبق هذا الامر على أهالي العراق .. وتكونون السبب في أبقاء الفقراء مغدورين ولا يمكن أن ترضوا ذلك ... والله الموفق والميسر »[3] وقد ادت هـذه الجريدة

---

(١) في الاصل : ان الرجال صناديق مقفلة وما مفاتيحها الا التجاريب (التجارب) لابد ان تكون (التجاريب) لتقييم الوزن .
(٢) الرقيب العدد (٩١) السنة الثانية في ٨ شباط ١٩١٠م .
(٣) الرقيب العدد (٩٧) السنة الثانية ١٩١٠م .

الامانة الصحفية التي عقدها عليها العراقيون ، وقد صبت جهدها على توجيه الصحفي النزيه لانه القائد الموجه . فكانت « الرقيب » منارا ينير الطريق للصحفيين الاحرار يومذاك ، منددة باولئك الصحفيين الذين أتخذوا من الصحافة بضاعة تباع وتشترى في سوق المداجنة والمداهنة ساجدين على أعتاب الظالمين ، مسبحين بحمدهم سعيا وراء الجاه ، والمنصب ، والمال .

جاء في مقال تحت عنوان (الصحافة والصحافيون) :ـ « الصحافة مضمار لا يجول فيه الا من كان فارساً هانت عليه نفسه وصغرت في عينيه حياته فأصبح يرى الموت في خدمة وطنه وقومه حياة لا تماثلها حياة .

والصحافي ذلك الفارس ذو البأس الشديد . يوقف الصحافي نفسه على الجو لان في هذا الميدان الفسيح ايثارا للعمل في مصلحة قومه وتوصلا لغاية هي اسمى الغايات ... هي أن يجعل وجهته نحو وطنه وامته ويعلم أنه مدين لهما بحق يجب وفاؤه وواجب يلزم قضاؤه ... ومن كانت هذه وجهته في عمله وتلك أمنيته من دنياه فلا يكون محابيا مداجيا اخاذا بالوجوه يسجد لأولي الامر لنيل أبتسامة منه وأن كان من الظالمين ويسبح بحمد ذي الجاه والمنصب وان كان لوطنه عدوا مبينا »[1] .

لشدة عناية (الرقيب) بالصحافة والصحفيين فقد كانت تقتبس شذرات في هذا الموضوع من صحف عربية أخرى ، وتدرجها الى اعمدتها من ذلك ما أقتبسته من جريدة الاخاء العـــدد «٢٩» تحت عنوان ـ الصحافة ـ جاء فيـــه :ـ

« اكبر ضربة على الامة ان يكون صحافيها سفيها » .

يقول الشاعر :ـ

شـــاتمني عبـــد بني مســـمع
فصنت عنه النفـــس والعرضـــا

(١) الرقيب عدد (١٣٠) السنة الثانية ١٩١٠م .

ولم اجبــه لاحتقــاري لــه
من ذا يعض الكلب ان عضــا

••• السفاهة عار ولو في عالم الرذيلة فكيف بها في عالم الصحافة • الصحافة في الامة تنير العقول ، وتهذب الاخلاق ولكن امة صحافيها سفيه خليقة بكل شفقة ورحمة • أن حلمي لا يتزعزع اذا عابني السفيه ولكني اشفق على فضيلة الصحافة التي تشوهها السفاهة •

اذا الكلب لا يؤذيك عند نباحــه
فــذره الى يوم القيامة ينبــح

قد يكون الصحافي السفيه موفقا بعض الاحيان وهذا لا يمنع من ان يكون حمارا »[١] • وقد عالجت هــذه الجريدة ـ الرقيب ـ مختلف القضايا • فلها صولات في السياسة ، والاجتماع ، والثقافة ، وبخاصة مشاكل التربية والتعليم كما عالجت مسائل لغوية هامة • فكانت من أقوى الجرائد العراقية ، وأقدرها على تكوين الرأي العراقي عن طريق نشر الاخبار ، والتعليق عليها بروح متجردة عن المصالح الشخصية • كما أنها أبدعت كل الابداع في نقدها لبعض الشؤون التي كانت من عوامل تأخرنا • كل ذلك بأسلوب حسن سهل المأخذ ولغة فصيحة يفصح عن وجهة نظرها وسلامة طويتها يقول رفائيل بطي : « ومما انفردت به جريدة الرقيب انها كانت تعلق على كثير من الشؤون والقضايا تعليقــا يتضمن رأي الجريدة في الموضوع الذي تعالجه على خلاف ما كــانت تفعله اكثر الصحف من نقل مقالات الغير وآرائهم »[٢] •

أستمع الى الرقيب في معالجتها النواحي السياسية حيث تقول تحت عنوان « الاستقلال الشخصي » :ـ

---

(١) الرقيب العدد (١٧٢) السنة الثانية ١٩١٠م •
(٢) رافائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص ٢٦ •

« الامم التي يوجد لها فاعلية وليست فيها قابلية ليتحقق معنى الاستقلال يجب أن تربى ويبث فيها روح النشاط والحياة الاجتماعية حتى اذا تمكنت منها تلك الروح نشطت واستعدت ••• والامم التي يوجد فيها قابلية وليست لها فاعلية تؤثر فيها وتنهض بها يجب أن ينصرف أفراد منها لتلقي العلم ودرس الحرية الصحيحة لعمل الاعمال المفيدة والصناعات حتى اذا تمكنوا من كل ذلك رجعوا الى قومهم ••• يبثون فيهم ما درسوه ويوحون اليهم ما تعلموه وليست القابلية الا الاستعداد للشيء وليست الفاعلية الا طائفة من كل امة امتازت برجاحة عقلها وسمو مداركها ووفرة معارفها •• فعلى هؤلاء يتوقف رقي الامم ونجاحها ••• » •

وبعدها ينتقل الكاتب الى علاقة الشعب بالحكومة فيقول :ـ

« ••• وكذلك يجب ان لا يرتقب الشعب المساعدة من الحكومة بل يجب عليه ان يساعد هو الحكومة بمادياته وادبياته لان الشعب الذي يكون عالة على الحكومة يثقل كاهلها •• أما ان لم تعتمد الامة على الحكومة •• فانها ترقى في يسير من الزمن حتى تستكمل الشروط المطلوبة للرقي »(١)

ثم أستمع الى مقارنتها بين ما هو حاصل في الغرب وما هو عليه في العراق فقد جاء تحت مقال ـ الفرق بين منتديات الغربيين ومجتمعاتنا العمومية ـ :ـ

« ••• لا يمضي يوم الا وتحمل الينا الجرائد الاجنبية من اخبار منتديات الغربيين ونتيجة اجتماعاتهم ما لا نكاد نصدقه فيوما نقرأ بان الشركة الفلانية قررت مد سكة حديد بين حلب وبغداد ••• الخ من هذا يظهر لنا جليا انهم لا يضيعون فرصة اجتماعاتهم سدى دون ان يتفقوا على مشروع ••• وبينما هم كذلك لا نزال نحن غافلين نواصل الليل بالنهار في اللعب واللهو مستأنسين بذكر الخرافات والترهات ••• انا لا انكر انه

(١) جريدة الرقيب العدد (٩١) السنة الثانية ١٩١٠م •

يوجد نفر يتحدثون عن المعارف والسياسة غير ان احاديثهم ليست منطقية على ما يقولون لانها جمل حفظوها من غير ان يفقهوها ... فأنهضوا بنا يا رجل الاداب ويا انصار المعارف ... فقد كفانا سباتا وآن لنا ان نفيق ونتحد ونسير في نيل بغية واحدة وهي تعزيز الامة ورقي الوطن »[1] .

وقد أهتمت الجريدة كما قلنا بالناحية اللغوية ، وفي ارجاع الالفاظ الى اصولها . فالمتصفح لاي عدد من اعدادها يجد فيها حقلا في كل عدد من اعدادها بعنوان ـ الالفاظ المستعملة عند النصارى ـ وتكاد تكون مرتبة على النحو الآتي : كما جاء في عددها «٩٥» :ـ

المائدة : عند بعض النصارى الهيكل الذي يجعل عليه الكاهن ما يقدسه بعد نقله من المذبح .

المار : لفظة سريانية معناها سيد وقد تستعمل بمعنى قديس .

المارون : أسم قديس والنسبة اليه ماروني .

المجامع : المجموع موضع الجمع : ويطلق الجمع على جماعة من رؤساء الاديان يجتمعون لاجل النظر في مسائل دينية .

المجد : العز والرفعة ونبل الشرف واصل المجد الكثرة وربما استعملته النصارى لسعادة القديسين في دار الآخرة ولقب المسيح بـ « مجد الاب » لانه يظهر به مجده اي عظمته للعالم .

المخلص : أسم فاعل ولقب المسيح عليه السلام عند النصارى [2] .

وجاء كذلك في العدد «٩٩» تحت نفس العنوان :

المعمدان : بضم الميم الاولى وكسر الثانية عند (النصارى) الذي يعمد ، وبه لقب يوحنا الحصور لتعميده .

---

(١) جريدة الرقيب العدد (٩١) السنة الثانية ١٩١٠م .

(٢) جريدة الرقيب العدد (٩٥) السنة الثانية ١٩١٠م .

المعمودية : عند النصارى سر من أسرارهم وهي غمس الطالب بالماء بأسم الاب والابن وروح القدس وهي بمنزلة الختان عند الاسلام .

المقدس : اسم فاعل لراهب .

« الملكية » : بفتح الميم واللام طائفة من النصارى لقبوا به لاتباعهم الملك ويطلقون ملكي غالبا على تبعة الكنيسة الرومانية من الروم »[1] .

وهذا كثير نكتفي بما ذكرناه .

وقد كانت الرقيب حريصة كل الحرص على اللغة العربية وآدابها، والدعوة الى احيائها بعد ما اراد الاتراك القضاء عليها ليسهل عليهم تتريك العناصر العربية وهذا ما أعلنته جمعية الاتحاد والترقي . فهب « ثنيان » يطالب الولاة الاتراك بأستعمال اللغة العربيـــة في المدارس كما جاء في الرقيب :-

« طلبنا من اعضاء مجلسنا العمومي ان يبـذلوا جهدهم ويحصروا فكرهم في السعي وراء تشييد دعائم لغتنا العربيـــة وان يجعلوا التعليم في اللغة العربية محضا في المكاتب الابتدائية ... »[2] وقـد وقف « ثنيان » وقفة رجل شهدت له المحافل في مقارعة « ناظم باشا » حينما أصدر الاخير اوامره بحظر تقديم العرائض الى الدوائر الرسمية باللغة العربية كما ان مصارحته لناظم باشا في حفظ الامن هي الاخرى تعطينا المثل الاعلى في الجرأة والشجاعة . جاء في مقال له تحت عنوان - كتاب لانظار والي الولاة - :-

« ... يا حضرة الناظم ان اطراف الولاية لا يمضي فيها يوم تقريبا بلا وقوع جرح أو قتل أو سرقة أو نهب فلا يمكن ان يبقى الحـال على ما هو عليه بأيامك ونحن بأشد الانتظار لهذا الامر ...»[3] .

---

(١) الرقيب - العدد (٩٩) السنة الثانية ١٩١٠م .
(٢) الرقيب - العدد (١٢) السنة الاولى ١٩٠٩م .
(٣) الرقيب - العدد (١١٥) السنة الثانية ١٩١٠م .

وكان لمقالات الرقيب الاثر الواضح في الاوساط الشعبية ، ولاقت من الاقبال والرواج ما لم تنله اية جريدة في ذلك الوقت . فتلهف الناس على قراءتها غير ان الوالي ناظم باشا لم يتحمل صراحة هذه الجريدة فأستدعى ثنيان وهدده بقصم ظهره اذا تعرض لانتقاد اعمال الحكومة . والظاهر ان الوالي عرف تأثير ثنيان في الرأي العراقي ووطنيته الصادقة .

يذكر عباس العزاوي في كتابه العراق بين أحتلالين : « ان ناظم باشا أوقف معروف الرصافي وعبداللطيف ثنيان لاشتراكهما في مظاهرة ضد حزب الاتحاد والترقي »[1] .

رغم كل هذه التهديدات فأن الدولة العثمانية ويمثلها « ناظم باشا » استجابت لاكثر ما طالب به على صفحات جريدته . اسمعه يزف البشرى الى ابناء العروبة في العراق عن عزم الدولة العثمانية على جعل اللغة العربية لغة رسمية في دوائر الحكومة ، تحت عنوان - بشرى - :-

« نزفها الى الامة العربية ان الحكومة العثمانية عازمة على جعل اللغة العربية لسانا رسميا لها كالتركية . وربما تقرر هذا في القريب العاجل وحينئذ تكون الحكومة العثمانية ذات لسانين رسميين . ولعمري انه لخبر هام يهش له كل عربي بحت اذ جعل العربية لسانا رسميا للحكومة مما ينهض بتلك اللغة الشريفة نهضة يخضر بها عودها وتمرع اغوارها ونجودها وتتم بها حياة الامة العربية اذ لا ريب ان حياة كل امة بحياة لغتها »[2] .

وكثيرا ما كانت الرقيب كما قلنا تقتبس غرر القصائد من الصحف العربية، وتنشرها على اعمدتها لايقاظ الهمم ، ونشر الوعي ، وتنبيه العرب الى ما حاق بهم ، وما هم عليه . من ذلك ما نقلته عن جريدة الاقبال «عدد٣٣٤» قصيدة لحافظ ابراهيم مخاطبا الامة المصرية بل الامة الشرقية جمعاء :

---

(١) عباس العزاوي - العراق بين احتلالين - ج٨ ص١٦٤ .
(٢) جريدة الرقيب - العدد (٩٦) السنة الثانية ١٩١٠م .

اروني بينكم رجلا
ركينا واضح الحسب

اروني نصف مخترع
اروني ربع محتسب

اروني ناديا حفلا
بأهل الفضل والادب

وماذا في مدارسكم
من التعليم والكتب

وماذا في مساجدكم
من التبيان والخطب

وماذا في صحائفكم
سوى التمويه والكذب

حصائد السن جرت
الى الويلات والحرب

فهبوا من مراقدكم
فأن الوقت من ذهب [1]

ولم تكتف بهذا ، بل كانت تنشر القصائد التي تبين سوء الاوضاع في العراق ، من ذلك ما نشرته في العدد الحادي عشر تحت عنوان ـ تبليغات العدلية ـ جاء فيه :ـ

« نرجو بأسم الانسانية والبشرية من كل ذي حميّة وغيرة على ابناء وطنه وقومه ... من رؤساء المحاكم ومعاوني مدعي العموم ومأموري الملكية في

(١) جريدة الرقيب ـ العدد (٩٦) السنة الثانية ١٩١٠م .

الولاية ... اجراء كمال الدقة وغاية المهمة في الاسراع باجراء التبليغات والاحضار التي ترسل بواسطتهم لان بتأخيرها تطول مدة الحبس على المساكين ولا شك ان فيهم ممن تتأخر براءته المحققة مدة لسبب تأخر التبليغات وكثير منهم مظلوم فتأخيره في ذلك الحبس الذي هو اشبه بالقبر هو تأخير التبليغات ولقد احسن في وصفه كل الاحسان شاعرنا المفلق معروف افندي الرصافي حيث يقول :ـ

هي الساحة النكراء فيها تلاعبت
مخاريق ضيم تخلط الجد بالدد

ثلاثون مترا في جدار يحيطها
بسمك زهاء العشر في الجو مصعدِ

تواصلت الاحزان في جنباتها
بحيث متى يبل الاسى يتجددِ

تصعد من جوف المراحيض فوقها
بخار اذا تمرر به الريح تفسدِ

* * *

مقابر بالاحياء غصت لحودها
بخمس مئين انفس او بأزيدِ

وقد عميت منها النوافذ والكوى
فلم تكتحل من ضوء شمس بمرودِ

تظن اذا صدر النهار دخلتها
كأنك في قطع من الليل أسودِ

فلو كـــان للعبّاد فيهـا اقامـــة
لصلوا بها ظهرا صلاة التهجد[1]

لذلك كله لم يستطع الوالي ناظم باشا [2] ومن والاه من الصحفين احتمال صراحة هذه الجريدة الحرة وصاحبها فقد تكالب عليه الصحفيون من ذوي الاقلام المأجورة والصحف المرتزقة بتحريض من الوالي ممـــا اضطر ثنيان الى مهـاجمتهم غير انهم اتعبوه واساؤا اليـــه والى الصحافة النزيهة . أسمعه يخاطب هؤلاء الصحافيين :ـ

« ... لا بد هنا ان نشير الى بعض العمال والموظفين الذين انتقـدنا اعمالهم . انهم على خطأ من سوء ظنهم بنا ورميهم ايانا بالشذوذ عن الحق فيما انتقدناهم زاعمين انه كان تشفيا منهم لذنب جنوه علينا . وانه وذمـة الحق لبهتان عظيم . انا والله يعلم والملائكة شاهدة على ما نقول ارفع من ان تدنى لمثل هاته الدنايا أو نمد لها يدا . ومن عرفنا عرف منا نزاهة القصد وشرف الغاية في كل ما نقول ونكتب . على اننا ما تعودنا المحاباة في زمن كان السعيد فيه من يحابي او يداجي حتى نتعودها في وقت اصبح المحابي فيه ممقوتا مرذولا ... والله يؤيد بحجته اقوالنا ويحقق بعنايته آمـــالنا ويوردنا موارد الحكمة في اعمالنا ويهدينا سواء السبيل »[3] .

واخيرا اضطر ثنيان الى تعطيل جريـدته ، والفرار من الوالي ناظم باشا واعوانه الى الشام ثم الى الاستانة . وبقي فيها الى ان عزل ناظم باشـا عام ١٩١١م ثم عاد ثنيان الى بغداد متجها الى الادب الى ان توفاه الله في ٢١ نيسان من عام ١٩٤٢م . بعد ان وقف وقفات مشهورة وصولات سجلتها ، له ولجريدته الرقيب ، الصحـــافة العراقية في ميدان خدمـــة العراق واستقلاله .

---

(١) جريدة الرقيب ـ العدد (١١) السنة الاولى ١٩٠٩م .
(٢) عين هذا الوالي عام ١٩١٠م وعزل عام ١٩١١م .
(٣) جريدة الرقيب ـ العدد (١٣٠) السنة الثانية ١٩١٠م .

جريدة صدى بابل

(١٩٠٩م – ١٩١٤م)

جريدة عربية سياسية • اصدرها في بغداد « المعلم داود صليوا » • ظهر عددها الال في الثالث عشر من آب سنة ١٩٠٩م •استمرت في الصدور مدة تقرب من ست سنوات • جاء في ترويستها انها :ـ « صحيفة سياسية تجارية ادبية اخبارية خادمة لترقي الوطن تصدر في الاسبوع مرة مؤقتا » وقد زين كل عدد منها ببيتين من الشعر :

قد اعلنت بالنداخود المعارف من
اصقاع غرب وخلت صبحها سفرا

نادت بها امها من شرقها سحرا
زفا صدى بابل حي اسمعي الخبرا

وهذان البيتان ركيكان وكان في استطاعة صاحب الجريدة ان ينظم خيرا منهما للاعلان عن جريدته • وقد شرحت خطتها في عددها الاول جاء فيه :ـ

« ••• هذه جريدتنا صدى بابل نزفها الى اخواننا الكرام ومواطنينا الفخام بل نوقفها على قدم خدمتهم في سبيل العلوم والفنون والاداب فضلا عما تجلو لحضراتهم عرائس الافكار السياسية على منصة البيان ••وستكون دليلا يرشد الى نهج الفضل والفضيلـــة في كل ناد فتصبح خير جليس والطف انيس »[1] •ولهذه الجريدة الفضل الاكبر في تنبيه الرأي العـام

---

(١) صدى بابل العدد الاول في ١٣ آب ١٩٠٩م •

العراقي الى أنشاء المنظمات والجمعيات التي أغفلها زمنا طويلا • فقد كانت تعقد المقارنات الكثيرة على صفحاتها بين غفلة الشرق وسباته، وتقدم الغرب، ونهوضه ، وتسوق الامثلة ، والادلة الكثيرة • من ذلك قولها :ـ « الفوا ـ تقصد الغرب ـ ابدع القصص والطف الحكايات والنوادر والفكاهات ، فكانت خير مثقف للاخلاق والعادات ، سيما التمثيل على المسارح ، فاستهجنوا القبيح وتشبثوا بالمليح سبقونا فلحقهم »[١] •

وفي مقالاتها المتسلسلة ـ تقدم بلادنا وتأخرها ـ كانت من العوامل المنبهة والحافزة للاخذ بكل اسباب التقدم • فقد بينت هذه الجريدة للشعب العراقي مواضع النقص ، وأرشدته الى طريق الاصلاح • استمع اليها في مقال تحت عنوان « الحرية والاصلاح » :ـ

« ان الامة اذا لم تكن مستعدة للاقدام في العمل ولا متصدية الى الى التهيوء للفعل •• فليت شعري فأي فائدة تعود عليها من اعلان الدستور أم أية منفعة ترجع اليها من اطلاق الحرية •• »[٢] • وقد وقفت هذه الجريدة وقفات مشرفة في ظل الحكم العثماني الغاشم في اثارتها ابناء العراق بالمطالبة بجعل اللغة العربية في العراق لغة رسمية • جاء في مقال تحت عنوان « اللغة العربية والمحاكم » :ـ

« كثيرا ما لهجت جرائدنا الوطنية[٣] وغيرها من الصحف والمجلات بطلب اتخاذ لغتنا العربية رسمية في ديارنا هذه •• على اني لا ارى لي مندوحة عن السكوت في ان انشر ما عرض للخاطر الضئيل من الرأي •• ومهما يكن فلا يخفى ما للامة العثمانية الشرقية من قلة البضاعة في سوق

(١) جريدة صدى بابل ـ العدد (١٩) في ٤ آذار ١٩١٠م •
(٢) جريدة صدى بابل ـ العدد (٥) في ١٠ ايلول ١٩٠٩م •
(٣) هذا التعبير يتردد في اكثر صحف العراق في تلك الفترة تفريقا لها عن الصحف الموالية للحكم العثماني •

اللغة التركية •• ولما كانت هي اللغة الرسمية لحكومتنا فلم تر بدا من ان تقيم في مناصب الاحكام رجالا من الاتراك ممن يتخرجون في هذه اللغة ولكن فاتها ـ اعزها الله ـ ان تنظر الى وعورة هذا المسلك في بلادنا الشرقية لما اسلفنا من قلة مختبري هذه اللغة في هذه البلاد ـ يقصد العراق ـ ••• فأقول ولا اخشى معترضا انه قد يستحيل في جميع تلك الاصقاع ان يرى بين ذلك الشعب الغفير من يحسن كلمة من التركية ما خلا افرادا في المدن يعدون على الاصابع على حين ليس في بلاد جزيرة العرب من ينطق بحرف تركي • هنا اذن نسأل مستفهمين من ارباب الحل والعقد اية طريقة يتخذها الحاكم التركي للتفاهم بينه وبين العربي الذي لا يحسن التركية وكلاهما اعجميان في نفس كل منهما ؟•• »(1) وقد ادركت هـــذه الجريدة كل الادراك قيمة الصحافة في خلق الامة وتوجيههـــا وتكوين المثل العليـــا والتمسك بها • وقد حافظت مدة صدورها على مبادئهـــا هذه واخلصت لاهدافها عن طريق ما تسوق الى ابناء العراق من أحاديث وتوجيهات تبثها في كل نبرة من كلماتها ، واثر ذلك في توثيق روابط المحبة بين ابنـــاء العراق على أختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم • أستمع اليها في مقال تحت عنوان « الحرية روح الانسانية والمساواة مدنيتها والاخاء قوامها » جاء فيه:

« ••• هذا موضوع طالما •• اشتاق يراع بلغاء العرب والانصار الى الخوض في عباب بحره المتلاطم الامواج ووصف ما لهم من الرغبة التي ليس وراءها من مزيد ، الذي خلبهم ضحوا بانفسهم قربان فداء على مذبح الانسانية والغيرة في سبيل منح الحرية •• وقدموا ذواتهم ضحية استشهاد لنيل هذا المطلب العزيز بأخلاص كي تمتطي الحرية اوج عزها •• وتجري العدالة مجراها وتسري الى القلوب محبة المساواة والاخاء مسراها : ولكن وا أسفاه لقد قضوا ولم يقضوا من منيتهم وطرا •

---

(1) جريدة صدى بابل ـ العدد (13) في 5 تشرين الثاني 1909م •

بانوا ولم يقض زيد منهم وطرا ولا انقضت حاجـة في نفس يعقوب

وهم يلهجون بذكر هذا الحبيب الشريف •• وطوحوا بانفسهم في اعظم الاخطار واوردوها موارد الفناء في سبيل هذه البغية والامنية المقدسة• وما ذاك الا حبا بان يحيـا كل فرد من افراد الامة ممتعا بحيـاة حرة سعيدة •• »[1] • والملاحظ في هذه الجريدة انها اهتمت اهتمـاما شديدا بشؤون الادب ولا سيما الشعر اذا ما علمنـا ان صاحبها ـ داود صليوا ـ كان شاعرا فكان لا يخلو معظم اعدادها على الاغلب من الشعر وقد كان الشاعر عبدالمسيح انطاكي صاحب جريدة ـ العمران ـ ينشر فيها معظم قصائده اسمعه مادحا السيد عبدالرحمن نقيب الاشراف الذي اكرم مثواه واحسن ضيافته عندما قدم من القاهرة ، وقد استهل قصيدته بالغزل كعادة الشعراء القدامى :

الا ليت ما بين الرصافـة والجسر
منازل للعشاق اهل الهوى العذري

ويا ليت عـذال الهوى وعداتـه
يمرون قرب الكرخ في ضفة النهر

سقى الله عهدا في مرابع دجلـة
تقضي مع الاقبال واليمن والبشر

ثم ينتقل بعد هذا الى ذكر مفاخر الآباء والاجـداد وما حل بالعرب حيث يقول :ـ

لاجـدادنا اهل المفاخر والعـلى
ومن مثلهم نالوا العظيم من الفخر

---

(١) جريدة صدى بابل ـ العدد (٢٢) في ١٤ كانون الثاني ١٩١٠م •

وكانوا كأمر الله بالدين اخـــوة
فما عرفوا بالحقد والبغض والغدر
وكانوا اجاويدا تجود نفوســـهم
بمـــا ملكـــوا الا بعرضهم الوفر

فماذا جرى حتى تحول حالهـم
ويا ليت شعري ما الذي بعد ذا يجري

ايرضون من بعـد المعزة ذلـــة
ومن بعد ذاك اليسر في عيشة العسر

ثم ينتقل الى غرضه في مدح النقيب :ـ

ايا سيد السادات جاها ومحتـــدا
بقيت لنا ملجا من الضر والشر
اتيتك من مصر ولولاك ســيدي
لما جئت بغدادا ولا بنت عن مصر
وبأسمك قد خضت البحـار وانني
ســموت الى بحر العلوم على بحر
ورجواي ان احظى براحتك التي
بتقبيلها يشفى الغليل من الصدر (١)

ولعل اهم ما امتازت به جريدة صدى بابل انها مثلت نفسية الشعب في العراق بالمطالبة بالعدل ، وانصاف الرعية ، واصلاح شؤون العراق . وقد طالبت الوالي ناظم باشا بلهجة صريحة في مقالات متعددة على صفحاتها من ذلك مقال تحت عنوان « اماني العراقيين تعرض على انظار دولة والينـــا الناظم » جاء فيه :ـ

« مولاي قدمت العراق فأهلا وحللت في عاصمته على الرحب مستهلا .

(١) جريدة صدى بابل ـ العدد (٤٠) في ٧ مايس ١٩١٠م .

ان العراق يحتاج الى اصلاحات شتى ترتكز على ثلاثة :ـ

أحدهما الامان ، وثانيهما العدل ، وثالثهما العلم .

فالامان : اذا لم يكن معدوما في الحواضر كمثل بغداد فهو معدوم في الاقضية والنواحي وهذا الامر ليس هو ابن ساعته ولا هو ابن ايام وشهور بل منذ السنين الطوال ولما كان معرفة الداء تسهل على الطبيب وصف الدواء .. ولقد جربت الحكومة المستبدة السابقة الشدة طورا واهمال العشائر المتنازعة اخرى ولم تثمر التجربة على فائدة تذكر ... والذي يخطر ان شدة الحكومة مع امراء العرب .. مما لا تحمد مغبته .. واظن ان الحكومة لو اتبعت مع امراء العرب سياسة اللين واجتذبتهم اليها بعوامل الحب والاحسان وسعت بمساعدتهم .. حينئذ تأمن البلاد وتستعيد ما كان لها ..

أما العدل : فهو اساس الملك وحسبك ان الله امر به فقال : « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » ..

أما العلم : فالبحث في وجوب تعميمه يعد من قبيل تحصيل الحاصل لان الدستور اوجبه صراحة كما ان الله سبحانه وتعالى قال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١) .

وقد عالجت جميع الامور بأسلوب سلس بسيط بعيد عن المبالغات ، والخيال ، والالفاظ الجوفاء لانها ارادت مخاطبة العامة كما خاطبت الخاصة لتؤدي دورها في الجهاد الصحفي . ولعل اقبال الناس على قراءتها كان الدليل الناصع على نجاحها ، واخلاص صاحبها ـ داود صليوا ـ (٢) في خدمة العراق . وقد اختفت عن الانظار قبيل الحرب العالمية الاولى بعد جهاد دام ست سنوات وبذلك ادت الامانة الصحفية فكانت اعظم نصير للحق وخير مجاهد .

---

(١) جريدة صدى بابل ـ العدد (٤٠) ٧ مايس ١٩١٠م .

(٢) راجع : كتاب الصحافة .

جريدة صدى الاسلام

(١٩١٥م)

عندما احتل الانكليز البصرة في كانون الاول من عام ١٩١٤م شدد الاتحاديون الخناق على الصحفيين الاحرار • فعطلت الصحف المعارضة وطاردوا اصحابها ، بحجة ظروف الحرب الاستثنائية ، وسجنوا اكثر الصحفيين وابعدوا الاخرين الى مناطق نائية من العراق • لذلك خلت البلاد من الصحافة فترة ما باستثناء جريدة الزهور الموالية للاتراك غير ان الاتحاديين احتاجوا الى الصحافة لنشر افكارهم ، لتقوية معنويات الشعب العراقي • ولاثارة النقمة ضد اعدائهم الانكليز متخذين من رابطة الدين وسيلة لكسب ود الشعب العراقي • ذلك الشعار الذي طالما استخدموه لمصالحهم الخاصة فأسسوا في بغداد جريدة اسموها « صدى الاسلام »تنشر باللغتين العربية والتركية ، واناطوا ادارة سياستها برئيس بلدية بغداد « رؤوف الجادرجي »[١] وقد كان الجيش يشرف على نشرها • وقد عنيت الحكومة العثمانية بها عناية فائقة فاختارت لها صفوة الكتاب من الاتراك ،والعرب • وقد صدر عددها الاول في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩١٥م جاء في ترويستها انها : « جريدة يومية سياسية اجتماعية تبحث في كل الشؤون تصدر كل يوم ما عدا الجمعة ، وقد جاء في عددها الاول خطتها التي رسمتها بقولها :ـ

« ••• تصارح القراء ان هذه الجريدة قد رسمت لها خطة اسلامية تنحصر في هذه المواد لا تحيد عنها :ـ

---

(١) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٣٩ •

١ ـ احكام الرابطة بين المسلمين في مشرق الارض ومغاربها ..

٢ ـ كشف النقاب عن رياء الانكليز وهتك استار سياسة دول الائتلاف التي استباحت حرمت البلاد الاسلامية .

٣ ـ نشر المقالات الدينية والوطنية التي تتأيد بها عرى الوفاق والوئام بين الاقوام الاسلامية من ترك ، وعرب ، وفرس ، وهنود ..

٤ ـ دحض مفتريات الاعداء الذين يتقولون على الدين والقرآن والرسول والامة الاسلامية باطلا .

٥ ـ خدمة الامة العراقية .

هذه هي خطتنا .. والعصمة لله وحده ورحم الله من اقال عثرة اخيه المسلم » . والمتمعن في هذه الخطة يعجب العجب كله من الاتحاديين وجريدتهم هذه . ألم يكونوا هم أشد من اساء الى الدين ؟ ألم يشجعوا « عبدالله »[١] في الطعن بالاسلام وبالخلفاء الراشدين في كتابه « شعب جديد » ؟ واخيرا ألم يكونو اهم اول من حرض العثمانيين ومن على المنابر للطعن في الاسلام وفي العرب مادته ، ألم تقل جريدتهم ـ أقدام ـ :

« ان العرب يبيعون كل شيء بالمال حتى العرض » ..

لست اعرف وجها لهذه الخطة اللهم الا انهم يقولون بجرائدهم ما ليس في قلوبهم واستغلال البسطاء والسذج من الناس الى اقوالهم ... وقد عمد الاتحاديون ، كما قلنا سابقا ، الى اختيار اشهر الكتاب العراقيين منهم ابراهيم حلمي العمر ، والشاعر عبدالرحمن البناء ، وخيري الهنداوي ، وجميل صدقي الزهاوي . فكتب قسم منهم طوعا والقسم الآخر كرها لتدعيم سياسة الاتحاديين .

---

(١) سبق أن شرحنا هذا في فصل الحالة السياسية .

يقول رفائيل بطي :ـ « وقد نشرت جريدة صدى الاسلام مقالات بلهجة حادة في تدعيم سياسة الاتحاديين وتفنيد بعض ما تنشره جريدة القوات الانكليزية المحتلة المسماة « الاوقات العراقية »[1] • استمع اليها في مقالها الافتتاحي تحت عنوان ـ الخبث الانكليزي ـ:

« ••• الحكومة البريطانية تلك العجوز الشمطاء المحتالة التي يأبى الشيطان ان تمس يدها الاثيمة المخضبة بدماء المظلومين من مسلمي الهند ومصر ذيل تبلسته فانها كلما فترت عن ابتكار دسائس السياسة والسعي وراء محو الشريعة الغراء المحمدية وتدمير الاسلام والمسلمين حتى طفح الغلو في الامر فضاقت صدور ساستها عن كظم ما خامر عقولهم فأضطر رئيس وكلائها « كلادستون » ان يبوح بمكنوناته قائلا : «لا يستقيم لنا الامر حتى يمزق هذا سحقا بالاقدام » وكان اذ ذاك اخذ القرآن العظيم بشماله ومشيرا اليه باليمين ـ شلت يداه ـ »[2] • ثم استمع الى اشادتها بالاتحاديين ، والى لهجتها في مقال لها تحت عنوان ـ عيد الدستور ـ جاء فيه :ـ

« هذا اليوم من ابرك الايام على الامة العثمانية واسعدها ، هو يوم اتخذه العثمانيون عيدا فيه يتهادون آيات التبريك والتهاني لانه اليوم الذي تقوضت فيه صروح الاستبداد ودكت معالم الظلم والجور ••• يوم مبارك هو ١٠ تموز فيه انتقل الحكم من الفرد الى الجماعة ••• أمس حطمنا اغلال الاستبداد الحميدي واليوم نقوض اركان الاستعباد الاوربي ••• دوت كلمة امير المؤمنين باعلان الجهاد فدوت لها ارجاء الكون واهتزت منها العروش والتيجان ، لباها المسلمون في اقطار الكرة شيوخا وشبانا رجالا ونساء ••• ثمانية اعوام بين صوت الحرية وبين صوت النفير الى الجهاد

---

(١) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص ٤٠ •

(٢) جريدة صدى الاسلام ـ العدد الثاني في ٢٤ تموز من عام ١٩١٥ •

في خلالها مرت على العثمانيين حروب وفتن تحملتها الامة والدولة برباطة جأش وثبات عظيم بفضل قادة امتها المحنكين ... فتباركت امة هذه جلائل اعمالها ... وعاشت رجـــال يعملون باخلاص وامانـــة في اعلاء شأن الوطن »[1] .

والملاحظ في جريدة صدى الاسلام انها اتخذت من الشعر وسيلة لاستنهاض الهمم والذود عن حياض الوطن . فأستمع الى الشاعر الهنداوي يمدح فاتح وارشو حيث يقول :ـ

عن السيف حدث انه الحكم العدل
وما شئت قل يشهد به العقل والنقل

فلا حكم ان لم يحكم السيف في الوغى
ولا ملك لم يبن اركـــانه العدل

أفاتح وارشـو الكبير الذي بـــه
سيجمع للاسلام رغم العدى الشمل

اليك صدى الاسلام تهدى تحيـــة
وان عرضت من دونك اليد والسبل

عليك ســـلام لا يزال مـــرددا
تسير به الركبان نحوك والرسل[2]

ثم استمع الى الشاعر العراقي عبدالرحمن البناء ينادي ابناء قومـه للجهاد من اجل حماية الدين واعلاء شـأن المسلمين في قصيدة عنوانهـا ـ ونادت يا رشاد ـ يقول فيها :ـ

---

(١) جريدة صدى الاسلام ـ العدد الاول في ٢٣ تموز من عام ١٩١٥م .

(٢) جريدة صدى الاسلام ـ العدد (١٨) عام ١٩١٥م .

ونادت يا (رشاد) الدين يا من
تظلله المهابة والجلال

سنجعل للهلال كيوم بدر
اذا ما الشمس كورها الضباب

فاين المسلمون ذوو المعالي ؟
واين الشوس والاسد الغضاب ؟
دعوا الاشغال وابتدروا لحرب
فان الدين حل به اضطراب
فما العذر يا اسلام يوم
امام الله تصطف الانام[1]

ثم انظر الى الشاعر محمد مهدي البصير ـ في قصيدته ـ اعداؤنا والمكر ـ حيث يقول :ـ

مكروا بامة احمد وبشرعه
حتى تمنوا انهم لم يمكروا
حدوا شفار البغي الا انهم
لسوى نحورهم بها لم ينحروا

أمدبر الامر العظيم وانه
في غير رأيك قط ليس يدبر

اصبحت في يمن الوزارة ناظرا
فيها عواقب كل أمر تنظر
كم ليلة ليلاء انت سهرتها
لتنام حولك أعين لا تسهر

(١) جريدة صدى الاسلام ـ العدد (٤٧) عام ١٩١٥م ٠

وصــقلت فصــل الرأي حتى انه
ليريك كيف بــه الملوك تفطــر

فاسـلم ولا ولج العدو عرينـــة
للملك فيهــا انت ليث مخـدر[1]

ويدرك القارىء أن هذه الجريدة في أكثر مقالاتها كانت تركز عـلى الجامعة الاسلامية استمع اليها في مقال تحت عنوان ـ الجامعة الاسـلامية وخداع الانكليز ـ جاء فيه :ـ

(... ان الامة الانكليزية ... اشتهرت بدسائسها وخداعها وغدت تظهر للعالم الاسلامي كل يوم بمظهر جديد من مظاهر الحيل حتى جـاء اليوم الذي ظهرت فيه لابسة ثوبها الملطخ بدماء الابرياء المصنوع من نسيج فظائعها المتكررة وخطاياها الكبيرة كأن التاريخ لم يخلد لها المنكرات ولم يقيد لها الذنوب في دفاتر الايام الامة الانكليزية هي المتألبة على المسلمين منذ حين من الدهر هي الامة التي اخذت على عاتقها ان تبث روح العداء والنفرة بينهم ... نعم ان الانكليز ليستفيدون من تباغض المسلمين وتضادهم)[2] .

كما انها نشرت العديد من فتاوى رجال الدين في تحريض المسلمين للثورة على اعداء الاسلام (الانكليز) غير انها لم تلاق رواجا لأن العراقيين خبروا الاتحاديين ونواياهم فغابت الجريدة عن الانظار وهي في سـنتها الاولـى .

---

(١) جريدة صدى الاسلام ـ العدد (١٨٤) عام ١٩١٥م .
(٢) جريدة صدى الاسلام ـ العدد (٣١) عام ١٩١٥م .

جريدة الاوقات البصـرية

(١٩١٥م ـ ١٩٢١م)

كان اول عمل قام به الانكليز اثناء احتلالهم البصرة عام **١٩١٤** هـو استيلاؤهم على مطبعة الولاية الرسمية ، ثم ابتاعوا المطابع الاهلية التي كانت فيها ليخلو لهم الجو في نشر ما يريدون جريا على عادتهم في كل بلـد يحتلونه • فاصدروا نشرة يومية صغيرة باللغتين العربية والانكليزية تنشر على صفحاتها انباء المعارك وبالاخص برقيات رويتر الحربية ، وما يجرى في ميادين القتال • غير ان هذه النشرة تطورت فاصبحت جريدة يومية باسم (الاوقات البصرية) • وقد جاء في ترويستها انها :ـ

(جريدة يومية سياسية أدبية مصورة) وقد برزت هذه الجريـدة باللغات الاربع ، العربية ، والتركية ، والفارسية ، والانكليزية • وحرر فيها السياسي الانكليزي المعروف المستر (جون فلبي) ولها سياسة معروفة فهي خادمة لاغراض السلطات البريطانية ، ومروجة لسياسة الحلفاء • وقد استمرت في الصدور الى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عـام **١٩١٧** وانتقال حكومة الاحتلال اليها اذ ذاك اعطيت بطريقة الالتزام الى أحد وجوه البصرة (السيد سليمان الزهير) وقد استقدم لها محررا من مصر هو (عطا عوم) زميل (توفيق حبيب) المعروف بالصحافي العجوز[١] •

ان الاعداد الاولى لهذه الجريدة مفقودة الآ اننا نستطيع أن نتعرف على ملامحها من اعدادها الباقية في مكتبات بغداد •

فالمتصفح لاعدادها يجد انباء العالم والبلاغات الحربية تحتل معظمها •

---

(١) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٤٤ •

فهي اشبه ما تكون بنشـــرة حربية لخدمة مصـالح الانكليز ، والترويج لسياستهم ، وحلفائهم • اما المقالات الثقافية والسياسية فتكاد تكون قليلـة جدا بالقياس الى الموضوعات الاخرى ، وحتى هذه الموضوعات القليلـة لا تخلو بين ثاياها من مدح الانكليز ، وذم العثمانيين • جاء في مقال لهـا تحت عنوان (في طلب العلم) : ـ

(انحطت البصرة في العلوم والاداب انحطاطاً دهورها الى الحضيض ••• وقضت على شبيبتها (الامة التركية) قضاء مبرما بتركها اياهم هملا فلا تربية ولا تعليم ••• اما اليوم فقد أخذ فضلاء هذه المدينة ـ اي البصرة ـ ينادون بملء اصواتهم الى العلم الى العلم ••• ومن ورائهم امة عظيمـة الشأن تعضدهم في مشروعهم العلمي بكلما تستطيع من تأسيس المدارس والمعاهد ••• مؤملين من الله العادل أن يوفقنا ••• ويسبغ علينا نعمـه بمعاضدة الامة البريطانية ••• فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضـل فعليها)[1] • وقد جاء في العدد نفسه قصيدة للشاعر الناشيء (خليل أمين الكرخي) يشيد فيها بطلب العلم ويمدح الانكليز قال :ـ

يا قـوم هبوا للعلـو م فنفعهـا لا يحصـر
واستيقظوا مـن رقـدة من رام عـزا يسـهر
قد كنتم الشعب الذي قحطـان فيكم يفخـر
والبصـرة الفيحـاء من اسـف غـدت تتحسـر

والغريب في أمر هذه الجريدة ان كل صغيرة وكبيرة تلقيها عـلى كاهل الاتراك ، وتحملهم تبعة وقوعها ، على حين انها تزجي المدح والثناء لقوات الاحتلال • استمع الى مقل تحت عنوان :ـ

(نحن بواد والعذول بواد) جاء فيه :ـ

---

(١) جريدة الاوقات البصرية ـ العدد (٣٠) السـنة الثالثة في ١٣ كانون الاول عام ١٩١٧م •

(••• نحن لا نعتب على الزمن الذي قضيناه مع الاتراك حيث كنا واياهم على طرفي نقيض ولكننا نعتب على الذين لم يقدروا الوقت الحاضر فيقوموا بما يجب عليهم نحو اوطانهم فيؤسسوا ما يقتضي تأسيسه من المدارس ••• قلنا هذا على أثر ما شاهدناه من مساعي الامة البريطانية العظمى نحو هذه البلاد والاخذ بناصرها بعد أن جرت عليها يد الاتراك ذيول العفاء ••• وهنا نبرز دليلا قاطعا أي الفريقين خير لنا ولبلادنا ؟ • دخلت بريطانيا البصرة فاخذت من أول وهلة تباشر الاعمال لتمهد السبيل للعمران والتجارة فذللت كل الصعاب مثل قطع دابر الاشقياء وتنظيم المحاكم العادلة واطلاق الحرية وهكذا تتحسن أمورها ـ البصرة ـ آناً بعد آن تحت ظل العلم البريطاني العادل)[1] ولقد تفحصت الاعداد المتيسرة في مكتبات بغداد ، فلم اجد فيها ما يستحق ذكره فهي نشرة حربية ، كما قلنا ، تنشر انباء المعارك غير انني وجدت مقالا تحت عنوان ـ الى العلم الى العلم سارعوا ايها الابنا • ـ ويعتبر فريدا في نوعه بالنسبة لمقالات هذه الجريدة من حيث المعنى وعلو اسلوبه جاء فيه :ـ

(افيقو من سباتكم ، تيقظوا من غفلتكم • انقذوا انفسكم من الجهل فانه اكبر عار هلموا الى تحصيل العلم • فسارعوا الى اقتباس انواره جدّوا واجتهدوا في طلبه •

تعلم فليس المرء يولد عالما ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وليس اخو علم كمن هو جاهل

ايها الشباب :ـ اغتنم فرصة شبابك فان الوقت ثمين ••• اتعظ قبل أن يأتيك يوم تتمنى الموت فيه ••• ولا تضع اوقاتك بالملاهي والقيل والقال ومجالسة الاشرار

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ سوى الهذيان من قيل وقال

---

(١) جريدة الاوقات المصرية ـ العدد (٣٩) السنة الثالثة في ٢٤ كانون الاول عام ١٩١٧م •

وانت ايها الشاب : لا تغرنك الثروة ولا تتكل على الحسب وتقنع بشرف الوالد بل ضم الى شرف الوالد شرف الذات لتكون بهما شريفا وتأمل في معنى قول القائل :

ان الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان ابي

فاعتمد على نفسك ... وشمر عن ساعد السعي ... وحافظ على مجد اجدادك وقل ما يقول الكرام :

انا وان احسابنا كرمت لسنا على الاباء نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

فان من جد وجد ومن سار على الدرب وصل)[1] .

وقد استمرت هذه الجريدة على خطتها ، ونهجها تصدر مدة خمس سنوات ، ثم احتجبت عام ١٩٢١ حيث حلت جريدة الاوقات العراقية محلها .

جريدة العرب

(١٩١٧م ـ ١٩٢٠م)

اتخذ الانكليز اثناء الحرب العالمية الاولى من وسائل الاعلام وسيلة لكسب الحرب حتى تحققت كلمة داهيتهم (لويد جورج):ـ (انما كسبنا الحرب بواسطة الصحافة)[2] واعتبر هذا القول مثلا يسير على نهجه معظم صحافي الانكليز . لذلك استطاعت قوى الاحتلال البريطاني في العراق ـ بعد ثلاثة أشهر من احتلال بغداد ان تصدر جريدة باسم

(١) جريدة الاوقات البصرية ـ العدد (٤٧) في ٨ كانون الثاني عام ١٩١٨م .

(٢) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٤٣ .

(العرب) وقد اختير هذا الاسم لاغراء الشباب المتشبعين بهذه الروح .

قالت (المسزبل) في رسالتها لابيها المؤرخة في ٢٩ حزيران من عام ١٩١٧ : (تتخذ التدابير لاصدار جريدة محلية عربية وهي الجريدة التي طال تشوقنا الى صدورها ... وقد عهد بادارة سياستها وتحريرها الى المستر جون نلبي ... اما هيئة تحريرها فقد الفناها من اصدقائي الاقربين - الاصدقاء العرب - ...)[١] .

ظهر العدد الاول من هذه الجريدة في الرابع من تموز عام ١٩١٧ بصفحتين بادىء الامر تنشر بين يوم ويوم . وبعد شهر اصبحت يومية وباربع صفحات . وقد جاء في ترويستها انها :-

(جريدة سياسية اخبارية تاريخية ادبية عمرانية عربية المبدأ والغرض ينشؤها في بغداد عرب للعرب) الواقع ان هذه النزعة منسجمة تماماً مع سياسة الاحتلال البريطاني ففي واقع هذه الجريدة انها كانت خادمة لمصالح بريطانيا ومؤيدة لسياستها وقد حاولت بكل الطرق التقرب الى العرب واستعدائهم على الاتراك .

جاء في عددها الاول : (انها ستكون وسيلة لنشر آراء العرب وتعميم علومهم وآدابهم وترقية شؤونهم وعمرانهم . وها نحن أولاء نزف الى ابناء يعرب وقحطان هذه العروس ونأمل انها تلاقي اقبالا وحظوة عند كل من يهمه ترقية حال العرب وتحرير رقابهم من نير الظلم - تقصد العهد العثماني - الذين كانوا يئنون تحته أكثر من أربعمائة سنة وعلى الله الاتكال في المبدأ والمآل)[٢] وتعتبر جريدة العرب أول جريدة حكومية صدرت باللغة العربية الصرفة . اما محرروها وكتابها فقد كانوا من خيرة رجال العلم والأدب اغرتهم السلطات المحتلة بأنها وسيلة لبث الروح

---

(١) راجع : المصدر السابق ص٤٤ .
(٢) جريدة العرب - العدد الاول - في ٤ تموز عام ١٩١٧م .

القومية وخدمة اللغة وتثقيف الشعب كما انها اغرتهم بالأموال التي اغدقتها عليهم فقد حرر فيها شكري الفضلي ، وكاظم الدجيلي وعبدالحسين الأزري ، وجميل صدقي الزهاوي ومحمد مهدي البصير والأب انستاس ماري الكرملي ، وكانوا يذيلون مقالاتهم بأسماء مستعارة منها : ابن العراق ، وابن الفراتين ، وابن ماء السماء وابن جلا ، وابن ذي الكنيتين ، ومطالع ، وغير ذلك • وسبب هذا التنكر والتستر أن الظروف ظروف حرب وأن المشرفين والمنفقين عليها هم الأنكليز المحتلون وما أن وضعت العرب أوزارها حتى انكشفت تلك الاسماء فصرنا نقرأ في ذيل كل مقالة اسم كاتبها الصريح(١) •

وقد اختارت السلطات المحتلة الأديب المعروف واللغوي المشهور (الأب أنستاس ماري الكرملي) الأشراف عليها سنوات عديدة كما وقد تولت (مسزبل) ادارة سياستها بعد أن تركها (فيلبي) •

وقد اخبرني الدكتور محمد مهدي البصير ، وهو أحد الذين نشروا قصائدهم في هذه الجريدة بتوقيع (ابن بابل) ان اكثر كتاب جريدة العرب ، ومجلة دار السلام ـ المواليتين للانكليز ـ وشعرائهما كانوا طلاب شهرة أولا ومال ثانيا ،لذلك أرتموا في احضان المحتل ، وطبلوا له واثنوا عليه في جريدة العرب ، ومجلة دار السلام حتى أن الزهاوي قال لي ـ يعني الدكتور محمد البصير ـ : (اني اشك في مقدرة العرب على النهوض بمستوى الحكم) •

وقد بلغت الجرأة بالزهاوي الى ان ينتقص من قيمة العرب ويصرح له بقوله : (نحن نخاف من البدو لنقص كفايتهم) •

وقد أكد لي البصير أن أكثر المفكرين العراقيين لم يكونوا على

(١) راجع رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٤٨ •

جهل بسياسة الانكليز ، ونواياهم لكن العراقيين اختاروا أهون الشرين كما وانهم لم يكونوا من الحذق وبعد النظر آنذاك في السياسة بحيث ينظرون الى كل شيء بتحفظ وبعد نظر ٠

نستخلص مما تقدم ان كتاب هذه الجريدة ـ غفر الله لهم ـ اندفعوا بكتاباتهم نكاية بالعثمانيين جريا وراء المثل القائل (عدو عدوي صديقي) لذلك نجد في أكثر مقالاتهم تنكيلا بالاتراك خصوم الانكليز واطراء للمحتل ٠ استمع الى مقال العرب تحت عنوان (انكلترا محررة العرب) جاء فيه :ـ

(كل من تتبع حركات الترك وسكناتهم في هذه السنين الاخيرة يرى انهم آلوا على انفسهم ان يسحقوا بل ان يمحقوا كل عربي ٠٠٠ لهذا رأت بريطانيا أن تحارب الاتراك في العراق نصرحت سرا وجهرا ٠٠٠ انها لا تحارب العرب محبي المدنية والترقي انما تحارب الاتراك اصدقاء الالمان الذين آلوا على أنفسهم محق كل أثر صالح وكل عنصر طيب ٠٠٠ وكل ما قالته ـ بريطانية ـ اجرته فعلا فانها لم تتعرض قط لعربي يحب العرب)[١]
ثم استمع اليها تطري خطاب الجنراجل ـ مود ـ (٠٠ خاطب القائد العظيم ـ ستانلي مود ـ سكان بغداد خطابا جليلا تبقى كلماته مكتوبة بحروف من نور على جبهة هذا العصر لا تمحوه الايام ٠٠٠ فها نحن اولاء نورده ـ الخطاب ـ بنصه الشائق ومعناه الرائق) ٠

(يا اهالي ولاية بغداد ٠٠٠ ان جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بمنزلة قاهرين أو اعداء بل بمنزلة محررين ٠٠٠ كثيرون هم اشراف العرب الذين راحوا ضحية في سبيل الحرية على أيدي أولئك الحكام الغرباء ـ الاتراك ـ الذين ظلموهم ٠ ان التصميم لهو تصميم بريطانيا العظمى وتصميم الدول العظمى المتحالفة معها على أن لا يذهب ما قاساه

---

(١) جريدة العرب ـ العدد الاول ـ في الرابع من تموز عام ١٩١٧م ٠

هؤلاء العرب الشرفاء هباء منثورا ••• ان مأمول بريطانيا العظمى وامنية الامم المتحالفة معها أن تسمو الامة العربية ••• يا اهالي بغداد تذكروا بانكم تألمتم مدة ستة وعشرين جيلا آذاكم الظلمة الغرباء الذين سعوا دائما الى الايقاع بين البيت والبيت كي يستفيدوا من شقاقكم فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا العظمى وحلفائها اذ انه حيث العداوة وسوء الحكم لا يستقيم سلام ولا فلاح)[1] •

كلام لطيف ووعود براقة غير أن الوقائع فيما بعد كذبت هذا الكلام المعسول فلم تعد حرية ولم يعد هناك عرب احرار وانما سجون وتعذيب •

والمتامل في اعداد هذه الجريدة يلاحظ مقالاتها قاطبة على هذه الشاكلة من مدح للاحتلال وذم للاتراك سواء أكان ذلك نثرا أم شعرا !

استمع الى قصيدة بعنوان ـ بشرى وذكرى ـ لابن الفراتين جاء فيهـــا :ـ

بشـــرى لبغداد مهد العلم والادب
حصن الخلافة والسلطان والحسب

بشـــرى لبغداد ام الرافدين همـــا
لمن تدبر سيّالان من ذهـــب

لا غرو ان اخلقت بالرغم جدتها
فاليوم قد عوضت من لبسها القشب

وصعّرت خدها للترك معرضـــة
عن المظـــالم والارزاء والكـــرب

وحسبها ان جند الشرّ غادرهـــا
والخير يطرده في جحفل لجـــب

(١) جريدة العرب ـ العدد الاول ـ في ٤ تموز عام ١٩١٧م •

هـذا يحاول تحرير الرقاب وذا
لشنقها كان قبلا ضارب الطنب

هـذا يكابد تتريك البلاد وذا
يسعى لراحتها من ذلك النصب[١]

فالقارىء يستشف من هذه القصيدة المدح ، والغلو فيها ، ويجد كذلك كذب التجربة الشعورية التي عاناها الشاعر في كل ما نطق به ، وهذا كثير في جريدة العرب[٢] .

ولعل قصيدة ـ ولاء الانكليز ـ تعطينا الصورة الكاملة ، لسياستها قـال :

(شاعر بغداد ومبعوثها في ولاء الانكليز) كما تقول الجريدة نفسها دون الاشارة الى اسمه .

وجدت الانكليز اولي احتشـام
اباة الضيم حفاظ الذمـام

نصادقهم تجد اخلاق صدق
لهم والصدق من شيم الكرام

. . . .

أحب الانكليز واصطفيهم
لمرضي الاخاء من الانام

---

(١) جريدة العرب ـ العدد الاول ـ في ٤ تموز عام ١٩١٧م .
(٢) من ذلك ـ ادلة بغض الترك للعرب بقلم ابن ابابل في العدد (٢١) في ١٩ آب عام ١٩١٧م ، ولا تزر وازرة وزر اخرى بقلم ابن الرند في العدد (٣٠) في ٥ أيلول عام ١٩١٧ ، وهؤلاء لا يكذبون بقلم ابن الشيح في العدد (٦٨) في ١٩ تشرين أول عام ١٩١٧م ... وغيرها .

ووال الانكليز رجال عدل
وصدق في الفعال وفي الكلام

ثم يختمها بقوله :

بحبلهم اعتصم فتعيش حرا
تسير على البسيطة في سلام[1]

وقد تبين أن هذه القصيدة هي لجميل صدقي الزهاوي وقد نشرت في ديوانه الكلم المنظوم ص ١٤ ـ ١٦ وقد ظلت هذه القصيدة مصدر طعن وتندر عليه طول حياته كما يذكر الدكتور ناصر الحاني[2] • وقد لا اكون مغالياً أن قلت أن خيرة شعراء العراق انقلبوا الى مادحين للانكليز فاذا ما مات أحد رجالهم تهافت أكثر الشعراء على رثائه بينما تموت امة بكاملها فلا ينبري أحد منهم الى رثائها • استمع الى قصيدة بعنوان :

(فادحة الاتفاق بموت فاتح العراق) لأبن السيارة جاء فيها :ـ

خطب دوت منه الرماح الدقاق
واحدودبت له السيوف الرقاق

• • • •

والشمس من رزء الاسى كورت
وعم بدر ـ الاحتلال ـ المحاق

بموت ـ مود ـ القرم قطب الوغى
القائد الجند لا على فراق

---

(١) جريدة العرب ـ العدد (٢٥) في ٢٨ آب عام ١٩١٧م •

(٢) راجع : ناصر الحاني ـ محاضرات عن جميل الزهاوي ـ ص٤ معهد الدراسات العربية العالية عام ١٩٥٤م •

وقـد سـقى العـراق طلاعفـوه
كمـا سـقى الاتراك مـر المذاق

شـق عن (الزوراء) عصا زورها
وبالنهي خفف عنهـا المشـاق

شـقت عليـه جيبهـا حرقـةً
ما كل قول زين بالاشـتياق[1]

ثم بعد هذا ماذا يقول القارىء بله الناقد في القصائد الكثيرة في مدح ملك الانكليز ـ جورج الخامس ـ ؟ ألم يكن من الاجدر بهولاء الشعراء العراقيين أن يقفوا مدحهم على من ناضل وكافح من اجل حرية وطنـه واسعاد شعبه من ابناء جلدتهم ؟! اولئك الذين حملوا راية الجهاد ولم يغرهم المال والجاه . ورب معترض يعترض على قولنا هذا فيقول : ان هذا فرض تفرضه بالنسبة للظروف التي تحياها الآن . لكننا نجد اكثر الناس وفي ايام الاحتلال البريطاني بالذات كانوا يعتبرون المحتلين الانكليز كفاراء ومن يتعامل معهم كافرا فما ظنك اذن بشعراء يتجاوزون حدود كل ما الفه الشعب في تلك الفترة ويتجرؤن على مدح ملك الانكليز . أنظر الى الشاعر ابن السليقة يمدح ـ الملك جورج الخامس ـ حيث يقول :ـ

دعائي وحمـدي ومدحي اتصـل
لسـلطانا وعميـد الـدول

هو الملك المرتقـي في عـلاه
مراقـي ينحط عنهـا زحـل

لقد نشـر العـدل في العـالمين
وهـل عـادل مثلـه قـد عـدل

(١) جريدة العرب ـ العدد (١٠١) في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٩١٧ .

وقل عن لسـاني لـه معلنـاً
ولا تخش من سـأم أو كلـل

فيا من حمى أرضنا عدلـه
ويا من به عزنا قـد كمـل

فيـا (جورج) يحميك رب السما
بحرمـة عيسى الرسـول الاجل

ولا زلت يـا غوثنـا سـالما
وانك طـول المدى متصـل

بنصـر عظيـم وفتح قـريب
بسـعدك طالعـه يشـتمل[1]

ثم استمع الى (ابن العراقين) في قصيدته ـ النصر الخالد ـ لترى ما آل اليه أمر الشعراء من استهتارهم المبتذل بكل قيم العروبة من صراحة وبعد عن كل ما هو ضعة وهوان :

رأى الناس هذا النصر ان له أهلا
كفـاء وان الحق يعلو ولا يعلى

لقد هنأت بغـداد (مودا) وجيشه
اذ الجيش منصور و (مود) بها احتلا

فيا لك من نصر على الترك خالد
ويا لك من فتح لبغداد قـد حلا

ولله حـرب في العراق مثاره
ولله شبان قضـوا ودم طلا

---

(١) جريدة العرب ـ العدد (٤٥) في ٢٢ ايلول عام ١٩١٧م ٠

فلما اتاهم فاتحا بجيوشه
وانقذها من ظالم سامها ذلاً
يضيىء بنور العدل اوجه اهلها
ويضرب بالنار العدو الذي ولّى
وأمّن من قد كان بالامس خائفا
ونظم ما قد كان من قبل مختلا
وقد ادركت بغداد غب احتلاله
بلهنية ما ادركت مثلها قبلا

* * *

له عشر كرات على طول دجلة
اغار على الاتراك فيهن واستعلى
وكانت حيال الرافدين مواقف
يحارب فيها العلم بالقوة الجهلا
ادار رحاها عالما بشؤونها
الى ان اباد الترك في الحرب أو اجلى[1]

يتضح لنا مما سقناه من الامثلة أن القصيدة كانت تحتل الصدارة في جريدة العرب • بينما المقالة على قلتها كانت شرحاً وتفصيلا لهذه القصيدة والسبب في ذلك يعود الى طبيعة البيئة العراقية فكانت أقرب الى الطبيعة القبلية والعشائرية التي يثيرها الشعر ويحرك فيها النخوة والانصياع الى مضامينها • استمع الى مقالها الافتتاحي تحت عنوان ـ اللغة العربية في بغداد ـ بقلم (ابن الخضرة) :ـ

---

(١) جريدة العرب ـ العدد ١١٠ ـ في ٧ كانون الاول عام ١٩١٧م ٠

(... واذا سألتني : وكيف بلغ بالبغداديين أن فسدت لغتهم حتى انحطت الى هذه الدركات .. ؟ قلنا سببه الترك تلك الامة الفاسدة المفسدة التي اخذت على عاتقها ان تفسد كل اصلاح على الارض حتى ان من جملة ما آلت به على نفسها أن تفسد لغة عدنان ، لغة قريش ، لغة هاشم ، لغة افصح من نطق بالضاد لغة دين المسلمين ... وما ان دخل الانكليز بلدتنا الا واجبروا الناس على تعلم اللغة العربية وصرحوا بانه لا يهمهم تدريس الانكليزية فيها وقد قال من عهدت اليه رئاسة المعارف : (ان المدارس الاهلية التي لا تدرس اللغة المضرية لا تسعف بالمال ، وكل مدرسة علمت العربية وان كانت لا تدرس لغة من اللغات الاجنبية فانها تسعف مالا ونفوذا وجاها)[١] .

ليت (ابن الخضرة) حدثنا بمقاله هذا بصراحة عما فعله الانكليز باللغة المضرية اثناء احتلالهم لبغداد ، وعن الطرق التي اتبعوها في ارهاب ابناء قحطان ؟! وليت - ابن الخضرة - رعى حقوق قومه وراقب الله في وطنه في كل ما قال !

والمتتبع لاعداد جريدة العرب يجدها تنحو هذا المنحى في كل مقالاتها واذكر بعض المقالات على سبيل المثال منها :

(فظائع الاتحاديين في مدينة الرسول) ، (ما قاسى العرب من الاتراك في بغداد) ، (افساد الترك لحروف الهجاء) ، (الجندي التركي والعثماني) (مناقشة الحساب) واخيرا استمع الى مقال تحت عنوان - الارض تسقى وتسعد - بقلم (ابن العراق) لتكون الصورة لهذه الجريدة واضحة . جاء فيه :-

(... زالت عن وجه بغداد نضارة تلك الحضارة التي كان يسقيها

---

(٢) جريدة العرب - العدد الخامس - في ١٣ تموز عام ١٩١٧م .

ماء العلم المعين وصوحت اغصان ذلك الامن بعد أن نضب ماء العدل وذهبت هاتيك السعادة التي كانت تحتضن اهلها . وذلك منذ وطئت اقدام الاتراك ربوع هذه البقاع وهبطت وادي دجلة والفرات

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام

وقد طال شقاء هذا القطر مدة قرون حولت ايامه البيض الى ليال سود ما في سمائها قمر يطلع أو نجم يلمع ... وليس على الله بعزيز أن يطهر بفضل منه تعالى تلك البلاد بسيوف حزبه الماضية ـ الاحتلال البريطاني ـ من سيطرة قوم نسوا الله وتعدوا حدوده في الظلم على خلقه واهانوا العرب . كما طهر بغداد واكثر بلاد العراق منهم بمدافع الانكليز ... ويا لها من سعادة ثلجت لها القلوب وحظيت بها بغداد بعد شقاء طويل الم بها من قبل الاتراك ...)[1] .

استمرت هذه الجريدة في الصدور مدة ثلاثة أعوام على نمطها السابق واحتجبت عن الانظار في الحادي والثلاثين من شهر مايس عام ١٩٢٠م وقد بشرت الناس بانتهاء صدورها ، وبصدور جريدة العراق بقولها : (ان هذا العدد الاخير من جريدة العرب ، ويصدر غدا العدد الاول من جريدة العراق)[2] . وبهذا انطوت صفحة من صفحات جريدة العرب لا يحسدها عليها أحد .

---

(١) جريدة العرب ـ العدد الثالث في الثامن من تموز عام ١٩١٧م .
(٢) جريدة العرب ـ العدد الثالث ـ في ٣١ مايس عام ١٩٢٠م .

جريدة العـراق

(١٩٢٠م ـ ١٩٤٦م)

بعد أن انطوت تلك الصفحة من صفحات جريدة العرب تفتح وليد ما أن رأى شعاع الشمس حتى أخـذ يلتصق التصاق حنـان بأم رؤوم ـ الانكليز ـ تلك هي جريدة العراق • وتعتبر من أقدم الصحف الاهلية بعد الحرب العالمية الاولى وأطولها عمراً • وكـان منشؤها ـ رزوق داود غنام ـ فقد سبق له الاشتغال في قسمي الادارة والتحرير في جريدة العرب وقد ساعدت الحكومة المحتلة هـذا الصحفي أول الامر بالمطبعة التي كانت تطبع بها جريدة العرب[١] •

والناظر لاعداد هذه الجريدة في سنتها الاولى يجدها تحذو حـذو زميلتها ـ جريدة العرب ـ في خطتهـا ، ويرى كذلك أنـه لـم يتغير من ملامحها سوى الاسم • فقد كان كتابها على الاغلب هم نفس كتاب جريدة العرب وقد كانوا يذيلون مقالاتهم بتواقيع مستعارة •

صدر عددها الاول في أول حزيران من عـام ١٩٢٠م • وجـاء في ترويستها أنها :

(جريدة يومية سياسية أدبية اقتصادية) وقـد اندفعت بحرارة الى تأييد السلطات المحتلة مما أفقدها ثقة الجمهور وهي في سنتها الاولى ولما كان الهدف من انشائها سياسيا فقد شغلت معظم صفحاتها بأخبار الحرب ، وبرقيات رويتر ، والبلاغات الحربية التي تذيعها حكومة الاحتلال ، ونشر المقالات السياسية التي تنكل بالسياسة العثمانية ، وتحبذ الاحتلال الجديد

---

(١) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٥٢ •

ـ البريطاني ـ ، وتحذيرات السلطات المحتلة للعراقيين • جاء في عددها الثالث : (تصريحات الحاكم الملكي العام السير ولسن) مطاليب الاهلين[1] (اتصل بي أن بعضا من حضراتكم يريد أن يقدم لي مطاليبهم بخصوص مستقبل العراق لعرضها على حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى • فلا حاجة لي أن أبين لكم سروري من هذه الفرصة التي يتاح لي فيها أن أرحب بكم وأشرح لكم ماهية سياسة حكومة جلالة الملك ـ بريطانيا ـ بازاء هذه المسألة ••• ان الغاية التي ترمي اليها بريطانيا العظمى وفرنسا من مواصلتهما في الشرق تلك الحروب هي تحرير الشعوب الرازحة تحت نير الاستبداد التركي تحريرا تاما ••• واني أؤكد لحضراتكم أن الافراد الذين يرومون تأسيس حكومة ملكية بصورة مستعجلة بالحض على استعمال العنف وبتهييج أفكار البسطاء من الامة يجنون على وطنهم مهما كانوا مدفوعين الى أعمالهم هذه بدافع الوطنية أو بعوامل أخرى ••• ويسرني معرفة اقتراحاتكم وسأرفعها الى حكومة جلالة الملك المهتمة كل الاهتمام بمصير العراق)[2] •

وبعد نهاية الخطاب نهض العلامة محمد الصدر فقال :

(ان الحركة في البلاد هي حركة سلمية لا يقصد منها اثارة القلاقل •

---

(١) عندما سمع اهالي بغداد بقرار مؤتمر (سان ريمو) القرار القاضي بسلخ البلاد من الدولة العثمانية ووضع العراق تحت الوصاية البريطانية هب اعيان بغداد والكاظمية واختاروا خمسة عشر عضوا لبسط مطالبهم على الحاكم العسكري البريطاني منهم العلامة محمد الصدر ويوسف السويدي وجعفر أبو التمن وغيرهم وفي ٢٨ مايس رفع هذا الوفد عريضة الى الحاكم البريطاني طالبا اليه تعيين وقت الاجتماع به وقد اجاب الحاكم البريطاني طلبهم ودعت الحكومة المحتلة واحدا وعشرين من اعيان البلد من غير اعضاء الوفد السابق منهم جميل صدقي الزهاوي ومحمد الصدر وعبدالقادر الخضيري •

(٢) جريدة العراق ـ العدد الثالث ـ في الثالث من حزيران عام ١٩٢٠م •

وجل مطلبنا هو تأليف حكومة وطنية حسب تصريحات الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا في تصريحهما الذي أذاعتاه في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩١٨ عملا بقرارات مؤتمر سان ريمو • وقد انتدبتنا الامة للمفاوضة معكم بهذا الامر • وهي تنتظر بفارغ الصبر تحقيق ذلك • وطلب الاسراع في تنفيذ هذه القرارات لتطمئن قلوب الامة •••) وحينئذ سلم يوسف السديدي الى الحاكم الملكي - البريطاني - نص القرار مكتوبا وموقعا عليه من أعضاء الوفد بشأن مطاليبهم • ثم استمع اليها تعلن (بيان نائب الحاكم الملكي العام في العراق) جاء فيه :

(يظهر أن بعض الاشخاص قد أشاعوا بأن الحكومة البريطانية على وشك أن تسحب قواتها العسكرية من العراق واشاعات أخرى تفضي الى الاخلال بالامن العام فعليه أنا - سير ولسن - ••• نائب الحاكم الملكي العام في العراق - أنشر لاجل افادة العموم بأن الحكومة البريطانية من حيث أنها مسؤولة عن السلم الداخلي والخارجي في هذه البلاد ليس لها أدنى مقصود بأن تسحب من البلاد قواتها العسكرية ••• ولا تزال تحفظ قوات عسكرية من جميع أنواع الاسلحة تكفي لقضاء واجبات حفظ السلم الداخلي والامن الخارجي ••• واني عند اللزوم لا أقصر أن أطلب من السلطات العسكرية المساعدة الكاملة للقوة الملكية)[1] •

وعندما شبت نيران ثورة العشرين كانت هذه الجريدة اللسان الناطق لقوى الاحتلال في تشويه مقاصد هذه الثورة ونبلها فنشرت على صفحاتها البلاغات والمنشورات البريطانية بلهجة حادة • استمع الى البلاغ الصادر في ٢٨ تموز عام ١٩٢٠ بعنوان - الموقف على الفرات - جاء فيه :

(أصلح الموقف قليلا في لواء الحلة وقد ظهرت الاختلافات بين

---

(١) المصدر السابق - العدد السابع عشر - في ٢١ حزيران عام ١٩٢٠م •

القبائل وبدأوا يدركون أنهم آلة صماء في يد الاخرين وأنهم يكونون أول عرضة للخطوب)[١] .

ثم تأمل في هذا البلاغ :

وافانا البلاغ الرسمي الاتي وهو مؤرخ في **١١** ايلول عام **١٩٢٠** :

(رمت الطيارات بقنابلها جموعـــا من المتمردين كانت متجمعة في السماوة وفتكت بهم)[٢] .

غير أن ذلك لا يتفق مع عبارة مود المشهورة ـ جئـــنا محررين لا فاتحين ـ فليت صاحب العراق شعر بوخز الضمير عندما خط قلمه الوقائع معكوسة فالاحرار متمردون ! فقد كان الاجدر به أن يهجر قلمه ويقبـع في حجر بيته في هذه الفترة على الاقل اكراما للثوار وتقديرا للشهداء !

ثم اقرأ هذا البلاغ موشحا به صدر جريدة العراق تحت عنــوان ـ الموقف على الفرات ـ جاء فيه :

(وصلت الحلة الكتيبة التي عادت من الديوانية بقيادة ـ كوننكهام ـ بعد أن أدبت القرى العاصية في طريقها ... ويظهر على العصاة أمائر الجلد بعد أن نالوا التأديب الصارم الذي أنزل فيهم مؤخرا)[٣] .

ليت ـ الجنرال مود ـ قائدهم كان حيا ليثبت لنا أين الحريـة التي أرادها للعراقين ؟ أهي حرية الضرب بالسياط ؟ وليت محرري جريـــدة العراق يسمعون أنين أبناء مضر وقحطان ، وليت صاحب العراق استيقظ ضميره على أنات بني جلدته .

وقد خشيت السلطات المحتلة الاجتماعات التي يعقدها أبنـاء العراق

(١) جريدة العراق ـ العدد ٥٢ ـ في ٣١ تموز عام ١٩٢٠م
(٢) المصدر السابق ـ العدد ٨٩ ـ في ١٤ ايلول عام ١٩٢٠م
(٣) المصدر السابق ـ العدد ٦٢ ـ في ١٢ اب عام ١٩٢٠م

في المساجد ، والجوامع فأصدرت منشورا حظرت فيه هـذه الاجتماعات نشرته جريدة العراق جاء فيه :

(الى أهالى بغداد :

اعتاد بعض المفسدين منذ شهر رمضان أن يعقدوا المواليد في ليـالي الجمعة ، ظاهرا لمقاصد دينية ، ولكن في الحقيقة لتهييج أفكار الناس ضد الحكومة ـ البريطانية ـ ولبث روح الاختلاف ... ولكن كما تبين في ان الحرية الممنوحة قد أساؤا استعمالها وأن المحركين يضلون العوام بضـلال مبين بجسارتهم ومذاكراتهم في مجالس ـ المولود ـ[1] فلهـذا وجب أن تعلن أن انعقاد المواليد ممنوعة وأن انعقاد الاجتماعات لمقاصد سياسية تعرض القائمين بها لاشد العقوبات ...)[2] .

أما مقالاتها السياسية فهي كالعادة مدح لسلطات الاحتلال البريطانية، والنعي على حكم الاتراك . جاء في مقال افتتاحي تحت عنوان ـ العـراق جنة الى الراحة ـ :

(لم يبرح العراق ساحة تمثل عليها الفوضى والاضطراب ، وميدانا تلعب فيه الثورات والمنازعات ... وآخر ما ابتليت بـه ما بين النهرين ـ الاتراك ـ فلم يحسنوا حكمها وزرعوا بذور الشقاق في أطرافها ... ورزح هـذا القطر المسكين تحت عبء الطوراني الثقيل دهرا ذاق فيـه الامرين من جراء الغليان الذي حل بساحته ...

تقلص ظل ـ الاتراك ـ في هذه الربوع فتنفسنا الصعداء وقلنا مرحبا

---

(١) المواليد : مجالس دينية تعقـد للاشادة بالرسول الاعظم وآل بيتـه .

(٢) جريدة العراق ـ العدد ٦٣ ـ في ١٣ اب عام ١٩٢٠م

بالسعد أقبل بحيّ العراقيين وأهلا بالسكينة والراحة ...)[1] .

عجيب وغريب أمرك يا صاحب العراق ! نحن نتفق وإياك مع ما قلت ، في عمل الاتراك . ولكن أتعلمنا حقيقة دور الانكليز في العراق ؟ ألم يكونوا أظلم وأقسى من الاتراك ؟ فأين السعد وأين الراحة ، أهي بالاستعباد أو بالذلة والاستكانة ؟ ولكن آفة الرأي الهوى . فان صاحبها رزوق غنام ـ غفر الله له ـ لم يقف عند خدمته للاجنبي المحتل ، بل تهجم على دعاة الوطنية الصادقة . استمع الى مقاله تحت عنوان ـ ما أرخص الالفاظ والمعاني عندنا ـ جاء فيه :

(كثر في هذه الايام ترديد كلمة الوطن وخدمته والوطنية وأبنائها ، ولا غرابة في ذلك فالعصر عصر يقظة وانتباه ... ولكن من أعجب ما قرأته في هذا الشأن اعلان نشرته احدى الصحف عندنا عنوانه (خدمة وطنية) وبحثت عن هذه الخدمة فوجدتها اصلاح الدراجات ـ البايسكلات ـ ليس الا فقلت ليس علينا الا أن ننام مدة خمسة قرون ثم نستيقظ لنرى من أمر هذه الخدمات الوطنية ، وعادة الاسترسال والافراط في تسمية الاشياء معروفة عندنا ولكن على الصحافي واجبات لا يستهان بها أمر معلوم)[2] .

الذي يعرفه الجميع أن الوطنية ليست مقصورة على تأدية فريضة الدم في سوح الجهاد ، وانما الوطنية هي اخلاص كل شخص في مجال عمله . فالمهندس في مكتبه ، والطالب في مدرسته ، والطبيب في مستشفاه ، والعامل في معمله ، كلهم وطنيون ان أدوا الامانة وأخلصوا في عملهم . فما وجه الافراط في هذا ؟ وأية ألفاظ رخيصة في اصلاح الدراجات ، ألم

---

(١) جريدة العراق العدد ـ ٨١ ـ في الرابع من ايلول عام ١٩٢٠م
(٢) المصدر السابق العدد ـ ٤٣ ـ في الحادي والعشرين من تموز عام ١٩٢٠م

تكن خدمة عامة ! والادهى من كل هذا أن (رزوق غنام) ينبري الى ايقاظ الامة وهو مرتم في أحضان مواليه . استمع اليه في مقال له تحت عنوان ـ الامة برجالها ـ :

(لا تبعث الامة من مرقد الذلة الى محشر العزة ولا ترقى من مهاوي الضعف الى ذرى القوة ... الا برجالها المتضلعين ... الذين أدركوا حكمة الوسط في تدبير أمور الامة وادارة شؤونها وأعرضوا عن الافراط والتفريط ... وأقاموا الامة من غفلتها وساروا بها في سبيل التقدم والنجاح . فان الكاتب العبقري يستنهض الامة من مضاجع الجمود وينفض عنها غبار الخمول ... والشاعر النابغة يقيل عثراتها ويقوي عزماتها ويثبت ارادتها باحساسه وتصويره المهيجين لعواطفها والمحركين لشعورها ... والسياسي الماهر يوثق عرى سياستها ... ويسعى وراء تحكيم علاقاتها مع الامم الاخرى . هؤلاء هم رجال الامة المعول عليهم في كل زمان ومكان)[1] .

يظهر مما تقدم أن سياستها كانت موالية لقوى الاحتلال . أما النواحي الاخرى : فقد اهتمت اهتماما كبيرا بالنواحي الثقافية اذ حثت العراقيين على الاقبال على التعلم والتثقيف .

جاء في مقال تحت عنوان ـ لا حياة للشرقيين الا بالعلم ـ :

(كلما اقترب الكاتب من مواطن الاخلاص في الفكر والصدق في القول اخترقت سهام قلمه كبد الحقائق ، وكلما مال به التطرف ، وساقه الغرض الى الطرق المعوجة والمسالك الوعرة ، طاش سهمه وأخفق في مسعاه ... لنعمل على نشر العلم بين ظهرانينا ، لان العلم الصحيح هو العامل الرئيسي في توحيد المبادىء والعواطف والاميال حتى اذا ما اتحدت

---

(١) جريدة العراق العدد ـ الثامن ـ في التاسع من حزيران عام ١٩٢٠م .

مبادؤنا واشتبكت عواطفنا وتألفت أمياننا ، أصبحنا شعبا راقيا عارفا ما لـه وما عليه وحولنا وجهتنا الى الكمال الذي تسعى اليه الانسانية الحاضرة عساما نسترجع ماضينا ونجدد عهدنا فنحيا حياة مجيدة اذ لا حياة الا بالعلم)[1] .

ثم استمع اليها في مقال تحت عنوان ـ الحرية الشخصية ـ جاء فيه:

(... ان الفرد الـذي يعيش غير متمتع بالحرية الشخصية لا يستطيع لضعف قواه ان ينهض بمجتمع عظيم ويقوم بانشاء ملك كبير دائم ويحظى بسلطة واسعة ثابتة سياسة واقتصادا ... ولما كان الفرد هو الجزء المتمم لكل المجتمع .. وجب ان يهذب كل التهذيب المبني على الحرية الشخصية حتى ينشأ حيا شجاعا مقداما قادرا على مكافحة الدهر ...

والخلاصة ان الحرية الشخصية لحكمة هامة جدا وهي الناظمة لحياة الفرد والجماعة والمجتمع والعاملة في رقيهم المادي والادبي ..)[2] .

اما النواحي الاجتماعية فقد اولتها عنايتها وقد عقدت المقالات الطويلة في ذلك معالجة حاجة المجتمع الى الاصلاح والواجبات الاجتماعية المفروضة على كل فرد جاء في مقال تحت عنوان (الواجبات الاجتماعية) :ـ

(لا شك ان التعاون هو من اهم الواجبات الاجتماعية واجلها . وهو من أكبر دواعي التقدم ، ومن اجل صفات البشر واقدسها .

... ان الواجب يدعو كل فرد ان يشترك بالالم الذي يصيب افراد امته ويتوجع لوجعهم . وذلك يمليه الضمير الطاهر ، والوجدان الشريف الذي يرفع المرء الى اعلى مراتب الحياة واشرفها . لست اقصد من التعاون

---

(١) جريدة العراق العدد ـ الاول ـ في غرة حزيران عام ١٩٢٠م

(٢) جريدة العراق العدد ـ الخامس ـ في الخامس من حزيران عام ١٩٢٠م .

ان نعين العطلاء من أفراد الامة الذين هم عالة على المجتمع ، بل أقصد من ذلك أن يكون المرء عضوا عاملا يوجه مساعيه الى النفع العام ... وان يسعي لتعميم العلوم ونشرها بين طبقات الشعب ، وبذلك يكون قد عمل عملا شريفا وادى واجبا اجتماعيا . قال امين الريحاني :-

(كل عمل يساعد على نمو قوى الانسان الحيوية وحفظها جسدية كانت او عقلية او روحية وعلى حصر لوازم الحياة فيما يتطلبه الناموس الطبيعي فهو عمل صالح شريف) ذلك ما يطلبه الواجب وتسوقنا اليه الاخلاق السامية)[1] .

وقد جاء في مقال تحت عنوان - حاجة الوطن -

وطني ، مهد الانبياء والرسل والملوك ....
متى ينبغ فيك للعلم انبياء ، وللحرية رسل ،
وللنور ملوك وامراء ....

الريحاني

(.. اذا امعنا النظر في حالتنا الاجتماعية والادبية تجلى أمامنا النقص العظيم والخلل الجسيم الذي قد اعتور مجتمعنا ، ورأينا ان وطننا المحبوب بحاجة الى عدة أمور :-

الوطن بحاجة الى آباء فضلاء ينشؤون ابناءهم وبناتهم على حب العمل والجهاد في سبيل الحياة ويطبعون في صدورهم محبة الاوطان وخدمتها .

حاجة الوطن كلية الى امهات فواضل يربين النشء الجديد على سنن الفضيلة والخير يرضعنهم افاويق الشرف والاستقامة مع الحليب ويغرس في نفوسهم منذ نعومة اظفارهم الخصال الحميدة والصفات الانسانية الجميلة .
وطننا يحتاج الى معلمين مخلصين يؤدون وظائفهم لا بالنظر الى

(١) جريدة العراق العدد - ٩ - في العاشر من حزيران عام ١٩٢٠م

ما يتناولونه من الرواتب بل يعتبرون مناصبهم اقدس المناصب الاجتماعية ويقومون بتعهد اطفال اليوم ورجال الغد تعهدا حسنا •• لنؤسس منهم غدا عمرانا سعيدا خالدا ••)[1] • ويستطرد الكاتب في هذا المقال الى مختلف موظفي الدولة وواجباتهم •

وقد عقدت الفصول الطوال في معالجة هذه النواحي تحت باب أسمته - لطايف أدبية - واليك امثلة منها للشاعر الباكي قال :-

(قبل عشر سنوات - وأنا صبي - كنت مشغوفا بالخروج الى ساحل النهر صبيحة كل يوم ، لأروح النفس ، وازيل عنها وطأة الحزن فكنت اخلع نعلي واركض فوق الرمال الدقيقة •• وبينما كنت اقلب الرمال بيدي اذ بدا لي من بين طياتها زهرة ناصعة البياض رقيقة الاوراق جميلة الشكل ، فرنوت اليها وقلبت بصري في مطاويها فأعجبني حسنها وانفرادها بين هذه الرمال • أرتفعت الشمس واخذت ترسل أشعتها المحرقة ••• وهكذا أخذت تلك الزهرة الجميلة تذوي رويدا رويدا من شدة الحر • فأشجاني ذلك وشق علي ذبولها فبكيت لحالها ، وحاولت ارواءها من دموع عيني المتناثرة ••• ولهذا لفحت حرارة الشمس تلك الزهرة فذبلت وذوت • وهكذا اكثر الكواعب اللواتي يشاكلن تلك الزهرة البيضاء ، برقة طبعهن وجمال محياهن تخرجها ايدي العتاة من تحت سجاف الخدر فيذوين تحت شمس الحب المحرقة • وقد يحاولن ذلك لان ارواح المحبين تعقب دموعهم نحو بحر النور الى ما وراء الشفق الاحمر خلف استار هذه الحياة • فسلام على تلك الدموع وامان على تلك الارواح)[2] •

ثم يجيبه الشاعر الضاحك• بمقال تحت عنوان - الى الشاعر الباكي- جاء فيه :-

---

(١) جريدة العراق العدد - ٢٦ - في غرة تموز عام ١٩٢٠م
(٢) المصدر السابق العدد -٣٦- في ١٣ تموز عام ١٩٢٠م •

(قرأت كلمتك التي حوت الابتسامات والدموع ، والحزن والفرح والحب والكره فحركت في فؤادي بعض عوامل كامنة أبيت الا ان تثير أوارها بنيرانك .. اقدس منك عاطفتك نحو تلك الزهرة الذاوية التي وجدتها بين الرمال ، وكيف عنيت بأن تعيد اليها رمق الحياة مما يدلني على ان في نفسك أثرا من آثار الروح العالية ...

ان كنت حرقت الارم على الزهرة النباتية وانت ابن عشر سنوات الا يطير فؤادك اليوم على الزهرات البشرية اللاتي تصوحهن حرارة الجهل ويكمد محاسنهن ضباب الغباوة ...

تفرست في وجهك فرأيت اخاديد الدموع بادية عليه ، مما دلني على انك كثير البكاء ... وكل ما حولك يدعو الى البهجة والفرح ..

ألم تجلس الى زوجك وتفتح لها صدرك فترى منها الاخلاص المتناهي ... ألم تأخذ بناتك وبنيك بين ذراعيك فترى في نظراتهم من اثار الانعطاف البنوي ما يعظم الحياة في عينيك ...

هذه كلها يا اخي مظاهر للسعد والسرور يجب ان تقابلها بالضحك والابتسام ، لا بسكب العبرات والزفرات أما انا فلا ازال عائشا بالمسرة والحبور ... لاني حاصل على مسرات الحياة واطايبها . لذلك تراني على الدوام ضاحكا مبتهجا منشدا قول الشاعر :

اذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا)(١)

يظهر ان هذه الجريدة بعد انتهاء الاحتلال البريطاني وتأسيس الحكم الاهلي اخذت تشيد بزعامة البيت الهاشمي ، والترويج لدعم سياستهم بمقالات حارة . وقبل ان انهي البحث عن هذه الجريدة لا بد ان نذكر ما اثبته الشاعر - معروف الرصافي - عن هذه الجريدة في جريدته

---

(١) جريدة العراق العدد - ٤٠ - في ١٧ تموز ١٩٢٠م

ـ الامل ـ[1] ردا على مقال نشرته جريدة العراق ـ بتوقيع الكاتب المطلق ـ:
جاء في جريدة الامل مقال تحت عنوان (صاحب جريدة العراق) :ـ

(في بغداد آدمي يقال له (رزوق غنام) يستحق ان يسمى بأبي العجب • كانت في بغداد فترة قبل انشاء حكومتنا العربية ـ لا كانت من فترة ـ صار فيها الوضيع شريفا والخامل نبيها والجاهل معلما والخادم حاكما والصعلوك مثريا وكان هذا الآدمي من الذين اثروا بفضل تلك الفترة فصار صاحب ثروة بعد ان كان ما كان • ان هذا لعجيب ولكن الاعجب منه انه نال تلك الثروة بصيرورته شيخا للصحافة العربية في بغداد واعجب من هذا وذاك انه لا يعرف ان يجمع بين كلمتين من اللغة العربية فما وجوده اليوم الا أثر من آثار تلك الفترة المشؤومة ـ يقصد فترة الاحتلال ـ التي ابقته لطخة سوداء في جبين الصحافة العربية •

ان المقال الذي نشرته صحيفته النكراء في عددها بتوقيع ـ الكاتب المطلق ـ لن يكون منه وانما هو من كاتب مقيد بالاجرة فكيف يكون مطلقا وهو كالخادم الذي يخدم بطعام بطنه •

لا ندري ما الذي حمل (رزوقاً) على أن يبصق في وجه الشرف من قبل ان يدنو منه ولعله فعل ذلك لعلمه انه اذا جاء الشرف انتكست الحسنة وتدهورت في مهاوي الخسران لانها لا تستطيع ان تنازعه البقاء •••

على اننا نعلم من هم الذين اغروا صاحب العراق بنا فسوف نوجه سهامنا الى مغريه ونعرض عنه جريا على عادة العرب القديمة التي قال فيها شاعرهم :

---

(١) الامل ـ جريدة سياسية لصاحبها ـ معروف الرصافي ـ صدر عددها الاول في مستهل تشرين الاول من عام ١٩٢٣م •

(كالثور يضرب لما عافت البقر ...)[1] .

وقد عقب الشاعر معروف الرصافي بمقال ثان تحت عنوان (احرجونا فأخرجونا) جاء فيه :ـ

(اصبحت جريدة العراق كالعنز الجرباء تحتك بكل من وما تصادفه تبريرا لغلتها وتسكينا لعلتها ... ان ما انطوت عليه ـ العراق ـ من اللؤم والخسة دفعهـــا ... من طريق اخرى هي طريقـــة التضليل والتمويه المشهورة بها تلك الوريقة الصفراء فقـــد كتب المأجور ـ د ـ يقصد به صاحب العراق ـ رزوق داود غنام ـ مقالا مرذولا حـاول فيه أن يضع مقالنا ـ الاكثرية الشيعية في العراق ـ تلك المقـالة التي لم نكتبها الا من جراء خدمة اكثرية غافلة معروفة بصلابة وطنيتها وصفاء سريرتها في الوقت كان فيه ـ د ـ وجريدته من جملة المروجين لفكرة جعل الاكثرية في العراق آشورية او ارمنية ... سهم طائش يا ـ د ـ ... ســهم لا يصوب الا الى مجلس سيدك ـ يقصد البريطانيين ـ ذلك المجلس الــذي كان ولا يزال عينا على حركات الوطنيين راصدا لانفاسهم الحرة ...)[2] .

استمرت جريدة العراق في الصدور ايام الحكم الاهلي فأتخـذت وجهة جديدة في مدح البيت الهاشمي ولا سيما العرش الفيصلي في العراق بلهجة حادة ، كما قلنا ، الى ان أوقفها صاحبها طوع اختياره عام ١٩٤٦م وقد ختمت حياتها بعددها المرقم ـ ٧٢١٥ ـ وهكذا غابت عن الانظار .

---

(١) جريدة الامل العدد الثـاني في الثـاني من تشرين الاول عـــام ١٩٢٣م (يضرب هذا المثل في عقوبة الانسان بذنب غيره) راجع مجمـــع الامثال للميداني ط٢ ج١ ص١٤٤ مطبعة السعادة بمصر عام ١٩٥٩م .

(٢) جريدة الامل العدد ـ الخامس ـ في السادس من تشرين الاول عام ١٩٢٣م .

الفصل الرابع

أهـم المجلات

أهم المجلات

سنتكلم في هذا الفصل عن أهم المجلات التي ظهرت في تلك الفترة ، وان كنا نلاحظ دائما ان بعض المجلات لا يكاد يصدر عددها الاول حتى يختفي ومن الامثلة على ذلك :

مجلة العلوم ، ومجلة الحياة ، وسبيل الرشاد ، والغرائب ، والرصافة، ومقتبسات ، والنور .

فلنرجيء الكلام عن هذه المجلات قصيرة الاجل ، حتى نفرغ من الحديث عن المجلات طويلة الاجل ومن اهمها ما يلي :ـ

مجلة العلم

(١٩١٠م ـ ١٩١١م)

مجلة عربية ظهرت في عالم الصحافة العراقية بعد اعلان الدستور العثماني . لصاحبها العلامة (السيد محمد علي هبةالدين الشهرستاني) من رجال الدين المعروفين في العراق . وكان مديرها المسؤول الشاعر عبدالحسين الازري . صدر عددها الاول في التاسع والعشرين من شهر آذار عام ١٩١٠م ، وكانت تكتب في النجف ، وتطبع في بغداد . جاء في ترويستها انها :ـ

(مجلة شهرية دينية فلسفية سياسيةعلمية صناعية) . وقد جاء في مقدمة عددها الاول ما يلي :ـ

(والامل من حملة العلم وحماة الدين ومن يشاركنا في الغاية والغرض ان يسعى في نشر هذه الصحيفة ويساعدنا بفيض يراعه ويجدفي

ان يجد ما يتمناه من غرس اصول الدين والعلم في اراضي القلوب وتكميل الافكار واصلاح الشعوب وفك مقاليد التقاليد المضرة من عقولهم)[1] . وقد زين كل عدد من اعدادها ببيتين من الشعر هما :ــ

العلم انفس شيء أنت ذاخره
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مباحثه
فأول العلم اقبال وآخره

وهذه المجلة شهرت يراعها لهدم ما بلي من عاداتنا ، وارساء الخلق القويم ، والتمسك باخلاق السلف الصالح . وكم لها من جولات في عالم الادب ، والسياسة ، والاخلاق والدين . ولمكانتها قرظها جماعة من الادباء منهم الشاعر خيري الهنداوي القائل :ــ

أسواد الابصار في الاحداق
أم مداد الاقلام في الاوراق ؟

وفصول الكلام تطرب سمعا
أم غناء الحمام ذي الاطواق

وهي مجلة طافحة بالمناقشات الصريحة ، والاراء الجريئة ، فقد نبهت الافكار الى الاخذ بأسباب التقدم ، وايقظت الهمم الى التآلف ،وجمع الشمل ، والاغتراف من مناهل العلم . استمع الى صراحتها في مقال تحت عنوان ــ الصحافة ــ جاء فيه :ــ

(أليست الصحافة عينا مراقباً ولساناً ناطقاً وخطيباً صادقا ودرعا واقيا ومعلما هاديا ومؤدبا ناصحا وصراطا واضحا تأمر بالمعروف وتنهى عن

---

(١) مجلة العلم العدد الاول ٢٩ اذار عام ١٩١٠م

المنكر لا تحمي في الباطل حميما ولا تهضم في الحق خصيما وكل صحيفة اخطأت هذا الصراط فعلى الامة تأديبها ولو بالسياط)[1] • ثم استمع اليها في قصيدة بعنوان ـ الى المعلم الى العلم ـ بقلم (الصائح المكلوم) جاء فيها:

الى متى يا كرام القوم ننتظـــر
والوقت يذهب والاحشـــاء تستعر

رحماكم الشعب كالانعام ليس له
ســـوى العلوم والا غاله القدر

وكلكم عالم بالـــداء وا أسـفي
وان ذا الجهل لا يبقي ولا يذر

جعلتم لســوى التعليم ســـعيكم
ماذا يفيد وهذا الجهل منتشـــر

فلا سبيل لاعمـــار البلاد سوى
نشر العلوم ألا بالغرب فاعتبـروا

وراقبوا الله في شعب ومملكـــــة
اضاعت العلم حتى حاقها الخطر

أليس بالعلم نقوى يا كرام كمـا
بالجهل نمحى فلا عين ولا اثـر

ثم تختتم هذه القصيدة بقولها :ـ

فان فعلتم فنعم الرأي رأيكـــم
أولا سأصرخ حتى ينتهي العمر[2]

---

(١) مجلة العلم العدد الاول ص٧ في التاسع والعشرين من اذار عام ١٩١٠م •

(٢) مجلة العلم العدد السادس ض٢٨٥ عام ١٩١٠م

وقد اتخذت هذه المجلة الشعر وسيلة لعرض معظم افكارها جرياعلى طبيعة العراقيين الذين يستهويهم الشعر ويثير عواطفهم • انظر الى قصيدة الشاعر خيري الهنداوي بعنوان ـ اين كنا واين صرنا ـ جاء فيها :ـ

قم فجنّد من حزمك الاجنادا
وادع بالعزم واقتعده جوادا

وتقلد من صائب الفكر سيفا
واتخذ رأيك السديد نجادا

* * *

صاح طال القعود في ظلمات الهون
فاقدح من النهوض زنادا

وتذكر آباء آبائك الصيد وما
قلدت به الاجدادا

نحن ابناء قادة الناس
واليوم تركنا منا اليها القيادا

بعد ان لم ندع من الارض شبرا
لم تطأه الجيوش منا جهادا

* * *

هيئ للعلوم يا امة الشرق
نهوضا وللرقي اتحادا

واستفيقي من رقدة الجهل والقي
العجز جنبا واستبدليه اجتهادا (١)

---

(١) مجلة العلم العدد الخامس ص٢٠٩ عام ١٩١٠م

وقد ظلت هذه المجلة دائبة الخدمة على طريقها الواضح ، ونهجها السليم مدة سنة ، وغابت عن الانظار بارادة صاحبها ـ العلامةالشهرستاني ـ مع انها لقيت من الرواج والانتشار الشيء الكثير .

مجلة تنوير الافكار

(١٩١٠م)

مجلة شهرية صدرت في بغداد عام ١٩١٠م . لصاحبها (عبدالهادي الاعظمي) ومديرها المسؤول (نعمان الاعظمي) . وقد جاء في ترويستها انهـا :ـ

(مجلة دينية أدبية سياسية خادمة للدين والعربية)(١) .

والمطالع لهذه المجلة يجدها تصب جل اهتمامها على نشـر مبادىء الدين الاسلامي ، والتعريف بمشاهير رجال العرب ، وتفسير آيات القرآن الكريم . جاء في عددها الاول :ـ

(عنّ لنا انشاء مجلة ندعوها (تنوير الافكار) هـدفها نشر الدين الاسلامي والتعريف بمشاهير العرب وتفسـير القرآن)(٢) . كما انها لم تهمل النواحي الاخرى الثقافية ، والسياسية ، واصلاح حـال العراق . جاء في مقال تحت عنوان ـ العراق ـ :ـ

(... الذي نريده وهو الذي يهمنا الآن وينتظره اهل هذا القطر عامة هو اعمال توردهم ذلك المورد الصافي وحركة تكون سببا لاسترجاع

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول في ٢٦ اب عام ١٩١٠م
(٢) المصدر السابق

ذلك المجد الغابر ... ان اصلاح العراقيين مفتقر الى امرين مهمين :مادي ومعنوي :

سكة حديد بغداد ومشروع ري العراق . وتكثير المدارس الوطنية الابتدائية ...) . ثم استمع اليها في المقال نفسه تصف رجال الحكومة وصفا يدل على ضعف ادارتهم ، وجهلهم في ابسط الامور ، ومن خلال هذا الوصف تحشر موضوع اللغة العربية ، وهو الموضوع الاساسي الذي ارادت التعبير عنه :ـ

(غير ان رجال حكومتنا المكلفين بالاصلاح ليس لديهم اقل اهتمام . جل ما يسعى اليه واحدهم تلك الوظيفة التي هي الغاية المقصودة والضالة المنشودة ... فتراه لا يتحرك من بيته الا الى كرسيه في نفس وظيفته ولا يتحرك من وظيفته الا الى بيته ومتنزهه ... تراه حائرا لا يدري متى يقبض نقوده وكيف يصرفها . ومن العجيب أيضاً اننا نرى الاجانب حينما يحل احدهم اوطاننا اول ما يتدبر اليه درس لغتنا وحفظها بكل نشاط واقبال ونرى رجال حكومتنا لا يستطيع احدهم ان يكلم حتى زوجته او ولده بلغته الوطنية وفي الحقيقة لا حياة لنا الا بها ولا وصول الى الاصلاح بغيرها)[1] .

وقد اعتمدت في نشر مبادئها الاصلاحية على الشعر في اغلب الاحيان، هاك قصيدة الشاعر عبدالرزاق الكرخي :ـ

شخصان انتم على الاموال متكىء
والثاني فيكم على آماله اتكلا

والثالث بات مطوي الضلوع ولا
يرثى عليه وان جوعا يموت فلا

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول ص١٩

هــذا ينام على جــوع ومسغبة
وذاك في جمع شمل الدرهم اشتغلا

وذا بليلاه مأنوس يواصلهـــــا
وذاك يكابد مع اهواله العـــذلا

اين المســاواة والايـام كاشفـة
مستقبل الدهر تبدي الامن والوجلا

ان التي انتشرت فيكم فليس ترى
غير لسفاهات منها قط ما حصـلا[1]

وقد عالجت النواحي الاجتماعية على صفحاتها • ويكاد نثرها يرصع بالشعر على الغالب • جاء في عددها الاول مقال تحت عنوان (لانظار ولاة الامور) : (قانون الصحافة يأمر الصحافي بتقديم كل صحيفة برزت الى عالم المطبوعات بأية لغة كانت لحاكم سياسة ذلك المحل ولكن هل لجمعها ووضعها في زوايا الاهمال أم لان يتصفحها صحيفةصحيفة ؟ متأملارموزها واشاراتها معتبرا انها المرآة التي تنعكس عليها صورة مطالب الامة •

ما بال الصحف العربية تنادي ؟ وقد بحت اصواتها قائلة العلمالعلم لا حياة لنا الا به وهذه ربوعه خاوية على عروشها وهي بمنظر ومرأى من الجميع ••• العلماء الاعــلام يستغيثون فلا يغــاثون ويستصرخون فلا يصرخون ، المدرس مع عائلته يتضــور جوعاً اذ ليس راتبه سوى (٢٠٠) قرش يوم يأخذ مباشر العدلية ـ أيفراش ـ ٥٠٠ قرش •

مدارسهم تبكي بل هي كما قال السيد خيري الهنداوي :
امســت مدارســنا خلاء همّدا
يرثــي لهــا المتجــول المتنــاب

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول ص٢٩

مسودة الجدران صفرا بعدمـــا

كانت تضيء بنورها الاحقـاب [1]

وكثيرا ما كانت تتخذ هذهالمجلة المدح للوالي (ناظم باشا) وسيلة لغاية تريد تحقيقها وهي اصلاح حال العراقين واعادة مجدهم التالد من ذلك قصيدة الشاعر عبدالرزاق الكرخي :ـ

عرج لبغداد وانزل في مغانيهـــا

فحيهـا بلدا رقت حواشيهـــا

أما ترى العدل قد شيدت دعائمـه

فيها (وناظم باشا) اليوم واليهـــا

* * *

يا ايها الناظم المجري عــدالتــه

بين الانام ورب الخلق يرعيهـــا

فالكرخ يشكو ضياع العلم من جهل

كما الرصافة تشكو الجهل واليها

* * *

استنهض القوم من ضيم وليس ارى

فيهم خبيرا فيعطي القوس باريها [2]

ثم استمع الى الشاعر نفسه بقصيدة اخرى عنوانها (حوادثالدهر):

يا سعد عرّج وقف بالارسم الدثر

ونادها كيف ابلتهـــا يد الغير

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول ص٣٨

(٢) مجلة تنوير الافكار العدد الثـاني ص٧٦ في ١٩ ايلول عــام ١٩١٠م .

فامهل رويدا بدار العلم مستمعـا
نـــداء مستنصر بالله منتصـــر

كانت تروق بهم في حسن موقعهـا
من جسر بغداد ذي الالواح والدسر

كانت بتدريس – علم الدين – زاهرة
واليوم موحشة في اوجه البشـر

* * *

يا عين فابكي هذا المصاب كمـا
باتت عيون الهدى تبكيـه في سهر

حيث المدارس في بغداد دارســة
ولم نجد في زواياها سوى الضجر(١)

وقد تأثرت هذه المجلة بالاضواء الفكرية التي عمت البلاد العربية كسورية ومصر آنذاك عن طريق الصحف ، مما حدا بهـا الى ان تحمل حملة شديدة على مطالبة السلطات العثمانية بجعل اللغة العربية هي لغـة التعليم جاء في مقال تحت عنوان – ولتكن منكم امة –:

(يسوؤني ان ارى القصد من مكاتبنا التتريك لا التعليم فاننا نرى الطالب يقضي ســت سنوات في الرشدي – الابتدائـي – ولا يستطيع أن يؤدي مرامه باللغة الرسمية ولا اللغة العربية فيبقى مذبذبا وقد انتبهـت دائرة المعارف لذلك واخذت تحاول دون اصلاحها هذا في الولايات واما في الاقضية والنواحي فحدث ولا حرج ... ويسرني ان ارى قد هزت اهل بغداد اريحية الحمية والغيرة الوطنية فشمر كل منهم عن ساعده وبرز في

(١) مجلة تنوير الافكار العدد التاسع ص٣٢٦ في ١٥ حزيران عـام ١٩١٠م .

ميدان مطالبة حكومتنا ... بحقوق غصبت في الدور المباد المنحوس ... فرحمة ايها البغداديون بنشئتكم ...

ان دام هذا ولم تحدث له غيَر لم يُبكَ ميت ولم يفرح بمولود[١]

ثم تأمل في المقال الذي اقتبسته من جريدة المقتبس بعنوان ـ الامة تحبو ـ مما كان له الاثر في تحسس ابناء العراق الى واقعهم . وقد جاء فيه :ـ (نريد بالامة هنا ـ الامة العربية والشعوب العربية ـ وان الحكومة تحسن صنعا اذا نشطت في هذا القطر اللغة العربية اكثر من اللغة التركية. اما السعي في تتريك العرب في سوريا وفي غيرها من الاقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم يطول معه زمان نهوضهم الحقيقي والاتراك ليسوا بمدنيتهم على مستوى الفرنسيين والانكليز في الرقي ... حتى يفيضوا من علمهم على العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عقيما في نشر التركية في البلاد العربية ... فلا سبيل الى النهوض الا باحياء اللغة والاداب وتذكير الابناء بما فعل الاباء ، والا فستبقى هذه الامة ... اقرب الى الاضمحلال منها الى البقاء ومتى ازمن مرضها يتعذر برؤها . سبحان من يحيي العظام وهي رميم)[٢] . الواقع أن هذه المجلة كان لها الاثر الفعال في المجتمع العراقي من حيث تنبيه الافكار ، واستلهام العبر ، والعظات . استمع الى مقالها تحت عنوان ـ يا اعيان البلاد ـ جاء فيه :ـ (يا اعيان البلاد واشراف سكانها اين انتم من شيوخها وكهولها وشبانها قد التهمت ثروتهم المراقص والراقصات وافقرتهم المقامر والحانات وسلط عليهم الجهل انواع الآفات. ما لكم لا تحولون بينهم وبين هذه الموبقات المهلكات ... اتقوا الله ايها

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد السابع ص٢٦١ في ١٨ مارت عام ١٩١٠م .

(٢) مجلة تنوير الافكار العدد السابع ص٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ في ١٨ مارت عام ١٩١٠م .

المسلمون وعودوا الى التمسك بالدين يعـــد لكم عز آبائكم الاولين • وارجعوا الى العمل بالقرآن العظيم يرجع لكم بين الامم مقامكم القديم)[١]

وقد استمرت هذه المجلة تصدر سنة كاملة ثم احتجبت •

مجلة لغة العرب

(١٩١١م ـ ١٩٣١م)

اصاب اللغة والادب ، في العهد العثماني ، الجمود لان الحكـــام حظروا التكلم بالعربية والمراسلات في دوائرهم الرســمية والمدارس • فانكمش الادب وظلت الجوامع والمساجد في العراق تكافح وتناضل في حفظ اللغة والادب من الضياع • وقد اســـتمر الصحفيون العراقيون يطالبون الحكام العثمانيين بجعل اللغة العربية لغـــة رسمية في الدوائر الحكومـــة ، وفي المدارس[٢] • حتى تحقق ذلك عـــام ١٩١١م[٣] • فاستبشر الادباء العراقيون بهذا النصر واخذت البحوث اللغوية تتزين بها صفحات المجلات والجرائد • ويعتبر اول من اقـــدم على ذلك (الاب انستاس مارى الكرملي)[٤] الذي اصدر مجلة (لغة العرب) تلك المجلة

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد العاشر ص٣٦٩ في الخامس من اب عام ١٩١٠م •

(٢) راجع : الفصل الثالث ـ أهم الصحف ـ (الرقيب) و (صدى بابل) •

(٣) راجع : مجلة لغة العرب ـ التدريس في المكاتب باللغة العربية ـ ج٦ ص٢٧٨ عام ١٩١١م •

(٤) أديب عراقي معروف ولد في بغداد عام ١٨٦٦م من أب لبنـــاني الاصل ، وأم بغدادية • تعلم دروسه الابتدائية في مدرسة الآباء الكرمليين ببغداد وأتم دراسته الثانوية في مدرسة ـ الاتفاق الكاثوليكي ـ وتخـــرج

التي عنيت بالمباحث العربية فحققت بذلك امنية طالما راودت اذهان المفكرين العراقيين سنوات عديدة • وقد صدر العدد الاول منها في غرة تموز من عام ١٩١١م • وجاء في ترويستها انها (مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية). وقد نشرت في عددها الاول خطتها جاء فيها :ـ

(بعد حمده تعالى ، والشكر على آلائه ، والاتكال على مدده ، قد عقدنا النية على اصدار هذه المجلة الشهرية خدمة للوطن والعلم والادب. والذي دفعنا الى هذا العمل هو انا رأينا اغلب المجــلات والجرائد ••• تبحث عن بلاد اصحابها ورجالها ولا تذكر الا النزر اليسير التافه عن هذه الارجـاء وذويها • فرأينا من المناسب ان ننشىء مجلة تفي بما في الامنيــة ليدخل العراق في مصاف الربوع المعروفة بين الامم المتمدنة المتحضرة)[1]• يظهر من هــذا ان المجلة ارادت أن تعرّف العراق ، واهله ، وقبائله ، ومشاهير رجاله للعراقيين وغيرهم • وذلك بالاضافة الى مباحثها اللغويــة الكثيرة • وقد حوت هذه المجلة مختلف النواحي الادبية واللغوية، وارجاع الالفاظ الى اصولها • من ذلك مقال تحت عنوان ـ اصل لفظة الرزق ـ جاء فيه : (المشهور بين اللغويين ان لفظة الرزق عربية فصيحــة • ولم يخطر ببال احد انها من اصل اعجمي ••• على اني اذهــب الى انها من اصل فارسي ••• والمراد من الرزق في كلام الفصحاء والعوام هو قوت اليوم سواء أكان لبني آدم ام لابناء الحيوان ومنه (وعلى المولود له رزقهن)

فيها عام ١٨٨٢م • ثم عيين معلما للغة العربية في مدرسة ـ الآباء الكرمليين وقد أحب الادب واللغة ، وله مقالات كثيرة في مجــلات العراق ولبنــان وسورية ومصر وغيرها • وقد بقي دؤوبا في خدمة العربية وآدابها حتــى توفاه الله عام ١٩٤٧م • ولتفصيل حياته راجع : أكوركيس عواد ـ الاب أنستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته ـ ص٧ـ١١ بغداد عام ١٩٦٦م •

(١) مجلة لغة العرب ـ العــدد الاول ـ ص١ ، ٢ في أول تمــوز عام ١٩١١م •

و (وكلوا من رزقه) و (••• الا على الله رزقها) ، (يأتيها رزقهارعدا)، (ان الله هو الرزاق) فلا يبعد من ان يكون هذا اللفظ مشتقا من لفظة (روزه) الفارسية ومعناها ـ القوت اليومي ـ و (روزه) مأخوذة من (روز) أي يوم • وان ما يكون اخره بالهاء في الفارسية يعرّب بالقاف او الجيم او الكاف بالعربية ، كجرموق ، وخندق • فأصلها (جرده) و (خنده)[1] • ثم استمع الى مناقشاتها الحرة في مقالها تحت عنوان ـ أتجوز الكتابة بالعامية ـ بقلم ـ رزوق عيسى ـ جاء فيه :ـ (لقد قامت اغلب الجرائد والمجلات وكتبت الفصول الطوال ، لتتلافى بها الخطر المحدق باللغة العربية ••• وقد نطقت كل صحيفة بما خطر لها وعنّ ، واوجبت التمسك به حسب ظنها • فبعضها قالت : يلزم ان نستأصل شأفة الكلمة العامية والدخيلة ونستعمل عوضها كلمات لغوية فصيحة ••• وكل الجرائد والمجلات ارتأت رأيا واشارت الى امر اوجبت التمسك بهوالتعلق باذياله ••• ولكني اسمع من الآن قائلا يقول : اذا كنا لا نلتفت الى كلام هذه الجريدة ، ولا نحفل بقول تلك الصحيفة فكيف العمل ـ يا رعاك الله ـ ونحن في موقف حرج ؟ اجيب قائلا لي فكر ابديه اليوم لعلماء اللغة واربابها فان وافق العقل والصواب ، فليحلوه محله ، ويعملوا به ، والا فليضربوا به عرض الحائط •وهذا الرأي هو : ان يجمعوا كلمات البلاد العربية العامية والدخيلة وينتقوا منها ما هو قريب من اللغة الفصحى ويدخلوها في اللغة ويحسبوها كجزء منها • اما الكلمات التي هي عامية العامية ودخيلة الدخيلة فلينبذوها نبذ النواة •• ورجائي الوطيد من لغويينا الكرام ان ينتقدوا كل لفظة عامية أم دخيلة اذا ظهرت لهم غير صحيحة • فاذا فعلوا ما نوهت به ، وما اخالهم الا فاعليه ، خدموا اللغة العربية اجل

---

(١) مجلة لغة العرب العدد السادس ص٣٠٢ في أول كانون الاول عام ١٩١١م •

خدمة)[1] . وقد كان لمقالاتها هذه الاثر الفعال في تحريك الجو الادبي الذي رانه الجمود فترة طويلة . فتحركت الاقلام في التعقيب على مقالاتها من ذلك ما جاء في عددها العاشر : (... القول ان العربية كانت فصيحة في عصر من العصور ثم فسدت بمخالطة اهلها للاعاجم هو مذهب كثير من الاقدمين والمحدثين . اما نحن فلا نرى هذا الرأي . ولدينا ادلة بيّنة على أن اللغة العامية قديمة بقدم اللغة الفصحى، وهي لغة قائمة برأيها. الا انه كلما طال الامد عليها زادت رطانة وفسادا والفاظا اعجمية وتصحيفا وتحريفا وابتعدت عن العامية الاولى)[2] . وقد دافعت المجلة عن رأيها هذا بقوة استمع الى مقال تحت عنوان ـ الامثال العامية ـ في ديار العراق ـ جاء فيه :ـ (لغتنا الدارجة نسيلة اللغة العربية الا انها نسيلة لم تنشئها امها بل الظئر وبهذا فقدت جل محاسن اللغة العربية وقد اختصت لغتنا الدارجة بأوزان تتغنى بها العوام وتتمادح بها وتتهاجى وتهيج بها في ساحة الكفاح كما يكون ذلك في القريض)[3] .

وقد عقدت الفصول الكثيرة لهذا الباب اسمته ـ الامثال العامية ـ وها نحن نجتزىء مقتطفات منه :

(وكم برع بالنظم (بالعامية) رجال يضاهون ابا الطيب في قريضه ولو جمع الجيد مما نظم لكان سفرا غزير الفائدة ولكل واحد من هذه الاوزان أسم يُعرفُ به فمنها يسمونه (ابوذية) وهذا قد فاز من بينها بمجد الشهرة والانتشار ومنها ما يسمونه (العتابة ـ ومنها ما يسمونه المربّع) وغير ذلك ... وسأبالغ في رسم المثل بما ينطق به العوام .

(اسمي بالحصاد ومنجلي مكسور)

---

(١) مجلة لغة العرب العدد السادس ص٢٣٨ و٢٣٩ و٢٤٠ و٢٤١ في أول كانون الاول عام ١٩١١م .

(٢) لغة العرب العدد العاشر ص٣٧٧ نيسان عام ١٩١٢م .

(٣) لغة العرب العدد العاشر ص٣٧٧ نيسان عام ١٩١٢م .

(••• تقول العامة : اسمه يفعل كذا ، واسمه بالشغل ، وتقصد احد المعنيين : اما انه لا ينفك مبالغا ومجتهدا في فعل كذا واذا قصدت هذا فالاكثر ان تعقب ذلك بجملة تدل على حال الفاعل غب هذه المثابرة كما يقال اسمه يفعل كذا ومعناه يستفيد منه وقد لا يستفيد منه ومفاد التركيب على هذا انه من شدة الملازمة لهذا الفعل صار اسمه الذي يعرف به (يفعل كذا) او (بالفعل الفلاني) • ومن تبطن لغتنا العامية ومارس لهجاتها يعلم أن هذا المعنى غير مقصود هنا ••• بل يراد انه معدود في من يفعل هذا الفعل وان لم يثابر عليه وغالبا يستعمل في هذا المقام (اسمى) لا (اسمه) ومعنى (اسمي بالحصاد) ان لي اسما في محل الحصاد اي اعد من الحاصدين والأشيع حينئذ أن تعقب هذه الكلمة بجملة تدل على فقدان الفائدة الناشئة عن هذا الفعل كما ترى في هذا المثل فان (منجلي مكسور) كني به عن عدم الفائدة وقد يقول بعضهم (اسمه بالحصاد ومنجله مكسور) يريد به المعنى الثاني الا انه يكون من غير الشائع يضرب لمن يشتهر في عمل ذي فائدة وهو لا يحصل عليها)[1] •

والحق أن هذه المجلة اشبعت الموضوعات اللغوية درساً وتمحيصا فكانت اشبه بالموسوعة الادبية واللغوية • استمع الى رزوق عيسى في مقال تحت عنوان ـ المنحوت العامي واللفظ الدخيل في لغة بغداد ـ جاء فيه :ـ

(ان النحت في العربية هو : عبارة عن جعل كلمتين كلمة واحدة وذلك بضم بعض حروف احداهما الى حروف الاخرى في الالفاظ • وقد ورد على السنة عوامنا الشيء الكثير من ذلك قولهم : (اشبيك) في اي شيء بك • و (منو) في من هو و (شنو) في اي شيء هو و (محّد) في ما احد و (اشعبالك) في أي

---

(١) مجلة لغة العرب ـ العدد العاشر ـ ص٣٧٩ـ٣٨١ نيسان عام ١٩١٢م •

شيء عرا بالك و (اشحالك) في أي شيء جاء لك و (اشكان) في أي شيء كان و (اشبيها) في أي شيء بها و (ليش) في لأي شيء و (بيش) في باى شيء)[1] •

ولم تقصر المجلة اهتمامها على العربية وادابها فقط بل تجاوزتها الى الكردية والاكراد واخلاقهم ، وعاداتهم ، وامثالهم وكان يحرر هذا الباب الشاعر العراقي (شكري لفضلي) • جاء في مقال له تحت عنوان ـ الاكراد الحاليون :ـ (مذاهب الاكراد : اغلب الاكراد مسلمون وفيهم نصارى ويهود واغلب المسلمين سنيون وما بقي منهم فعلى مذهب الشيعة) • ثم بعدها ينتقل الكاتب الى وصف مزاراتهم وطرق معالجة مرضاهم ، ويصف اعتقاداتهم بالجن • ثم ينتقل الى وصف ثياب المرأة وحلاها فيقول :ـ تلبس المرأة الكردية قميصا أو شعارا يسمونه بلسانهم (كراس) وتزرر فوقه الصدرة من تحت ثديها وهي بلسانهم (سخمة) وبعضهم يقول (زخمة) وفوقها تلبس القباء وهو بلسانهم (أكوا) ثم يستطرد الكاتب الى وصف ثياب الرجل فيقول :ـ (••• اما الرجل الكردي فيلبس ثوبا أو قميصا أو شعارا وقد لا يلبس ويجعل فوقه قباء قصيرا اسمه عندهم (جوغه) وهو ينحدر الى عجزه ويتسرول بسراويل تعرف عندهم باسم (رنك) وكلاهما رقيق يحاك من الصوف العادي ويلبس فوق القباء رداء اسمه (يستك) وهو لباس يشبه العباء •••)[2] •

وللكاتب مقالات متعددة في هذا الباب • ولا سيما في امثالهم جاء في مقال له تحت عنوان (الامثال العامية)[3] (••• ولا عجب اذا رأينا عند

---

(١) المصدر السابق ـ العدد السادس ـ ص٢٥٥ كانون الاول عام ١٩١١م •

(٢) مجلة لغة العرب العدد الخامس ص٣٠٧ و٣٠٨ و٣٠٩ في تشرين الثاني عام ١٩١٣م •

(٣) هناك أمثال عديدة في اعدادها من شاء فليرجع اليها •

الاكراد مثل هذه الامثال فانها تكاد توجد عند جميع الاقوام وقد اردفنا كل مثل كردي بما يقابله عند العرب ...)[١] .

والمباحث في هذه المجلة تكاد تنفرد بها ، فتجد فيها مقالات كثيرة في انتقاد المفردات اللغوية وتراكيبها وفي مصطلحات كانت تحققها . ويعود الفضل كله لصاحبها ـ الكرملي ـ يوم كانت المؤلفات العربية في اصطلاحات العلوم الحديثة واشباهها مفقودة ، لكن الكرملي في مجلته عالج كل هذه النواحي بأسلوب عربي فصيح ولغة سليمة بعيدة عن التراكيب الركيكة والالفاظ المبتذلة مما اعاد للغة الضاد حيوتها بعد سباتها الطويل وليس غريبا ان تقرظها المقتطف بقولها : (... اذا استتب للقابضين على ازمة الادب ان ينوهوا بصحيفة من صحف هذه الارجاء لتنكبها عن التراكيب الركيكة واللفظ المبتذل وتحديها الاساليب الفصيحة التي لا غبار عليها حتى ادركت اللغة بها حياة جديدة بعدما اوشكت ان تلفظ آخر انفاسها بين عامة طبقات الامة عندنا . لا بل اذا تسنى لارباب النظر والنقد ان يرددوا في محافلهم ذكر ديوان عراقي يستشف من تضاعيف سطوره تدرج حثيث في سلم الصحافة الحقة ... فأحر ـ بمجلة لغة العرب ـ التي تصدر في مدينة بغداد ... الخ)[٢] وقد استمرت هذه المجلة بخدمتها الصادقة ، غير انها بعد أن اتمت سنتها الثالثة وصدر عددان من سنتها الرابعة اختفت عن الانظار عام ١٩١٤ أثر اعلان الحرب العالمية ، لان صاحبها ـ الكرملي ـ نفاه العثمانيون الى مدينة قيصري في الاناضول ، لاشادته بمفاخر اللغة ومحامدها والمطالبة باحياء اللغة العربية . وفي ذلك يقول الاستاذ كوركيس عواد : (نفاه العثمانيون ... لانهم تضايقوا

---

(١) مجلة لغة العرب العدد التاسع ص٢٦ الخامس من اذار عام ١٩١٤م .

(٢) مجلة المقتطف المجلد الثالث والاربعون ص١٧٦ عام ١٩١٣م .

منه بسبب مناداته باللغة العربية والاشادة بمحامدها)[1] ثم أعيد الى بغداد عام ١٩١٦م • وفي عام ١٩١٨م عاد فأصدرها واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٣١م ثم اختفت عن الانظار نهائيا بعد ان جاهدت في سبيل اللغة العربية جهادا يذكره لها ولصاحبها بمداد من الفخر والاعجاب أرباب الاقلام ورجال اللغة والادب •

مجلة دار السلام

(١٩١٨م ـ ١٩٢١م)

كانت هذه المجلة في الاصل جريدة اسبوعية سياسية ادبية اجتماعية ، اصدرتها القوات البريطانية في بغداد في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩١٨م ، لتخدم مصالح القوات المحتلة ، وتروج لسياستها • وقد كانت نفقاتها تصرف من اموال العراق • صدر من هذه الجريدة اربعة عشر عددا ثم صارت تصدر بشكل مجلة ـ دار السلام ـ • برز العدد الاول منها في السادس من تشرين الاول عام ١٩١٨م وقد حرر العدد الاول المرحوم الاديب العراقي (الشيخ محمد رضا الشبيبي)[2] وشقيقه محمد باقر ، وفي العدد الثاني أصبح رئيس تحريرها الاديب ـ انستاس ماري الكرملي ـ[3] • وكان هؤلاء ومن يساعدهم من الكتّاب يتقاضون أجورا

---

(١) كوركيس عواد ـ انستاس الكرملي ـ حياته ومؤلفاته ـ ص٨ بغداد عام ١٩٦٦م •

(٢) شاعر وأديب عراقي مشهور ولد عام ١٨٨٨م وتوفي عام ١٩٦٥ وقد عهد اليه في الحكم الاهلي منصب وزير معارف عدة مرات وكانت اخر وظيفة له قبل وفاته رئيس المجمع العلمي العراقي •

(٣) راجع : مجلة الحرية البغدادية ج١٠ ص٦٠٣ نيسان سنة ١٩٢٦م •

على ما ينشرونه على صفحاتها • وقد جاء في ترويسة هذه المجلة انها : (وضيعة نصف شهرية تبحث في الادب والعلم والاجتماع والتاريخ وتعتني بشؤون العراق خاصة)[1] •

ان هذه المجلة عبّرت عن لسان من انشأها غير انها اخفقت أول الامر ولم تلاق الرواج وعزف عن قراءتها الناس ففطنت السلطات المحتلة الى ذلك فخففت من لهجتها لتلاقي اقبالا من القراء وعمدت ـ كما هو معروف عنها ـ الى حيلة هي انها فتحت صفحاتها لكثير من الكتّاب العراقيين من ذوي النزعة القومية منهم الشاعر كاظم الدجيلي والزهاوي ومحمد مهدي البصير • وقد شرحت خطتها في عددها الاول المرقم (١٥)[2] جاء فيه :ـ

(مجلة نصف شهرية تبحث في الادب والعلم والاجتماع والتاريخ وتعتني بشؤون العراق خاصة متوخية في ابحاثها كل ما يهم طلبة العلوم وحملة الاداب ، ناشرة في طياتها صحائف منسية من تاريخ العراق ، ممثلة للعراقيين درجة اسلافهم في الحضارة ، مصورة الدركة التي وصلوا بها الآن وهي فوق ذلك لا تألو جهدا في النصح والارشاد • هذه غايتنا والله من وراء القصد •

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرىء غير طائل)[3]

وكانت هذه المجلة تبنى سياسة انكليزية صرفة مندِّدة بسياسة الاتراك • جاء في مقالها الافتتاحي تحت عنوان ـ اركان الدولة ـ :

---

(١) مجلة دار السلام العدد الاول في السادس من تشرين الاول عام ١٩١٨م •

(٢) اعتبرت أعداد المجلة متممة لجريدة دار السلام التي انتهت بالعدد ١٤ ، لذا يعتبر عددها المرقم ـ ١٥ ـ هو العدد الاول •

(٣) مجلة دار السلام العدد الاول ص١ في ٦ تشرين الاول السنة الاولى عام ١٩١٨م •

(اركان الدولة اربعة : الدين ، والعدل ، والمشورة ، والمال ، ولا تقوم مملكة يعبث اولياؤها باحد هذه الاركان ، أو يرين على قلوبهم ما كانوا يكسبون من هوى أو جهل أو حمق فيعدلون عن منهج الصواب وعن التمسك بعراه الوثقى واحترام سننه الكبرى هذا ما قاله (باكون) كبير فلاسفة الانكليز • وهو كلام يتحقق كل التحقق في ما نراه حولنا • أخذ الاتراك يعبثون بالدين الحنيف ، ويأتون الوان الظلم ويعدلون عن استشارة كبار الدولة العقلاء ، ويدفعون نضارهم ودينارهم الى الالمان ، فحل بهم البوار والثبار واخذت البلاد تتداعى •••)[1] ولعل مقال – ذكرى فتح بغداد من قبل الانكليز – يعطينا الصورة الكاملة لسياسة هذه المجلة واتجاهاتها • وقد جاء في هذا المقال : (في ١١ آذار من سنة ١٩١٧ يوم الاحد دخلت جنود بريطانيا العظمى بغداد ••• ليلة اوقد فيها الاتراك النيران ، في اعاظم البنيان ••• ليلة تطاير فيها شظايا القنابر فقتلت وحرقت ••• ليلة افلت فيها الطورانيون ••• ضاربين في الفلوات ••• هذا جزاء من يحقر الناطقين بالضاد ••• ليلة ما انبثق صباحها الا وتنفس الناس الصعداء ، وانتظروا قدوم المنقذين المصلحين المعمرين ، اصحاب العدل والقسط ، ••• اصحاب البر والاحسان • فأهلا بكم وسهلا يا ايها البريطان فبمثلكم ليفتخر الانسان ، اذ جبلتم على كل حسنة ، وعلى كل مكرمة تشكر • فنحن لا ننساكم وان طال الامد ونحن نلهج بذكركم وان عشنا عمر لبد ، بل الى الابد فاهلا بكم وسهلا فلقد نزلتم على سعة وابقوا بجانبنا الى ان تقوم الساعة •••)[2] •

ولم تكتف المجلة في هذا بل كانت تنشر القصائد الطوال في مدح

---

(١) مجلة دار السلام العدد ـ ١٤ ـ في ١٣ تموز السنة الثانية عام ١٩١٩م •

(٢) مجلة دار السلام العدد ـ ٥ ـ ص١٧٧ـ١٧٨ في ٩ ادار السنة الثانية عام ١٩١٩م •

البيت الهاشمي ولا سيما مدح الامير فيصل تمهيدا لما تريده في المستقبل • استمع الى قصيدة الشاعر محمد مهدي البصير بعنوان ـ فيصل في عالم الخيال ـ جاء فيها :

اعاد لنا السلم مجد العرب
فحيا الاله واحيا حلب

على اسس الصلح قامت لهم
عروش دعائمهن الطلب

سنبني غدا بيد المالكين
وان تبنها اليوم هذى الخطب

سأضمن للعرب مستقبلا
يعيد على الشرق نجماً غرب

فصاح الجميع وقد صفقوا
ليحي الحسين ليحي العرب

ليحي الامير لنا فيصل
شريف النجار كريم النسب(١)

وقد نشرت قصائد كثيرة على صفحاتها لتأييد سياسة المحتل على الاغلب لشعراء كثيرين منهم كاظم الدجيلي ، وعبدالحمن البناء ، وابراهيم منيب • هذا من الناحية السياسية ، اما من الناحية الثقافية ، فلها بحوث كثيرة في اللغة والادب ، وكثيرا ما كانت تعقب على مقالات الصحف العربية • من ذلك مقالها تحت عنوان (المقتطف واللغة العربية) جاء فيه :ـ

---

(١) مجلة دار السلام العدد ـ ٤ ـ ص١٦٤ ـ ١٦٦ في ٢٣ شباط السنة الثانية عام ١٩١٩م •

(انا نقدر صاحبي مجلة المقتطف كما هما اهل لذلك ، ولا سيما نعترف لهما بسعة اطلاعهما وتوفرهما على العلوم والفنون •• ومما لا نسلم به للعلامة يعقوب صرّوف •• فتاويه في اللغة ، واغلاطه العربية التـي تفلت من قلمه•• فقد قال مثلا في العدد الاخير ٥٤ : ٣٦٧ الحاشية ما نصه : (والسدام جمع سديم كنسام جمع نسيم ، ولعل جمعه على سدم اولى • ولكن الدكتور فان ديك اختار الجمع الاول فشاع استعماله • أ هـ) •

قلنا لم يرد في كتب القوم الفصحاء جمع سديم على سدم وقد خلت معاجم اللغة من التصريح بجمعه • والحال ان الذي قرره النحاة في وزن فعيل وما يضاهيه ان يكسّر على فعل ولهذا قالوا : قذال وقذل وعمـود وعمد وعليه يكون جمع سديم على سدم من الجموع المقيسة واما جمعـه على سدام كنسام جمع نسيم على ما قاله حضرته فلا يتبع ولو تناقلته جميع الكتب الحديثة • واما قوله (ولكن الدكتور فان ديك اختار الجمع الاول أي سدام فشاع استعماله) قلنا : لم نر انه شـــاع استعماله عند جميـع الكتّاب بل عند فريق منهم ••• الذين يكتبون نقلا عن غيرهم وليس لهم وقت ليدققوا النظر فيما ينقلونه عن غيرهم ••• دع عنك ان الدكتور فان ديك طبيب اعجمي غريب عن اللغة ومن كان كذلك لا يحتج بكلامه من جهة صحة العربية ••• وكيف يمكن ان يحتج بعربيته ولا يخلو كتـاب من مؤلفاته اغلاط جمة مخالفة لنصوص الأئمة)[1] •

وقد جاء في مقال لها تحت عنوان (سكت الفا ونطق خلفا) ردت فيه على مقال نشر في جريدة العرب بقلم نجيب الارمنازي السوري جاء فيه :ـ

(نشرنا في عدد ٢٣ شباط من هذه المجلة نبذة في شيوع اغلاط الكتاب

---

(١) مجلة دار السلام العـــدد ـ ١١ ـ ص٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ في أول حزيران السنة الثانية عام ١٩١٩م •

في رسم الكلم ، فاستحسنها جماعة من الادباء الا واحدا[1] فانه اراد أن يظهر للناس فرط ذكائه فادرج مقاله ـ في مجلة لغة العرب ـ الصادرة في ٢٦ آذار ناقلا كلا منا وهو (ان ما كان مختوما بالالف ينسب اليه بقلب الألف واوا) فزاد عليه (نعني نجيب الارمنازي) : (وهذا خطأ لأنه لم يصرح أحد من النحاة به (كذا عرفه) كما قالت المجلة (لغة العرب) .

واول كل شيء هو اننا لما ذكرنا الامثلة استشهدنا بكلم وقعت الفها رابعة فصاعدا وهي هذه : (امريكا وفرنسا وسوريا) ولم نذكر مثل عصا ، ورها الواقعة الفهما بعد حرفين كما يشير اليه كلامه بعد ذلك ..)[2] استمرت هذه المجلة في الصدور غير انها صدرت عددها الرابع والعشرين واحتجبت فترة وجيزة ، ثم عادت ثانية واستأنفت الصدور بعد ذلك فلبثت تصدر مدة ثلاث سنوات ثم احتجبت نهائياً عام ١٩٢١م .

مجلة النادي العلمي

(١٩١٩م)

مجلة اصدرتها سلطات الاحتلال البريطانية في الموصل ، وقد عهد أمر ادارتها الى السيد (علي الجميل الموصلي) كما عهد أمر تحريرها الى لفيف من الكتّاب والادباء على نحو ما فعلته في بغداد مع مجلة دار السلام ، وجريدة العرب . صدر العدد الاول من هذه المجلة في الخامس عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩١٩م وقد جاء في ترويستها انها : (مجلة علمية فنية ادبية اخلاقية تأريخية تصدر كل خمسة عشر يوما مرة

---

(١) تقصد نجيب الارمنازي .

(٢) مجلة دار السلام العدد ـ ٦ ـ ص٢١٨ في ٢٣ اذار السنة الثانية عام ١٩١٩م .

واحدة في الموصل) وقد شرحت في عددها الاول هدفها بقلم علي الجميل في مقال جاء فيه :ـ

(••• اليكم ايها القراء الكرام والافاضل المحترمين : مجلة علمية فنية ادبية اخلاقية تروم كشف الحجاب لتظهر برداء عربي قشيب ••• وقد عاهدت نفسها من صميم فؤادها انها ستقضي حياتها في سبيل نشر العلوم والفنون والادب وتهذيب الاخلاق وخدمة المعارف ••• تريد هذه المجلة الصغيرةان تحيا حياة سعيدة صافية من شوائب الزمان محفوظة من نوائب الاقدار فلذلك قد ضربت بينها وبين السياسة حجابا قويا •••)[1] •

انا نتفق مع المجلة في خطتها الا انا لا نتفق معها في قولها (قد ضربت بينها وبين السياسة حجابا قويا) فالمتصفح لاعدادها يجد المجلة تسبح بحمد الانكليز ، والثناء عليهم ، فقد صورتهم اساطين حرية ، واصحاب عدل • استمع الى خطبة ـ عبدالغني ـ نقيب اشراف الموصل ـ والمنشورة على صفحاتها • وقد جاء فيها : (ايها الحضار الكرام : ان من دقق التاريخ غابرا وحاضرا يرى ان حكومة بريطانيا العظمى لم تدخل قطرا من الاقطار الا وتسعى بترقيته من الحضيض الى اوج العلا والكمال •••) ثم يختتم خطبته بقوله : (ومن هنا اختم كلامي ••• وارفع شكري الرائق لحكومة بريطانيا العظمى التي جعلتكم احرارا)[2] •

لست ادري ماذا يقال في هذه الخطبة ألم تكن من صلب السياسة ؟ والذي افهمه انهم ارادوا بالسياسة هي السياسة المعارضة لقوى الاحتلال تلك التي ضربت المجلة بينها وبين الناس حجابا اما السياسة الموالية للانجليز

---

(١) مجلة النادي العلمي العدد الاول في الخامس عشر من كانون الثاني عام ١٩١٩م •

(٢) مجلة النادي العلمي العدد الاول ص٨ و ٩ في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٩م •

فلا يعتبرونها سياسة بالنسبة لعرف اصحاب المجلة • ثم بماذا نفسر الخطب الكثيرة التي القاها الحاكم البريطاني العام في الموصل الكولونيل ـ لجمن ـ[١] والمنشورة على صفحاتها ـ وقد جاء في احداها قوله :

(••• أحب أن أبين لكم فكري في خصوص فتح المجال الواسع للفعاليات العقلية المتنوعة في هذه البلدة ـ الموصل ـ فاقول : ••• ان المحاولات والمجادلات الجارية في اماكن ••• ينشأ عنها الانقسامات العدائية واقل ما يكون تسبب افتراق اصحابها •••)[٢] واخيرا بم نفسر رد لدكتور داود الجلبي على خطاب ـ لجمن ـ السابق حيث يقول :ـ

(••• ايها الحاكم المحترم

بكمال الشرف ومزيد الاهتمام تتلقى من فمكم الكريم العبارات الذهبية التي تفضلتم بها تشجيعا لنادينا وذويه ولنا الامل باتباعنا ارشاداتكم المصيبة وبالاستفادة من حمايتكم •••)[٣] •

هذا من الوجهة السياسية ، اما النواحي الاخرى فقد عالجت قضايا اجتماعية وبالاخص قضايا المرأة وتحررها ، من ذلك مقال تحت عنوان ـ طال الرقاد فمتى الافاقة ـ !؟ بقلم فتاة دجلة جاء فيه : (••• الوالدة ليست بمرضعة أو طباخة أو خياطة فقط بل هي المربي الحقيقي وان آمال الرقي والتهذيب للاطفال معلقة على الامهات • الشيخ قضى نحبه والكهل مضى وقته والمستقبل ينتظر الاطفال والآمال في ذلك معلقة على الوالدات اللاتي يهذبن رجال الغد فان اردتم يا قوم نيل السعادة فاطلبوها من نسلكم

(١) حاكم بريطاني قتل في لواء الرمادي على يد (الشيخ ضاري) من أخوال رئيس الجمهورية العراقية الحالي •

(٢) مجلة النادي العلمي ـ العدد الاول ـ ص١٢ في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٩م •

(٣) مجلة النادي العلمي العدد الاول ص١٢ في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٩م •

وانتظروها من امهات احفادكم فلا يقوم المجد الاعلى على مناكب الشبان المهذبة ولا ينشأ هؤلاء الا من المدارس واحسن مدرسة هي مدرسة الام في بيتها ...)[1] . ثم انظر الى مقال تحت عنوان ـ الى فتاة دجلة ـ رداً على المقال السابق جاء فيه : (الى تلك التي مزقت سجف العادات العتيقة بسهام قلمها وداست بقدم حديدية التقاليد المعوجة المنتهية الينا على أجنحة عصور الانحطاط أبعث بكلمتي هذه : أيتها الفتاة ! ... لقد آن لقطرنا العزيز أن ينهض من تلك الكبوة التي أجهزت على حياته وأوصلته الى شفا اللحد وذلك لاني درست على الفلاسفة الكبار وكتاب الاجتماع أن ما من أمة أخذت الصعود في معراج العمران والفلاح الا وكانت تلك المخلوقة اللطيفة ساعدها الايمن في نهضتها ورقيها ...)[2] .

صدر من هذه المجلة ثمانية أعداد ثم غابت عن الانظار .

---

(١) مجلة النادي العلمي العدد الثاني ص٨ في ٣٠ كانون الثاني عام ١٩١٩م .

(٢) مجلة النادي العلمي العدد الخامس ص٧٤ في ١٥ اذار عام ١٩١٩م .

مجلة اللســان

(١٩١٩م)

أمسكت سلطات الاحتلال البريطانية عن الاذن لابناء العراق باصدار صحف سياسية بيد أن المجاهدين العراقيين من ذوي النزعة القومية وعلى رأسهم الصحفي المجاهد ـ أحمد عزة الاعظمي ـ[١] استطاعوا بعد جهد ومشقة الحصول على امتياز مجلة تعينهم على بث الوعي القومي اسموها ـ اللسان ـ وقد اختار المرحوم أحمد عزة الاعظمي أن يكون صاحب المجلة ـ علي رضا ـ ، ومديرها المسؤول ـ انطوان لوقا ـ وهما من أخلص الناس للاعظمي • أما رئيس تحريرها فكان الاعظمي وان لم يذكر اسمه علنا في غلافها لان حكومة الاحتلال تخشاه لعقيدته القومية ونضاله المعروف • وقد صدر العدد الاول في تموز عام ١٩١٩م ورسم على غلافها وفي الصفحة الثالثة منها صورة لهرون الرشيد وتحتها بيتان من الشعر :

هـذا زعيم بني العباس من سعدت
في عصره الكائنات العرب والعجم

هرون أيامه بالنور مشرقة
يا حبذا خلتاه العلم والهمم

جاء في ترويستها انها : (مجلة تاريخية اجتماعية علمية أدبية

---

(١) علم من أعلام العروبة والجهاد أوقف حياته في سبيل القضية العربية وصحفي مشهور أصدر مجلة (لسان العرب) في الاستانة ثم أصدر في بغداد مجلة (اللسان) دون أن تعرف القوات المحتلة أنه رئيس تحريرها توفي في بغداد عام ١٩٣٦م • من أشهر آثاره المطبوعة (القضية العربية) •

مصورة) لكنها في حقيقتها سياسية نادت بالدعوة للنهوض ومواصلة المطالبة بحقوق الامة في الحياة والمجد .

جاء في عددها الاول مقال تحت عنوان (أمل وبيان) يشرح خطتها : (... ان من ينظر في أحوال المجتمع العراقي الاجتماعية والادبية ، ويفكر فيما آل اليه أمره لابد وأن تضطرب حواسه ، ويضيع صوابه كيف لا وقد أصابه في السنين الاخيرة أمراض كثيرة ينوء بحملها ، ضعف في الاخلاق ، خلل في النظام ، فساد في التربية ، فوضى في الاجتماع بعد ذلك الماضي المجيد الذي تفيض العين لذكراه ... فغاية ـ اللسان ـ التي يرمي اليها هي ترتيل محاسن تلك المدنية التي لعبت بها يد الاهوال منذ قرون ، على مسامع أبناء العراق الاعزاء وتذكيرهم بما كان لامتهم من المكانة السامية بين الامم ، والمنزلة العليا من التمدن ، لنسمع ذلك الصوت الذي يخرق أحشاء الخمول ويمزق غياهب الجهل قائلا :

فذكرتني نجداً وما كنت ناسياً   ليالي قضيناها من العمر في نجد[1]

وقد كانت هذه المجلة تنتهز كل فرصة أدبية لتحرك المشاعر وتهزها في سبيل دعوتها القومية العربية . فعندما نشرت مجلة (الهلال) سينية أحمد شوقي (الاندلسية) سطرتها مجلة اللسان على صفحاتها وجعلتها افتتاحية لعددها ـ الحادي عشر ـ وعلّقت عليها بما يلهب العواطف القومية تحت عنوان ـ الرحلة الى الاندلس ـ[2] لشاعر الامير وأمير الشعراء وقد جاء فيه : (لما وضعت الحرب أوزارها ، وفضحها الله بين خلقه وهتك ازارها ، ورم لهم ربوع السلم وجدد مزارها . أصبحت واذا العوادي

---

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص١ ، ٢ في تموز عام ١٩١٩م .

(٢) عارض شوقي بسينيته هذه ـ سينية البحتري في وصف ايوان كسرى التي مطلعها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي   وترفعت عن جدا كل جبس

مقصرة ، والدواعي غير مقصرة • واذا الشوق الى الاندلس أغلب ، والنفس بحق زيارته أطلب • فقصدته ••• فبلغت النفس بمرآه الارب وكحلت العين في ثراه بآثار العرب •••) ثم تأتي القصيدة بكاملها من قولـه :

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

الى قولـه :

واذا فاتك التفات الى الما ضي فقد غاب عنك وجه التأسي (١)

وقد أولت هذه المجلة اهتمامها بمشاهير العرب والاسلام فأفردت في كل عدد فصلا سمته (عظماء العالم) استمع اليها وهي تحدثنا عن ـ هرون الرشيد ـ حيث تقول :

(••• وتاريخ العرب مع ازدهار رياضه الغناء وأريج وروده الغضة قد شوهت محاسنه كثرة الاختلافات الناتجة من التحزبات الدينية • ودين الاسلام ما أرسل الا لسعادة الخلق دنيا وآخرة ولكن أولي المطامع والاغراض السياسية جعلوه آلة لتنفيذ مآربهم الشخصية فتراهم يضربون على أوتاره كلما عنت لهم الحاجة وقد شكلوا الفرق السياسية باسم الدين • وحاربوا اخوانهم وأبناء جلدتهم باسم الدين ، ومزقوا الجامعة العربية باسم الدين ، والدين بريء من ذلك كله •••) • ثم في وسط هذا المقال صورة لهرون الرشيد مزينة ببيتين :

هذا زعيم بني العباس من سعدت
في عصره الكائنات العرب والعجم

---

(١) مجلة اللسان العدد الحادي عشر ص١٩ ، ٢٠ ، ٢١ عام ١٩١٩م •

هرون أيامــه بالنـور مشـرقة
يا حبـذا خلتـاه العلم والهمم[1]

ثم تنقل المجلة الى نسبه وصفاته والمقال طويل نكتفي بما أوردناه . ونشرت المقالات الضافية في استنهاض الهمم من ذلك مقـال تحت عنوان ـ وظيفة الوطني ـ جاء فيه : (... اندمج الافراد بعضهم ببعض وازدادت الرابطة فيما بينهم وتوسعت دائرة العمل فوجدت المنافع المشتركة وتوحدت الغاية وأئتلفت اللهجة واحترمت العادة فترتب على كل واحد منهم وظائف يجب عليه القيام بها والاخذ بناصرها والتمسك بأهدابها . تنقسم الوظائف الى ثلاثة أقسام : ١ ـ وظيفته ازاء نفسه ومعاصريه ٢ ـ وظيفته أمام أسلافه وعاداتهم ، ٣ ـ وظيفته نحو لغته ، ١ ـ وظيفة الوطني ازاء نفسه ومعاصريه : يجب أن يكون الوطني انسانا كاملا عارفا ، عالي الهمة طموحا الى المجد بعيد النظر متشربا بالحرية صغيرا بين الاقربين كبيرا بين الابعدين ... ٢ ـ وظيفة الوطني أمام أسلافه وعاداتهم : ليس الوطني الا ثمرة بـذرة بذرت منذ أجيال عديدة وأزمان بعيدة ... أينعت تلـكم الثمرة وبرزت الى الوجود في جسم ذلك الوطن بعد أن تعب الآباء في اسقائها من مـاء الحركة ، وكد الاجداد بارووائها من روح العمل وصقلها بسليل النشاط فبرزت تلكم البذرة وصارت جسماً مادياً وبرزت تلكم الارواح التي اعتنت بتلك البذرة تحوم حول تلكم المادة وتطوف بجوانبه لتريه ما كان لاسلافه من المآثر ولاجداده من الميزات كأنهم ليصرخن فيه قائلين ولنهوضه مرشدين بقولهم : (أيها الوطني لقد علمتنا التجارب وأفهمنا الاختبار بأن حبـل الحياة قصير وزمن الاختبار لأقصر والوقت اللائق للحركة لأشد قصـراً والفرص قلّما تأتي لطالبها) ، ٣ ـ وظيفـة الوطني نحو لغتـه : يكفي للباحث عن أمة من الامم أن يدرس لغتها وآدابها فقط . اذ هي المـرآة

---

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص٣ـ٥ عام ١٩١٩م.

التي تنعكس عليها روح الامة ويرتسم فيها جوهرها الحقيقي ...)[1] .
وقد كانت المجلة شديدة الحرص على الاخلاق والتمسك بها وكثيرا ما كانت تحث على ذلك في مقالاتها تحت بات اسمته ـ مدرسة اللسان فتارة تتحدث عن ـ الصدق والاستقامة ـ فتقول : (الصدق هو اظهار الحقيقة مع عدم مراعاة الزمان والمكان . واظهار الحقيقة هو من باب التمتع بالحقوق الشخصية والاقلاع عن الحاق الضرر بالآخرين أم حمل الغير على الاضرار بهم فالتمتع بالحقوق الشخصية مع مراعاة حقوق الآخرين هو عدل . فالعدل اذاً والصدق نسيبان لا يفترقان وان افترقا فسوف يعتريهما الفساد ولا عذر لمن يدعي العدل وهو كاذب)[2] . وتارة أخرى تتحدث عن الشرف فتقول : (الشريف من يسعى جهده ليمنع أهواءه عن اغتصاب حقوق غيره . هو من لا يفعل ولا يفتكر أن يفعل المنكر وما تنهى عنه الآداب . وهو لو فعل أو حاول أن يفعل ما هو مخل بالشرف دون أن يخرجه الى حيز الوجود فقد سقط عن عرش الشرف الرفيع العزيز . وكثيرون هم الذين يرتدون برود شرف النفس عن قلوب كاذبة وأفكار خائنة . فليت الخائن بائن . وليت حجاب الجهالة ممزق كل التمزيق)[3]
أما العروبة وأمجادها والتغني بها فلا يكاد يخلو منها عدد من أعداد المجلة . استمع الى مقال تحت عنوان ـ صحيفة منسية (العراق) :
(العراق وأريد منكم أبناء العراق مربض الاسود ، مرتع الغزلان ، ديباجة التأريخ ، ملعب القرون الاولى ، مسرح القرون الوسطى ، مهد حضارتها المأثورة ومدفن مدنيتهما المطمورة . فسلام على تلك السهول والحزون ... اصغ أيها العراقي الى صعيد تسحب من فوقه ذيل اختيالك اصغ اليه تسمعه يقول :

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ عام ١٩١٩م .
(٢) مجلة اللسان العدد الثاني ص٦١ عام ١٩١٩م .
(٣) مجلة اللسان العدد الثاني ص٦٠ عام ١٩١٩م .

خفف الوطء ما أظن أديم الا	رض الا من هذه الاجساد

كل أولئك الاصوات تذكرك مجدا شاد الاسلاف بنيانه وقوض الاخلاف أركانه تذكرك نفوسا كبيرة وقلوبا طاهرة . تذكرك عظمة الانسان والابهة التاريخية وجلالة الانسانية . تذكرك الاعتماد على النفس والاحترام للرأي والتوخي لواقع العمل والحرية في القول ... تذكرك كل ذلك ثم تهمس في أذنك : على مثل هذه القوائم شاد آباؤكم صروح مجدهم المؤثل وشرفهم الاقدس وفخارهم الاوحد فهل أنتم على آثارهم مقتدون)[1] . ثم استمع الى قصيدة ـ المجد العربي ـ للشاعر العراقي محمد الهاشمي :

نقضت لك الايام عهداً	اذ كنت للعافين سعدا
وملأت أقطار البلا	د بلادهم خيلا وجندا
تحمي حقيقتهم وتد	فع عنهم الخصم الالدا
وتسوسهم بالعدل والا	حسان أرفاداً وحمدا
والبر برك والبحا	ر مطيعة جزراً ومدّا

. . .

يا ابن الاعاظم لا تذ	ل فقد كرمت أباً وجدا
آباؤك العرب الالى	مدوا بضبع الشرق مدا
منهم أخو الحزم الرشيد	ومنهم المأمون عدا
أو ما بكيت على أبي اسحـ	ـق حيث مضى وصدا
وهب الزمان لهم فخا	راً لا يطاول فاستردا
فانهض لتبلغ شأوهم	واحفد الى الاقبال حفدا

---

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص١٤ـ١٥ عام ١٩١٩م .

وازرع لنفسك ما تعز بزرعه لتنال حصدا[1]

ومجمل القول أن هذه المجلة عنيت بتراثنا الادبي ، ففيها كثير من المقالات التي تعرّف القارىء بغابر أجدادنا ومن أشهرها مشاهير العرب و (صفحة من تاريخ العرب) ولذا تعتبر هذه المجلة من خيرة المجلات من حيث : لغتها ، واسلوبها ، واختيار موضوعاتها • وقد حرر فيها فطاحل كتّاب الصحافة والادب والشعر منهم المرحوم (طه الراوي) و (الزهاوي) و (محمد مهدي البصير) و (كاظم الدجيلي) و (عبدالرحمن البناء) و (رفائيل بطي) و (داود صليوا) و (عيسى رزوق) وغيرهم • ولهذه المجلة الفضل في تهيئة الاذهان للثورة ضد الاحتلال فقد كانت ادارة هذه المجلة ندوة يلتقي فيها العاملون في النواحي السياسية والعائدون من الثورة العربية والراجعون من المنافي والسجون كما يقول رفائيل بطي[2] • استمرت هذه المجلة في العمل الدائب ما يزيد على العام ، حتى حصلت الاحزاب السرية العراقية على امتياز لاصدار الصحف فغابت هذه المجلة رغم الانتشار الذي لاقته والاقبال المنقطع النظير الذي صادفته • وبذلك يسجل تاريخ الصحافة العراقية لها ولصاحبها المرحوم الاعظمي أنصع صفحة في خدمة الامة العربية وآمالها •

وقبل أن ننهي الكلام في هذا الموضوع ، لابد لنا أن نشير اشارة مقتضبة الى بعض المجلات الاخرى التي ظهرت في فترات مختلفة خلال فترة البحث والتي كانت قصيرة الاجل • ولذلك ظهرت واختفت ولم يعرف عنها الناس شيئاً ومنها ما يلي :

---

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص٢٣-٢٤ عام ١٩١٩م •
(٢) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص٥٥

مجلة العلـوم

(١٩١٠م)

مجلة شهرية أنشأها في بغداد الصحفي ـ رزوق عيسى ـ صدر عددها الاول في مستهل تشرين الثاني من عام ١٩١٠ ۰ جاء في ترويستها أنها : (مجلة علمية أدبية صحية تاريخية) ۰ قرظها جماعة من الادباء منهم الكاتب الصحفي ـ داود صليوا ـ في العدد ـ السادس والستين ـ من جريدته صدى بابل جاء فيه :

(هي حبة خردل من العلم ، زرعها النحوي الاديب في روضة علوم العراق ۰ فتتمنى لها النماء ، فتصير أكبر بقلة بين بقلات المجلات العلمية الادبية ، يقتطف من مواضيع علومها وفنونها أبناء الادب ثمارا ، وتطيب ذوقا ، وتلذ طعما لجانيها ممن يعرف للعلوم قدرا وللاداب منزلة) ۰

وقرظها كذلك الشاعر العراقي ـ عبدالرحمن البناء ـ وأرخ ظهورها بقولـه :

يا تائهـا بغداد من جهلـه
والارض قد ضاقت عليه بذرعها

أقبل فان العـدل نشـر صحفه
فاقرأ بها تلق الرشاد بطبعها[١]

وقد بينت خطتها في مقالها تحت عنوان ـ مسلك المجلة ـ جاء فيه : (اننا نرى بعض الجرائد والمجلات تتحامل على اولئك الذين لا يتعممون

---

(١) مجلة الحرية البغدادية ج٦ ص٣٥٨ كانون الاول عام ١٩٢٥م۰

بعمائم اصحابها ، وتشن الغارة على الذين لا يتزينون بازيائهم ، وتطعن في مبادئهم ظلما وعدوانا وافكا وافتراء ونحن ـ فرارا من ان نحذو حذوهم ونعمل على شاكلتهم ـ عاهدنا الله والبشر معا على ان لا نتحامل على احد)[1]

ولما كان صاحب هذه المجلة ـ رزوق عيسى ـ يمقت المخاصمة والمهاترات الصحفية ، فكان يريد من الصحافة ان تكون الموجهة للشعب والمثقفة له ، كما انها يجب ان تكون منزهـــة عن الاغراض الشخصية ومترفعة عن الدنايا . جاء في مقال له تحت عنوان ـ الجرائد في بغداد ـ :

(... ليس في وسع احد ان ينكر ما للجرائد والمجلات في عصرنا هذا ـ عصر النور والمدنية ـ من السلطات القوية على اذهان العامــة . اذا كانت لهجتها صادقة وهي مترفعة عن الاغراض والدنايا ، واثباتا لقولنـــا نقتطف ما قاله المرحوم (جرجي نقولا) الكاتب الاجتمــاعي الشهير في الصحف والصحفيين : (... الصحف على اختلاف اغراضهـــا وتباين نزعاتها وجدت لتكون مرشدا امينا للمرء في سبيل الحياة ، يحث على كل عمل صالح ويندد بكل شيء طالح ، وواعظا ... وناظرا يقظـــا يراقب حركات القوم فيقوّم اعوجاجها ، وخطيبا جريئا يناصب كل من ساء من عوائد المجتمع ، حربا عوانا وعالما حكيما يستقرىء عوامل الضعف في الامة فيتلافاها)[2] . صدر عددان من هذه المجلة ثم احتجبت بارادة صاحبها ، لقلة الرواج الذي لاقته ولكساد السوق الادبية اذ ذاك .

---

(١) مجلة العلوم العدد الاول ، تشرين الثاني عام ١٩١٠م
(٢) مجلة العلوم العدد الاول ، تشرين الثاني عام ١٩١٠م

مجلة الحيـاة

(١٩١٢م)

مجلة شهرية تبحث في السياسة والتاريخ والاجتماع مديرها المسؤول سليمان الدخيل وصاحباها ابراهيم حلمي العمر وسليمان الدخيل صـدر عددها الاول في كانون الثاني عام ١٩١٢ ولم ينشر منها سوى اربعة اعداد ثم لفظت انفاسها •

مجلة سبيل الرشاد

(١٩١٢م ـ ١٩١٣ م)

مجلة شهرية ادبية دينية علمية تأريخية صاحبها محمد رشيد الصفار ظهر عددها الاول في ١٨ مايس عام ١٩١٢ واستمرت تنشر بصورة متقطعة ثم اختفت عام ١٩١٣ •

مجلة الغرائب

(١٩١٣م)

(مجلة فكاهية ذات روايات غرامية ادبية ، ووقائع تاريخية ، تصدر في كل خمسة عشر يوما مرة) كما جاء في ترويستها • وقد ظهر عددهـا الاول في شباط عام ١٩١٣م نشر منها اثنا عشر عددا ومنها العدد الـذي تناول سيرة ـ ناظم باشا ـ بعنوان (المحاق في ترجمـــة ناظم باشا والي العراق) ثم اختفت •

مجلة الرصـافة

(١٩١٣م)

مجلة شهرية دينية علمية ادبية تاريخية لصاحبهـــا محمد صادق الاعرجي ظهر عددها الاول في التاسع من نيسان عام ١٩١٣م غير انها لم تصدر غيره ، واغلب ما جاء فيه منقولا عن كتب الاقدمين ثم اختفت .

مجلة مقتبســات

(١٩١٤م)

مجلة شهرية تركية عربية ، تأريخية ، اخلاقية أدبية فنية فكاهية . لصاحبها ومديرها (عيسى ديزه لي) برز عددها الاول في بغداد في مستهل شهر مايس من عام ١٩١٤م . وقد جاء في عددها هذا ـ مباحث تاريخيـة وتاريخ مدينة بغداد ، وتراجم الاحوال منها ترجمة الامام المعظم ـ نعمان ابن ثابت ابي حنيفة ـ وقد جاء ترجمته :ـ

لقـــد زان البـلاد ومن عليها
امـام المسـلمين ابـــي حنيفـــة

بآثـــار وفقـــه في حـــديث
كآيـات الزبور عـلى الصحيفة

فمـــا إن بالعراق له نظـــير
ولا بالمشـــرقين ولا بكوفـــة

كما جاء في العدد نفسه العبر ومحاورة حكمية وقـــد اتخذت من

قصيدة السيد محي الدين عبرة وعظة والتي مطلعها :

لكل شـــي، اذا ما تم نقصـــان   فلا يغر بطيب العيش انســـان

وكان هذا العدد ، الاول والاخير وبهذا احتجبت ولم يعرف عنهـا الناس شيئا .

مجلة النــور

(١٩١٤م)

مجلة علمية ادبية تاريخية ، اجتماعية تصدر مرة في الشهر ، لمنشئها (السيد محي الدين فيض الله الكيلاني) ومدير شؤونهـــا (عبدالجبار سعدالله) . صدر عـددها الاول في تموز من عـــام ١٩١٤م . مجموع ما صدر من هذه المجلة ثلاثة اعداد . وزع اثنان منهمـــا اما الثالث فلم يوزع لنشوب الحرب العالمية الاولى .

هذه المجلات[١] التي استعرضناها تعطينا الصورة الواضحـــة ، ان اكثرها كان قصير العمر لاسباب ذكرناها[٢] من قبل .

---

(١) راجع : مجلة الحرية البغداد العدد التاسع السنة الثانية عـــام ١٩٢٦م .

(٢) راجع : فصل الصحافة نشأتها وتطورها .

الفصل الخـامس

(أهم كتّاب الصحافة)

(أهم كتّاب الصحافة)

قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان كتاب الصحـــافة في العراق انصرفوا في كتاباتهم الى نوع من التخصص في الكتابة كـأن يكون الكاتب سياسيا او اديبا او اجتماعيا وهكـــذا • غير ان الكتـــاب الذين مارسوا الصحافة في العراق في فترة البحث لم يكونوا على هذه الشاكلة • فالكاتب يجمع بين مختلف هذه الفنون الكتابية وفق ما تمليـــه الظروف • فاذا تحدث كاتب ما عن الاصلاح الاجتماعي سارع جميع الكتاب الى الخوض في هذا الموضوع ، واذا تحدث كاتب آخر عن الاتجـــاه الوطني تهافت الكتاب على هذا الموضوع وهكذا • حتى ان الشعراء كانوا كتابا اجتماعين وكتاب مقالة سياسية • فالشاعر خيري الهنـداوي ، ومعروف الرصافي ، والزهاوي ، وكثيرون غيرهم كانوا يذيعون اشعارهم في الصحف ، وكانوا على الاكثر كتاب صحافة ، وشعراء في نفس الوقت • يقول رفائيل بطي:ـ (لم يكن يقدم على الكتابة في الصحف في الفترة التي نبحث عنها حملـــة العلوم الدينية واشياخ التدريس والفقهاء • اذ ان الكثيرين منهم كـــانوا يرون الكتابة في الجرائد السيارة مزريا بصاحبها وبعضهم يعتقد ان هـذه الصحف لا تنشر الا الأكاذيب • فهم يربأون بانفسهم ان يساهموا في التحرير فيها)[1] • اضافة الى ما تقدم ان اكثر كتاب الصحافة لم يتفرغوا لكتاباتهم لانهم كانوا هم اصحابها، والمصححين، والمصنفين وحتى موزعين في أكثر الاحيان • فهم اشبه بصاحب جريدة المؤيد ـ الشيخ علي يوسف ـ •

قال الكاتب الصحفي العراقي ابراهيم صالح شكر : (يرحمك الله يا علي يوسف • فقد اصدرت المؤيد في عهد الظلمة في مصر فكنت كاتبها

---

(١) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٣٥

وكنت موزعها ... وهكذا كنت الى ان اصبحت المؤيد اكبر جريدة في مصر ... انني الان ماض على اسلوبك في المؤيد اصدر الزمان واكتب فصولها وحتى محلياتها ... فانا اطبع الزمان بالدين واشتري الورق وليس لي ادارة الا اذا كانت المقاهي والفنادق هي الادارة التي اكتب فيها الزمان ومع كل هذا فانا غير آسف وانما مغتبط بهذا العمل)[1] .

غير ان الصحافة وكتابها في العراق اذا ما قورنت بالصحف المصرية واللبنانية والسورية في هذه الفترة لم تكن لتقاس بزميلاتها لاسباب عديدة منها :ـ

١ ـ ان الصحافة العراقية الشعبية في مختلف ادوارها ، قامت على اكتاف الفرد فبأمكان اي فرد يملك ثمن الورق والطبع ان يصدر جريدة. يقول المؤرخ العراقي عباس العزاوي : (ظهرت في العراق عدة جرائد ومجلات حتى بلغت الاشباع فصار يتولى التحرير فيها اي شخص ، ولا يتحاشى في اصدار جريدة)[2] .

٢ ـ اهمال السلطات الحاكمة للصحافة وكتابها وفوق ذلك جردت سيفها ـ قانون المطبوعات ـ على رقابها ورقاب كتابها فطاردتهم .

٣ ـ الظروف المادية التي واجهت اصحاب الصحف مما جعلتهم عاجزين عن أن يدفعوا اجورا للكتاب (فنجد الواحد منهم ـ اصحاب الصحف ـ يجمع في شخصه بين المالك للجريدة ورئيس التحرير والمخبر ومدير الادارة وقد يكون الموزع أيضاً)[3] كما قلنا سابقاً . وفي ذلك الوقت برزت في البلاد العربية صحافة محترمة وكتاب مهرة ، بينما بقي

---

(١) جريدة الزمان البغدادية عدد ٢٣ في ٢١ تشرين الاول سنة ١٩٢٧ .

(٢) عباس العزاوي ـ العراق بين احتلالين ـ ج٨ ص١٦٩

(٣) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٣٥

العراق يتوكأ على صحافة رسمية تنطق وفق رغبة الاسر الحاكمة[1] واهواء كتابها المتضاربة • وفي هذا الفصل سنشرح بايجاز اهم كتاب الصحافة في فترة البحث •

الكاتب الصحفي ـ داود صليوا

(١٨٥٢م ـ ١٩٢١م)

هو احد كتاب الصحافة المعروفين ، ولد بالموصل عام ١٨٥٢م في اسرة فقيرة الحال • لكن فقر اهله لم يمنعه من الدرس والتحصيل فقد ارسله ابوه (يوحنا شماس) وهو في الرابعة من عمره ليتعلم في احدى مدارس الموصل •وكان مدة بقائه في المدرسة كلفا بالقراءة كثير التردد على معلميه في اوقات فراغه للاستفادة من معارفهم وعلومهم • وقد تخرج في المدرسة الابتدائية في الموصل وقد بلغ سنه العاشرة • فعكف بعد ذلك على كتب العربية وادابها يدرسها لنفسه متصلا بالمرحوم (يوسف باش عالم) ليشرح له غوامضها مستفيدا من فيض علمه وادبه حتى استوت ثقافته مما اهلته ان تناط به ادارة المدرسة التي كان يدرس فيها سابقا (الكلدانية البطريركية) • وبعد فترة انتقل الى بغداد وقد تقلد فيها عدة وظائف تعليمية الا ان نفسه ابت السكوت على مظالم العثمانيين وبالاخص (حزب الاتحاد والترقي) ، وما اصيب به العراق من ظلم وجبروت فأضطر الى اصدار جريدته (صدى بابل) عام ١٩٠٩م شاهرا يراعه منددا بالظلم ، مطالبا بحرية العرب عامة والعراقيين خاصة، واحياء تراثهم ولغتهم العربية التي اصابها الجمود في هذه الفترة • وقدعرف عنه (رحمه

---

(١) راجع : عبدالقادر حسين أمين ـ القصص في الادب العراقي الحديث ـ ص٥ـ١٥ بغداد سنة ١٩٥٦م •

الله) انه كان ابي النفس لا تأخذه في الحق لومة لائم مما حـدا ببعض الصحفيين الى ان يهاجموه لصراحته بالحق ، وجهره بالعدل منهم (جبران مسوح) صاحب جريدة (الاخاء الحموية)[1] الذي هاجمه هجوما عنيفا وقد انبرى له تلميذه - رزوق عيسى - ودافع عن استاذه - داود صليوا - بمقالة نشرت في صدى بابل عنوانها (من غربل الناس نخلوه) . وكان المترجم في اكثر كتاباته يميل الى الدعابة والفكاهـة تظهر فيها ظرافته وحلاوة حديثه . يروى انه ارسل ذات مرة الى ادارة (مجلة الضياء) لصاحبها (ابراهيم اليازجي) هذين البيتين :-

تالله ما امن العثـار ولو مشـى
رجل يجد الارض في الظلمـاء

لكن على رغـم دعتنا حاجـة
نسري لضيق الحال دون ضيـاء

فارسل اليه صاحب الضياء كل الاجزاء التي صدرت في السنتين الاولى والثانية ووعده بانه سيواصله ما يصدر من الاجزاء ما دام الضياء ينشر في الآفاق . وقد فعل مثل هـذا مع المرحوم (جرجي زيدان) صاحب الهلال المصرية . فقد ارسل الى ادارة الهلال بهذين البيتين :-

للـه مـا احلى الهلال وضـوءه
فيـه ترى آي الكمـال مثلـه

كم لي احـاول في اجتلائي نوره
لكن عين الحـال في كليلـه

وقد اجابه جرجي زيدان : (ارسل ٢٥ فرنكا تصل اليك اجزاء

---

(١) راجع : رزوق عيسى - مجلة النجم الموصلية - السنة السادسة ص٣٤٩ سنة ١٩٣٤ .

المجلة منتظمة) فاجابه (داود صليوا) بأرسال هذين البيتين :ـ

لقد ابتغيت من الهلال تنورا
فتقلصت عني اشعة ضوئه

فكأنني يوم الخسوف قصدته
فرأيتني كالمستظل بفيئه (١)

وقد جمع الكاتب بين السياسة والشعر فقد كان شاعرا يهجو من وجب هجاؤه ويمدح من استحق مدحه فقد مدح الوالي (ناظم باشا) الملقب (بمدحت الثاني) لما قام به من اعمال في بغداد بقصيدة عنوانها (حنين المشتاق الى لقاء وزير العراق) جاء فيها :

يا حادي العيس عج بي بالحمى وسلِ
عن قاتلي بنبال اللحظ لا الاسل

فرحت اشكو مصابا منه واعجبي
في مقلتيه تَدَوْنا آية الاجل

* * *

وقد صبرت على كيد العداة بما
جاروا وشنوا علينا غارة العذل

وزادني جورُهم يا صاح مؤلمة
فكدت أصلىُ بنار الغدر والغيل

حتى بدا في محيا الافق ناظمه
كطالع السعد في الاصلاح والعمل

---

(١) رزوق عيسى ـ مجلة النجم الموصلية ـ السنة السادسة ص٣٥٠

قد جاء بالعـدل والدستور وجهتـه
اكـرم به من ولي فاز بالجلـل

* * *

اليوم بغـداد في فخر بما كسبت
فيهـا تجارتهـا بالعز والجلـل
قرّت بكم مقل الزوراء وابتهجت
وجيدهـا فيك اضحى حالي العطل (١)

اما نثره الصحفي : فقد كان فيه مقلدا للمـاضين من حيث الفاظه ، واسلوبه مكثرا من الاستشهاد بالامثال والحكم ، مرصعا اياه بالشعر مما كان له الاثر الحسن في نفوس القراء • اسمعه يقول في الجرائد واثرها :

(لا يخفى ما للجرائد في الجامعة الانسانية من مكان ، وما يتوقف عليها من اصلاح شؤونها في حالتيها ، المدنية والسياسية ، سيما في هـذا العصر ••• وهي المهيع لتعرّف الاقوام بعضهم ببعض على بعـد المسافة وشط المزار وشدّ عرى الوثاق بين البلاد والامصار وهي العامل في تآلف القلوب وتنافرها بين المحب والمحبوب وهي المحرك الاول الى الارتقاء في سلم النجاح والمنادي حيّ على الفلاح)(٢) وقد تصـدت له ذات مرة جريدة (الزهور البغدادية)(٣) متحاملة عليه لأن الكاتب ـ داود ـ مدح (جبرائيل اصفر) احد ائمة المذهب النصراني • لما امتاز به الاخير من كرم واغاثة الملهوفين فقد اوقف من مـاله وهو حي اربعين ليرة لتوزع

(١) جريدة صدى بابل العدد ٣٧ في ١٦ نيسان ١٩١٠م
(٢) مجلة النجم السنة السادسة ص٣٥١ عام ١٩٣٤م
(٣) ظهر عددها الاول في الرابـع من تشرين الثاني سنة ١٩٠٩م أصدرها نسيم يوسف ورشيد الصفار • راجع : تاريخ الصحافة العراقية لعبدالرزاق الحسني ج١ ص٤٩ •

على الفقراء وقد رد ـ داود ـ على جريدة الزهور بمقال عنوانه (صاحب البيت ادرى بالذي فيه) جاء فيه :ـ

(لقد وقفنا على ما تصدت لنا به رصيفتنا جريدة الزهور ... واننا كنا لم نعبأ بتعرضها ولا نكترث لمعارضتها ولن نحفل بكلامها سواءمدحت أو قدحت ، اثنت أو هجت ، أطرت أو وترت رضيت أو عدلت الخ .. الى ما شاء الله فقلنا لا بأس ولا تثريب لان كل اناء بالذي فيه ينضح .. سيما واننا لا نؤثر ان نصرف الوقت ونشغل اعمدة صحيفتنا بالاجابة ... لان رضاء الناس غاية لا تدرك ... واننا نخشى السباب لما فيه من العاروالشنار وما اجمل ما يقال في هذا الباب (اني لا ادخل في حرب يكون فيه الغالب شرا من المغلوب) متمثلا بقول النابغة :ـ

وعيرتني بنو ذبيان خشـــيته وهل عليّ بأن اخشاه من عار[1]

وقد كافح هذا الكاتب في العهد العثماني ، وصارح الولاة في كـل ما يعملون ويقولون على صفحات جريدته بجرأة لا حـدود لها . متغنيا بحرية ابناء قومه المسلوبة ، وبلغتهم المنسية مما حدا به ان يصرح على صفحات جريدته مخاطبا الاتراك (ان الحكومة التركية ان اصرت على استعمال اللغة التركية في الدوائر الرسمية فانها تقيم قائمة اولاد العرب عليها)[2] وقد كلفته هذه الجرأة ثمناً غالياً ، اذ سجن عدة مرات .

وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى ســـنة ١٩١٤م نفته السلطات العثمانية الى القيصرية بأمر جاويد باشا والي بغداد في العام نفسه لانه مدح السيد طالب باشا النقيب ، ذلك السياسي الذي ناصب الاتراك العداء وكان من اكبر خصومهم ، بقصيدة جاء فيها :ـ

---

(١) جريدة صدى بابل العدد ٣٩ في ٣٠ نيسان ١٩١٠م
(٢) راجع : جريدة صدى بابل العدد ١٧ السنة الاولى ١٩٠٩م

بلغتَ ذرى المجد الذي انت راغب
ونِلْتَ مقاما في العلى انت طالبُ

تولعتَ في نيل المعالي ومجدِها
من المهد طفلا قبل ان طرّ شاربُ

وختمها بهذين البيتين :

فارمق بفضل من معاليك تحفةً
اليك صدى التاريخ زف الغرائبُ

فجاءت بيوم العرض تلثم كفكم
فنالت بعز من رضاك الرغائبُ (١)

وقد فقد في هذا المنفى احدى باصرتيه ، الا ان السلطات العثمانية اطلقت سراحه . وقد ظل مكافحا بقلمه وادبه الى ان توفاه الله عام ١٩٢١ بعد ما ادى الامانة لوطن رعاه صغيرا واحتضنه كبيرا .

---

(١) مجلة الغرائب - العدد الاول - شباط عام ١٩١٣م

الكاتب الصحفي ـ فهمي عبدالرحمن المدرس

(١٨٧٣م ـ ١٩٤٤م)

ولد الكاتب في ظروف سياسية مضطربة ، واهواء متباينة عاشها العراق في ظل حكم عثماني كادت تنعدم فيه كل القيم الانسانية ، في هذه الاحوال نشأ هذا الفتى وفي نفسه ميل الى العلم والادب والى الدرس والمطالعة ، فانكب على القرآن الكريم يحفظه وعلى الحديث النبوي الشريف يرتشف منه العظات والعبر ، وعلى الادب العربي القديم ينهل منه تاريخ الاجداد والاباء • ولم يكتف بهذا النوع من الدراسة وانما درس الكثير عن ثقافات الامم الاخرى كالامة التركية والفارسية وقد اهلته ثقافته هذه وتضلعه في العلوم الى الاشراف على مطبعة الولاية في بغداد ايام الحكم العثماني ولما يتجاوز العشرين من عمره ، ثم الاشراف على جريدة (الزوراء) التي كان لا يقوم بها الا نبغاء الاعلام وفطاحل الادباء• كما تصدر للتدريس في عدة كليات في الاستانة قبيل اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م فقد تولى تدريس الادب العربي في جامعة الاستانة، ثم تدريس (حكمة التشريع الاسلامي) في مدرسة (ملكية شاهاني) •

يقول العمري : (تأثر ـ فهمي المدرس ـ بحكم ثقافته الاسلامية بالدعوة الى الاصلاح الديني التي بذر بذورها جمال الدين الافغاني)[١] وقد ناله من الاستبداد الحميدي ما ناله غيره من الاحرار • فقد نفي الى جزيرة ـ رودس ـ وبقي هناك فترة من الزمن ، ولما وقع الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨م كان من اوائل المناصرين له • (•• وعلى ضوء هذه

---

(١) مجلة الاقلام ج٤ ص٧٧ السنة الاولى في كانون الاول سنة ١٩٦٤م •

الحقيقة يمكننا ان نفسر موقف فهمي من تأييـد الانقلاب الدستوري العثماني بحماسه ... فقد جرد قلمه البليغ للدفاع عنه بمقالات ضافية وخطب رنانة)[1] وقد ظل دائب الخدمة في الاستانة بعد اعلان الدستور يدرس في جامعاتها . وفي اواخر عام ١٩٢٠م عندما لاحت في الافق بوادر تأسيس حكم اهلي في العراق عاد الى وطنه مع من عـاد من العراقيين تحدوهم الرغبة الى خدمة هذا الوطن . وفي عام ١٩٢١م عين رئيسـا للامناء في البلاط الملكي العراقي ، الا ان الانكليز رأوا في بقائه بمنصبه هذا خطراً يهدد سياستهم ، لما يمتاز به من وطنية واخلاص لوطنـه فاختلقوا له المبررات لتنحيته فتم لهم ذلك اثر حادثة وقعت في ٢٣ آب من عام ١٩٢٢م حيث قامت مظاهرات صاخبة نظمها الحزبان (الوطني) و (النهضة) بمناسبة مرور عام على تتويج الملك فيصـل الاول الا ان المظاهرات انقلبت الى المطالبة بالغاء الانتداب واقـالة الوزارة . فكانت الخطب تلقى منددة بالانتداب وبينما كان الخطباء يخطبون اذ قدم المندوب البريطاني (السير برسي كوكس) الى البلاط ليهنىء الملك ، واذا بالهتافات تتعالى ضد السياسة البريطانية :ـ (لتسقط بريطانية) (ليسقط الاستعمار) . الا ان المندوب البريطاني ما كاد يعود ـ مستغلا هـذه الهتافات للايقاع بالمدرس ـ الى مكتبه حتى ارسـل احتجاجا الى الملك يطلب فيها اقالة (فهمي المدرس) ، واعتباره مسؤولا عما لحقه من اهانة فسارع الملك ليصل الى تلبية طلبه والاعتذار عما وقع . وقد حـدثني الدكتور (محمد مهدي البصير) وهو احد خطباء هذه المظاهرات قائلا: (بينما كنت اخطب في الجماهير اذا بالمندوب البريطاني يشق طريقه الى الملك ليقدم له التهاني فما كان من احد العوام وهو (حسون ابو الجبن) ان هتف في الجماهير (لتسقط بريطانية) (ليسقط الاستعمار) فرددت الجماهير هذه الهتافات) . والغريب في الامر ان الكاتب المعروف (امين

(١) المصدر السابق .

الريحاني) يذكر في كتابه (ملوك العرب) ص ٢٧٠ روايـــة اخرى فيقول :ـ (جاء صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب سنة ١٩٢٢م وفد الحزبين ـ الوطني العراقي وحزب النهضة العراقيـة ـ وهو يوم ذكرى تتويج الملك • فأمر جلالته رئيس الامناء ـ فهمي ـ لينوب عنه • فخطب في الجمع خطيب الحزب الوطني العراقي الشاعر العراقي الضرير ـ الشيخ مهدي البصير ـ فهيج في رئيس الامناء الشجون فانتصب خطيبا وحق له الكلام أذا كان الملك انابه وحق له ايضا ان يبرهن على حماسة فيه انسته انه موظف في البلاط ••• وقد اتفق انه بينما كان رئيس الامناء يخطب ضد الانتداب اقبل المندوب السامي السير (برسي كوكس) ورجال الوكالة البريطانية لاداء التبريك فاستقبلهم الجمع صارخا : (ليســقط الانتداب) (ليسقط الانكليز) ثم دخل على الملك وهنأه بعيده الاول ثم اجتمع بعدئذ به فدار بينهما حديث كانت نتيجته عزل رئيس الامناء)[1]•

وقد اكد لي الدكتور (محمد مهدي البصير) شاعر الحفل المذكور افتعال هذه الرواية من اساسها والذي يبدو لي ان الريحاني اراد ان يبرر موقف الملك فيصل في عزل فهمي المدرس سيما وان الريحاني كان ضيف الملك وكان عليه ان يكتب وفق اهوائه ورغباتـــه • على كل عزل الرجل من منصبه ثم عين بعد ذلك امينا لجامعة آل البيت عام ١٩٢٤م • وقـــد عمل المدرس جاهدا على ان تكون هذه الجامعة النواة الاولى (لجامعة عراقية عصرية ولكن المشروع لقي معارضة ساطع الحصري • ودار بين الرجلين جدل عنيف)[2] وانتهى الامر بالغاء نوري السعيد جامعة آل البيت عـام

---

(١) امين الريحاني ـ ملوك العرب ـ ط٢ ج٢ ص٢٧٠ـ٢٧١ بيروت سنة ١٩٢٩م •

(٢) مجلة الاقلام العراقية ج٤ ص٨٠ السنة الاولى بغداد في كانون الاول سنة ١٩٤٦م •

١٩٣٠ بحجة ضيق الميزانية . ثم بعد هذا تقلد فهمي مديرية المعارف العامة ومكث فيها مدة ثم استقال متجها الى ميدان السياسة ليخدم وطنه عن طريقها بعد ان حورب عن طريق الوظيفة . فأنضم الى الحزب (الوطني) الذي تزعمه (جعفر ابو التمن) فراح يكتب في جريدة الاخاء الوطني ، والبلاد ، والاخبار المقالات السياسية التي تحمل على المسؤولين تهاونهم في حق الوطن والاستهانة بمقدرات الشعب بتواقيع مستعارة تارة (بالكاتب العراقي الكبير) واخرى باسم (عراقي) وثالثة (ابو حارث) باسلوب كتابي أخاذ يجمع فيه بين النقد اللاذع والتهكم المرير حين يستعرض المواقف السياسية من ذلك قوله متهكما (اذا اردت ان تعرف كيف يوضع الشيء في غير محله فأجل طرفك في دواوين الحكومة وانظر الى المناصب فبينما تسمع انين المرضى يملأ الفضاء وليس هناك من يواسيهم بجس النبض او بجرعة من الدواء . اذ ترى الاطباء قد انتقلوا من مكان الاختصاص الى مقاعد لا علاقة لها بالصحة وترى الاستاذ المختص بعلم التربية يرأس كلية الحقوق)[١] . وقد اعتصم الكاتب بعقيدته القومية اعتصام مؤمن لا يساوره الشك في كل ما قاله او دعا اليه ، فلم تزعزعه مغريات السياسة ، ولم يغره بما آمن به تلويح بمنصب او جاه عاش لعقيدته واخلص لها غير هيّاب من سجن او نفي وتشريد . وقد ساهم المدرس في النهضتين الفكرية والسياسية . ويروعك من اسلوبه حذقه في اقتباس آيات القرآن الكريم في اواخر فقره ، وهو يكاد ينفرد بما في هذا الامر من روعة . اسمعه مخاطبا المسؤولين فيما ارتكبوه من جرم في حق هذا الشعب . (... كان حتما علينا في هذا الموقف الرهيب ... ان نسجل على المسؤولين ما نبرأ به الى الله من تبعة النطف التي ما فتئت تخرج من بين الصلب والترائب حتى

---

(١) مقالات المدرس ج٢ ص١٧٥ بغداد سنة ١٩٣١م (يشير بهذا الى تعيين سامي شوكت وهو طبيب مديرا للمعارف والى ساطع الحصري مديرا لمدرسة الحقوق) .

جعلوها تستعبد وتنوء بالسلاسل والاغلال)[1] • وحينما يتحدث عن ابطال المعاهدات فانه يرسم لهم صورا تستهوي السامعين بما تنطوي عليها من سخرية ظاهرة ، واستهزاء باسلوب شائق وعرض جذاب • قال متحدثا عن جعفر العسكري :ـ (••• يعلم الناس ، والعالم اجمع ان فخامته بطل المعاهدات فكلما تقدمت دار الاعتماد البريطاني بمعاهدة تحركت اسلاك البرق وحضر على جناح السرعة ، وبعد الابرام عاد الى السفارة المحفوظة له في لندن)[2] •

فالمترجم يقرر ان العراق سيبقى مزرعة للاستعمار ما دامت الامور لم تسند الى اصحابها • قال :ـ (•• لا مفر للعراق من براثن الاستعمار ما دامت الاساليب لا تنتهي عند حدود وما دام الامر لا يوسد الى اهله وما دامت مصلحة غيرنا تعارض مصلحتنا)[3] • وكان في أكثر كتاباته كثير الاقتباس من آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف • جاء في مقال له بعنوان (كلمة الى الشباب) :ـ (قد يتنازع البحث عن الاخلاق فريقان : طامع في الزيادة وأواه ملول ••• واذا كان كذلك فالشعب على خير كثير • اما ابناء العرب فانهم اليوم في شغل شاغل عن سيرة هذه الدرة العصماء التي اصبحت في بلادهم يتيمة الدهر او ثانية العنقاء ، بما خبأته سياسة الاستعمار ••• وبما صورته ••• تجعلك تعتقد بان القوم على بينة من امرهم وان هي الا اضغاث احلام ، او (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) • الى ان يقول :ـ (••• وفي تلك الساحة الغبراء وفي عالم الطيف والخيال حرب عوان بين النفوس الناشزة التي يحملها اناس

---

(١) جريدة الاخاء الوطني عدد ٧٥ في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٣١م •

(٢) مقالات المدرس ج١ ص١٢٢

(٣) جريدة الاخاء الوطني عدد ٦٧ عام ١٩٣١م

(سمّاعون للكذب اكالون للسحت)[1] . وله مقال (الاسفتاء ومصيره) جاء فيه :ـ (... ان اردتم الذكر الخالد والمجـــد الطريف فاجمعوا امركم واعملوا على خيركم وانقذوا الامة ـ وانتم في ضمنها ـ ولا تنسوا الفضل بينكم واتعظوا بغيركم (ان في ذلك لذكرى لمن كـان له قلب أو القى السمع وهو شهيد)[2] . كما انه كان كثير الاستشهاد بمشـــاهير العرب والمسلمين ، في الفاظ مختارة تدل على ذوق وارهاف حس . قال واصفا الضغط والاضطهاد الذي لاقاه الشعب :ـ (واذا ما دعاك الواجب بحسب اجتهادك واعتقادك فاعلم ان السماء تمطر عليك وابلا من التهم ، وان الارض تقذف بك في لجج من الجمم وان صقر قريشـ يسقط على رأسك ... ومن ورائه عبدالرحمن الداخل وسعد بن وقاص وطارق بن زياد ... وغير ذلك من الاعلام من تاريخ العرب المجيد الذي كنا ننتظر استعادته منذ عشر سنوات)[3] . ثم يخلص في مقاله الى النتيجة المـرة وخيبة الشعب واهواء الحكام في السعي وراء المنـــاصب والنفع الذاتي فيقول :ـ (فكانت النتيجة عبارة عن فصول املتها الفكاهة على الرأي العام بهذه الخواتيم استهتارا بالماضي والحال والاستقبال لقاء جاه زائف وحطام زائل)[4] . وقد تأثر في حياة العراق السياسة في مختلف ادوارها غير انه اندفع في تيار السياسة بعنف وقوة وخاض غمارها وكانت له مواقف محمودة في ذلك وبالاخص في ايام الاحتلال البريطاني لخلف وعـــدهم للعرب وما اضمروه من نيات ميتة ضدهم فبين بعنف مساوىء الاحتلال ومعاهداته ، والحكومة الاهلية فيما بعد . مدافعا عن حقوق الشعب مظهرا مساوىء الحكام بصورة قلمية تفيض بالعاطفة وتنطق بالصدق . قال في

---

(١) مقالات المدرس ج١ ص٢

(٢) جريدة الزمان البغدادية العدد ٩١ عام ١٩٣٠م .

(٣ ، ٤) جريدة الاخبـار البغدادية العـدد ٨٤ السنة الاولى في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣١م .

مقل له بعنوان ـ بين المعاهدة والاستقلال ـ جاء فيه :ـ (••• لا ندري كيف يجتاز العراق دورا دقيقاومرحلة شاقة وهو محفوف بهذه الاخطار• ان الخطر محيق بنا و (آنيبال) على ابوابنا ••• وليس للشعب ان يعرف موضع الخطر وان يقف على كنه الخطر ومصدره ودواعيه ليقوم بواجبه وانما المفروض عليه اذا ما قيل (آنيبال على ابوابنا) ان يجم ويخرس ويسلم الى القضاء والقدر ••• كأن الخطر لغز من الالغاز او طلسم من الطلسمات ••• والويل لمن ينبس ببنت شفة ذلك لان الشعب غير حر وغير رشيد من الوجهة الحقوقية الا في ابرام المعاهدات فانه مساو لبريطانيا العظمى في الحقوق)[1] • اما الحكومة الاهلية فكان نصيبها من قلمه ـ بحق ـ الاستهزاء والتنديد بسياستها حتى بلغت به الجرأة ان كاشف الملك فيصل بمقالاته بمصير التيجان والعروش التي تنكرت لاماني شعوبها جاء في مقالة له بعنوان (العراق والاستقلال) :ـ (ان الذي يرجع بذاكرته الى عام ١٩٢١ ويسير مع الحادثات سير الناقد البصير منذ تأسيس الحكم الاهلي الى هذه الساعة ••• تنكشف له الحقائق عن صفحات متشابهات لا تختلف احداهن عن الاخرى الا في الزمن ••• تتخللها سياسة مواعيد من نوع واحد • تحملها المناهج والخطابات ولا تكاد تنشر حتى تخزن في بطون السجلات الى يوم البعث والحساب• تليها بشائر عن الاستقلال لا تتعدى رسم الخط وسواد الحروف ••)[2] • وقد وصف الحكام والدولة ودستورها وصفا دقيقا فالدولة كما يقول لا تبالي بالمسؤولية ودستورها ميت ومجلسها يرتع به الغرباء والشعب ينهشه الفقر : (••• مراسيم تحملها الاهواء والشهوات يتبعها فوج من المنكوبين • يليهم آلاف ممن اجتاحهم الفقر وآلاف من الجرائم والجنايات

---

(١) جريدة الاخبار العدد ٨٤ في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣١م
(٢) جريدة الاخاء الوطني العدد ٦٧ في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٣١م •

تقدمها حكومة لا تبالي بالمسؤولية واحزاب مغلولة ... يعقبهـا دستور موؤد ومجلس تحف به الاساليب الخاصـة ... حولـه بقية من بقايـا الخيرات يرتع بها الغرباء المتطفلون على المناصب وتطوف بها وجوه صـفر واجسام ناحلة انهكها البؤس والجهل والشقاء ... وكفاءات مهجورة واحرار مكدودون . وفي مقاعد الحكم ابتسـامات ساخرة ترافقها القـاب ضخمة) . ثم ينتقل في نفس المقال الى وصف ارض العراقَ وحالـة الشعب وما آل اليه الامر نتيجة لهذه السياسة فيقول :ــ (... تكتنفهـا بقاع موبوءة ... وساحة غبراء لا ترى فيها امنا غير اشباح تحمل الواحا مضرجة بدم الشهداء كتبوا عليها بالحروف البـارزة ليحي الاستقلال التام)[1] . وقد عالج المدرس المشاكل الاجتماعية اضـافة الى الامور السياسية معالجة رجل علم عرف الحياة واسرارها وسبر غورها فقد عني عناية خاصة بتوجيه الشباب ودعاهم الى التمسـك بالاخلاق اذا ما ارادوا النجاح والتقدم لامتهم لانها اساس نجاح الامم وتقدمها قال في كلمـة بعنوان ــ كلمة الى الشباب ــ : (... فالاخلاق السـامية تحرك أيدي العاملين على بناء المجد وتشييد عروشه وتنشر لواء العدل والاحسان ... وما من امة اجترمت الجرائم واتسمت بالمعايب والتصق بها العار ، وذاقت وبال الذل والخنوع ، ألا وفساد الاخلاق قائدها ، وهو الباعث لتفسخها وانحلالها)[2] . وقد كان المدرس في مجالسه طيب القلب لطيف المعشر ، حلو النادرة . يضفي على مجلسه الروعة واللطف وسرعة البديهة والنكتة الحاضرة وقد كان يختلف الى مجالسه هذه نخبة من رجال السياسـة والادب في العراق امثال الزهاوي والرصافي وياسين الهاشمي وغيرهم

---

(١) جريدة الاخاء الوطني العـدد ٧٥ في ٢٧ تشرين الاول سـنة ١٩٣١م .

(٢) تاريخ الادب العربي ــ الدكتور جميـل سـعيد ط٥ ص١٥٩ بغداد سنة ١٩٥٨م .

كثيرون • وقد روي عن سرعة بديهته ان الشاعر الزهاوي زاره في مكتبه عندما كان كبير الامناء في البلاط الملكي فخرج الزهاوي منه غاضبا لامر ما وهو يردد بيتا من الشعر يغمز فيه المدرس ويقول :ـ

أنا لو كنت ُبليداً فاز في الاسهم سهمي
انما أخرني عن الاقران فهمي

فلما بلغ ذلك المدرس أسرع في تغير بعض الفاظ البيت تغيرا يقلب معناه فقال :ـ

انا لو كنت بليداً طاش في الاسهم سهمي
انما قدمني على الاقران فهمي(١)

ولابد لنا في الختام أن نقول كلمة أخيرة انصافاً للحقيقة والواقع أن الرجل دافع عن أمته ووطنه بكل ما أوتي من قوة سواء أكان في الوظيفة أم في مجالسه الخاصة أم على صفحات الجرائد دفاع رجل أحب قومه فاحبوه لصدقه واخلاصه • باسلوب كله صراحة ، مبينا مساوىء الحكم الاهلي واعوانه ، شارحا عذاب الشعب وحرمانه ، مما اضطر الملك فيصل بامر من رئيس وزرائه ـ نورى السعيد ـ الى نفيه عدة مرات لانهم رأوه عقبة كأداء في الوقوف امام اساليبهم • وقد ظل امينا وفيا لمبادئه الى ان اقعده المرض واثقلته الهموم فاختاره الله عام ١٩٤٤م بعد ان ادى رسالته الصحفية على اتم وجه •

---

(١) راجع مجلة الاقلام العراقية ج٤ ص٨١ السنة الاولى في كانون الاول سنة ١٩٦٤م •

الكاتب الصحفي ـ خيري صالح الهنداوي[1]

(١٨٨٥م ـ ١٩٥٧م)

هذا الكاتب الشاعر الذي نسي في غير حق واهمل من غير ذنب ولد عام ١٨٨٥م في قرية بسيطة من قرى ديالى تسمى (ابي صيدا) في اسرة متوسطة الحال وقد عاش هذا الفتى متنقلا مع ابيه الموظف وفق ما تقتضيه متطلبات الوظيفة • ذلك الاب الذي لم يأل جهدا في تثقيفه وتهذيبه فدخل كتاتيب بغداد وبعض اقضية العراق ثم تعلم في المدرسة الرشدية ـ الابتدائية ـ فنال شهادتها التي كانت أول وآخر ما نال من شهادات الكفاءة المدرسية • وقد كان الهنداوي شغوفا بدراسة القرآن الكريم ، وعلوم الدين ، والادب ، وحفظ الشعر • اما النحو والعربية فقد تعلم نتفا منها ولم يتبحر فيها لعقم طرق التدريس فيها كما يقول :ـ (انني في كل هذه المدة التي درست فيها النحو والدروس العربية لم أكن أفقه شيئاً منها لاعتلاق نفسي بحب الشعر والادب لذلك لم تجد هذه القواعد لها محلا في دماغي • اظن السبب الجوهري في الامر طرق التدريس القديمة العقيمة)[2] وقد عالج النظم منذ صباه حتى برع فيه فسمت منزلته وذاع ذكره • وعندما عاد الى بغداد شاءت الصدف ان يتعرف على الشاعرين جميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي فلازمهما مدة طويلة استفاد منهما في الادب

(١) نسبته الى الهند جاءته من جده ـ السيد خضر ـ الذي درس على يد العلامة الهندي فنسب التلميذ الى استاذه كما هو مذكور في أكثر المراجع • راجع : الادب العصري لرفائيل بطي ص١٦١ مصر سنة ١٩٢٣ ، وخيري الهنداوي حياته وشعره ـ ليوسف عزالدين ص٣٤ القاهرة سنة ١٩٦٥م •

(٢) رفائيل بطي ـ الادب العصري في العراق العربي ج٢ ص١٦٢

والسياســة والاجتماع • وقـد خاض الهنداوي غمار السياسة متأثرا بالانقلاب العثماني عام ١٩٠٨م وقد ظهر هذا جليا في تفكيره واسلوبه في كل ما كتب ونظم متوقعا من الانقلاب الاصلاح الشامل لكل ناحية من نواحي الحياة •

فها هو ذا يقول مبتهجا بسقوط عبدالحميد :ـ

عقد السـعد رايـة الافراح ... للأمانـي على جيوش النجاح
وبدا الشرق ضاحكا يسحب الـ ... ـذيل سروراً ببهجة وارتياح
رافعا راية الهلال ينـادي ... مرحبـا (بالرشاد) والاصلاح
وآت عبدالحميد وسله عمـّا ... حلّ في رأسه بهـذا الصباح[1]

وقد رأى كما رأى غيره من الادباء ـ كالشبيبي والرصـافي ـ ان جمعية الاتحاد والترقي التي نادت (بالحرية ، والمساواة ، والعدالة) خير منظمة تحقق آمال العرب بما رفعته من شعارات براقة • فوقف الاديب ـ الهنداوي ـ (قلمه في نظم القصائد وكتابة الفصول في التبشير بمبدئها ، حتى اذا ما انشقت على نفسها واسس حزب الحرية والأئتلاف ، ظلّ ثابتا على مبدئه مدافعا عن جمعية الاتحاد منددا بخصومها)[2] •

وعندما أعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م دخلها شاعرنا بشعره وقلمه متغنيا بحب الدولة العثمانية دافعا عنها بما تتهم به مبررا رأيه على انها حامية الدين والسلطان خليفة المسلمين • اسمعه يمتدح جمعية الاتحاد والترقـي :ـ

(••• واذا كانت النفوس كبارا ... تعبت فـي مرادهـا الاجسـام)
أعلن الدستور بفضل فتيان الاتراك النجباء • فرفعت اعاصير الانقلاب

---

(١) يوسف عزالدين ـ الخيري الهنداوي ـ ص٥٧ـ٥٨
(٢) رفائيل بطي ـ الادب العصري في العراق العربي ج١ ص١٦١

طرفا من ذلك الستار ، ورأينا بأم رؤوسنا تلك الايدي الاجنبية الاثيمة وما نصبت لنا من الفخاخ والاشراك ، واصطادت كما شاءت قسما من ممالكنا ونحن مختلفون غير ملتفتين الى الوراء الامر الذي ضاعف طمع الطامعين فوقفوا لنا بالمرصاد يترقبون الفرص ، حتى اذا كانت الحرب العالمية شنوا علينا هذه الغارة الشعواء ليستأصلوا شأفتنا بل ليمحونا من صحيفة الوجود . لقد خاب والله فألهم وكذبت امانيهم[1] .

وقد كان الكاتب قوميا اخلص كل الاخلاص (لامته العربية فهو عندما كان يؤازر الدولة العثمانية في عزها وفي ابان انتشار النزعة الاسلامية نجده يفخر بالعرب قومه ويتذكر المعتصم وايامه)[2] ولك أن تقرأ قصيدته (الحرب في الارض) لتجد الصورة واضحة لهذا الفخر . قال :

ضاق صدري فرحت ازجي القصيدا
مستعيضا عن الحداء النشيدا

* * *

ومنها :

واذا لم يكن من الحرب بد
فلنثرها حربا تشيب الوليدا

ولنمت في الدفاع عن حرم الحق
فقد بات وهو يشكو الجحودا

اين قومي وهل ترى غير قومي
امة تصدع الصفا والحديدا

---

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ٩٢ السنة الاولى عام ١٩١٥م
(٢) يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي ـ ص٦٠

أن قومـي ابناء قحطان حـــازوا
طـارف المجـد والعلاء التليــدا

شـهد الســيف انهم امة الحـــ
ـــرب اذا هزت الكمـاة البنـودا[1]

وقد نشر أكثر قصائده في جريدة صدى الاسلام تلك الجريدة التي اسستها الدولة العثمانية في بغداد لأثارة النخوة في قلوب المسلمين ضـــد الانكليز كما حرر أكثر مقالاتها مستنهضا النفوس جاء في كلمة له بعنوان (الحرب والشرف) :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتـى يراق على جوانبـه الـــدم

(... تالله ان الكرم والشمم ليأبى ان يمس شرفنا بسوء ما دام فينا عرق ينبض في هذه الحياة بل الحياة بغير الشرف ما هي الا الموت بل ما هي الا نار الجحيم . اذن فلنجرد السيف غير ظالمين ونضرب به وجه العـدو الذي يريد بنا وبشرفنا سوءا بل الذي يريد أن يجعلنا كالانعام أو أضـل سبيلا . فهلمّوا يا ابناء قحطان لنطرز حلة شرفنا البيضاء بقطرات من الدم الاحمر وننشرها امام العالم مبرهنين اننا قوم شرفاء ...

فاما ممات يغسل العار ذكـــره
واما حياة تتبع الفتح بالفتح)[2]

وللكاتب جولات في الصحف ضد الانكليز صارخا في قومه مغبـــة حكمهم . جاء في مقال له بعنوان ـ فشـــل آمال الانكليز في العراق ـ : (... نشبت الحرب الحاضرة ـ العالمية الاولى ـ فوثب الانكليز على ثغر

---

(١) جريدة صدى الاسلام عدد ٧٩ السنة الاولى عام ١٩١٥م
(٢) جريدة صدى الاسلام عدد ٨٦ السنة الاولى عام ١٩١٥م

البصرة ... والسيف بيد والمال بيد يستميلون ضعاف البصائر وقليلي الايمان ... فلم يصادفوا إلا ضربا في الوجه ولطما على الجباه . قام العراقيون ... ووقفوا وقفة الاسود الضوارى فاضاعوا رشد الانكليز وطيروا البابهم وعقولهم ..

قومي اذا اشتد الضراب تخالها
نشوى وما غير الضراب مدام

فالحرب مجلسها وساقيها القنا
والنقع نقل والمدافع جام

لم تخش بادرة الطعان لدى الوغى
بل لا تهاب الموت وهو زؤام

ان الانكليز يرون العالم جميعا دونهم خلقا وانهم اولى الناس بالسيادة العامة على البشر ... ستكشف الايام للانكليز سوء مغبة اعمالهم وسيندمون على ما فرطوا والعاقبة للمتقين)[1] . فأنت ترى الشاعر صادق الشعور ، عميق التجربة ، تحس بالصور الحية التي رسمها في أكثر شعره ، واضح الفكرة ، جزل الالفاظ ، لذا يعد بحق من الشعراء الذين قادوا النهضة الادبية في العراق . ولعل (اتصاله بالرصافي والزهاوي أثر في شعره ، فأثر الرصافي فيه بجزالة الشعر ، والزهاوي بآرائه وتجديده في المعاني)[2] .

ولعلك تلاحظ معي ايها القارىء ان هذا النوع من المقالات الصحفية المطرزة بالاشعار الكثيرة ، يوشك ان يكون فريدا في بابه ، لاننا نشعر دائما امام كاتب سياسي يعتمد في مقالاته السياسية على طريقة ادبية موشحة

---

(١) جريدة صدى الاسلام عدد ١٤ السنة الاولى عام ١٩١٥م
(٢) يوسف عزالدين - خيري الهنداوي - ص٢٣

بالاشعار الكثيرة التي هي من نظم الكاتب في أكثر الاحيان • ومعنى ذلك أن المقال الصحفي عند هذا الكاتب جزءان : احدهما نثر ، والاخر شعر على خلاف ما نجد ذلك عند بقية الكتّاب الصحفيين الذين لا يعتمدون على الشعر في كتابة المقال اللهم الا نادرا ، وبشرط أن يكون الشعر من نظم غيرهم • وهكذا نجد ان نثر ـ الهنداوي ـ يمتاز باسلوبه الخاص في اختيار الالفاظ المعبرة عن المعاني الدقيقة ، وانه كان في اكثر كتاباته يستشهد بالشعر العربي القديم يستوحي منه الهمم ويستنهض النفوس • وهذه ميزة يمتاز بها دون سواه •

جاء في مقال له بعنوان (الانتباه الاسلامي) :ـ

(••• ولكن بقي أن نعلم كيف انفرط عقد تلك الامة الاسلامية ، وكيف تطرق اليها الانحطاط ، وما كانت اسبابه وما هي مسبباته ، وهل كان ذلك الخمود شرارة الحب أو هناك اسباب ومسببات اخرى ؟ ••• نعم لم تتبدل الاسباب ولكن تبدلت الوجهة وتغير القصد ••• وبالرغم من تخرصات الافاكين وتقولات الكذابين الى الجهاد ايها المسلمون

اما فتىً نال العلى فاشتفى
أو بطلا ذاق الردى فاستراح[1]

ولحبه للدولة العثمانية كان يقتنص المناسبات لينظم فيها الشعر ليدلل على ولائه لها • اسمعه في قصيدته ـ فاتح وارشو ـ يمدح القائد الالماني بوصفه من حلفاء الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى قال :

عن السيف حدث انه الحكم العدل
وما شئت قل يشهد به العقل والنقل

---

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ٨٧ السنة الاولى تشرين الاول عام ١٩١٥م

فلا حكم أن لم يحكم السيف في الوغى
ولا ملك ان لم يبن اركانه العدل

فما مثل حد السيف للخطب فارج
ولا مثل حسن الرأى ان زلت النعل

ولا مثل (هند نبورغ) يوم كريهة
اذا قصرت عن خوض مكروهها الرجل[1]

الواقع أن الكاتب أوقف شعره ونثره لنصرة الدولة العثمانية على الانكليز فكان يكتب مقالاته بروح تدل على ايمانه العميق للجامعة الاسلامية كما هو معروف عنه . جاء في مقال له بعنوان (العلم والعمل) :ـ

(... تجلت قوة الارادة في هذه الحرب باجلى مظاهرها في دول الاتفاق وظهرت للعين كالشمس في رابعة النهار ، مما دلنا على أن هناك رجالا ليست ارادتهم كارادة الانكليز ومؤتلفيهم الذين لهم ارادة في الحرب غير استعمال المكر والخداع وتلفيق الاباطيل والاراجيف ظنا منهم أن تلك الخطة الخرقاء هي الطريقة الوحيدة لنجاحهم في هذه الحرب التي لم تكن في الحقيقة الا حرب العلم والعمل وقوة الارادة)[2] .

وقد كان الهنداوي كما يظهر لنا من كتاباته يدعو الى التعصب الديني بصراحة وبعنف ولعل ما كتبه في هذا الباب يعطينا الصورة الواضحة لملامح هذا التعصب .

جاء في مقال له (التعصب والتدين) :ـ

---

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ١٨ في ٣٠ تموز عام ١٩١٥م (قالها بعد احتلال الجيوش الالمانية العاصمة البولونية ـ وارشو ـ بقيادة الجنرال ـ هندنبورغ ـ) .

(٢) جريدة صدى الاسلام العدد ٥٩ السنة الاولى عام ١٩١٥م

(... لا ارى المسلمين اليوم الا وقد عرفوا ما يضمره لهم الاعداء واطلعوا على ما تكنه صدورهم من البغضاء والعداء . ولا اظن ان النوايا الانكليزية الخبيثة تخفى اليوم على أبسط المسلمين في العراق لأن الصبح قد ظهر لكل ذي عينين وعلم كل فرد من العراقيين ماذا يخبيء الانكليز بين جوانحهم من الغدر والخداع ... ان الوقائع الاخيرة لهي اقوى دليل لنا على يقظة العراقيين اليوم واكبر برهان على حياة تعصبهم الديني)[1] .

ظل الكاتب مدافعا بحماسة عن الاتحاديين ولما تكشفت سوء نواياهم واضمارهم الشر بالعرب . تخلى عنهم وانخرط في صفوف العرب الاحرار فتحرك قلمه وثارت نفسه فكان من اوائل الساخطين على العثمانيين ، بينما كان قبل ذلك يغني في حب الدولة العثمانية . اسمعه يستنجد بطالب النقيب[2] يحثه على انقاذ الامة مما ألم بها من قسوة الاتحاديين ونفي ابناء العراق قال :

الى المجد قدها فهي للمجد تنزع
فقد طال ما ترجو وما تتوقع

لقد سمعت صوت النهوض الى العلى
فقامت على اقدامها تتطلع

فظلت وصوت المجد يملأ سمعها
مسهدة اجفانها ليس تهجع

بحق العلى قدها فاما حياتها
تنال واما موتها فهو انفع

الى أن يقول مخاطبا (طالب النقيب) :

---

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ٥٤ السنة الاولى عام ١٩١٥م

(٢) من أبرز رجال العراق الوطنيين .

أطالب أن لم تطلب الحق بالقنا
سيبقى برغم المجد وهو مضيع

تطالبني نفسي بزورة طالب
فاعزم لكن الحوادث تمنع[1]

وقد خدم الهنداوي الدولة العثمانية خدمة فعّالة في القوات المسلحة في أثناء الحرب العالمية الاولى مدة ثلاث سنوات كما خدمها بقلمه ولم تفكر بتقديره بل كافأته بالقائه في سجن القلعة ببغداد •

والذي يظهر ان العثمانيين خشوا منه لجهاده القومي • يقول رفائيل بطي : (وقد سجنه الاتراك لجهاده القومي ولما احس انهم يبيتون له الشر فرّ من السجن مختفيا بدار أحد اصدقائه)[2] وقد وصف فراره هذا في مقال (بغدادأمس واليوم) نشرته له مجلة المقتطف في جزئها الخامس ص٤٦١ سنة ١٩١٧ يصف فيه الفزع الذي اصاب بغداد قبيل دخول الانكليز بغداد عام ١٩١٧ بأيام وما قام به العثمانيون من قتل وتعذيب الآمنين • جاء فيه : (هربت من السجن بعد اقامتي فيه بايام كثيرة واختفيت في بعض الدور وقلبي كله أسى لما حلّ ببغداد • غادرتها ونار الجور في جوانبها تشبها الايدي الاثيمة بقتلهم ••• الصغير والكبير والشريف والوضيع • نفوس تزهق ودور تهدم واموال تنهب واعراض وحرمات تباح •••)[3] •

وبعد هذا ينتقل الكاتب الى وصف حالته وهلعه بعد فراره من

---

(١) راجع : رفائيل بطي ـ الادب العصري ـ ج١ ص١٧٠ ، يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي ـ ص١٩٤ ، عبدالكريم الدجيلي ـ محاضرات عن الشعر العراقي ـ ص٥٠

(٢) رفائيل بطي ـ الادب العصري ـ ج١ ص١٦١

(٣) هذه الفقرات نقلت من كتاب خيري الهنداوي ليوسف عزالدين ص٣٧

السجن من ان تلقي سلطات الاتراك القبض عليه فيقول :

(كيف انام ؟ وهل ينام السليم والقوم مسرعون في طلب هذا الخائن ـ يعني نفسه ـ ، ولم اكن وشرف عدنان ، في تلك الساعة الحرة مهتما بحياتي أكثر مما كنت مهتما بحال اخواني الاخرين تنهمل دموعي وتنصب على خدي ، فأبكي طويلا ثم ارجع الى نفسي واطمعها بالفوز واعللها بالنجاح وارسم لها في مخيلتي خطة الفلاح فتطمئن وتبرق لها بارقة الرجاء)[١] • وفي هذا المقال يمدح الهنداوي الانكليز ويذم العثمانيين واصفا اياهم بالظلم والقسوة ولعل الشعار الذي رفعه الجنرال ـ مود فاتح بغداد ـ (جئنا محررين لا فاتحين) هو الذي اغراه :

يقول الدكتور يوسف عز الدين : (شأنه شأن كل الشباب الذين يندفعون دون روية وتعقل وراء كل شعار خلب ، ويغريهم جمال العبارة وأسر الالفاظ لذلك وجدناه يمتدح الانكليز)[٢] •

نتيجة لهذا القلق السياسي أخذ عليه خصومه السياسيون هـذه الهفوات فخاصموه وتألبوا عليه فأتعبوه • من ذلك ما كتبه ابراهيم صالح شكر في جريدته الناشئة الجديدة[٣] جاء فيه :

(••• ان الهنداوي ماشى السلطات فله قصائد في العهد التركـي ومثلها في هجوه ، في الاحتلال والعهد الملكي • وهـذا التلون يستنكر في الشاعر الحر)[٤] والذي نراه أن الشاعر أو الكاتب هو أبن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها فالجو السياسي المحموم الذي لا قياس له ولا ميزان والقلق

---

(١) يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي ـ ص٣٧
(٢) يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي ـ ص٤٠
(٣) صدر عددها الاول في الثاني من كانون الاول عام ١٩٢١م
(٤) جريدة الناشئة الجديدة العدد التاسع في ٢٦ تشرين الاول عام ١٩٢٣م •

والحيرة التي امتازت به هذه الفترة أثرت فيه لطموحه ورغبته الجامحة الى الحرية والاستقلال • كما أن هذه الصورة التي عاشها الكاتب لا تنقص من محاسنه شيئا ولا تنحت من مكرماته المشهودة قبلا فما اكثر الشعراء والكتاب العراقيين الذين هجموا العثمانيين وانتصروا للانكليز ثم هجوهم وانتصروا للدولة العراقية ثم عادوا وتسنموا كراسي الوزارة في الحكم الاهلي • ولعل أهم سبب دعا خصومه الى مهاجمته وتوجيه الطعون الى مبدئه السياسي هو قبوله وظيفة ـ مساعد مالي ـ في العزيزية ـ في اوائل ايام الاحتلال البريطاني للعراق من عام ١٩١٧م ، لأن القوم تأثروا بالدعاية العثمانية القائلة : (ان الانكليز جاؤا لمحق الاسلام) وقد اعتبروا التوظف في خدمة مصالح الاحتلال الانكليزي حراما وخيانة للوطن والاسلام[١] • لكن الهنداوي رمغ هذا كله بقي في خدمة سلطة الاحتلال البريطاني الى ما قبل ثورة العشرين بأيام أثر حادثة وقعت له في لواء الحلة عندما عقد اجتماع حضره قادة الرأي للتنديد بالسياسة البريطانية في العراق (وتسابق الخطباء والشعراء في التنديد بالاحتلال وسياسته ، والمطالبة بالحرية الكاملة والاستقلال ••• وكان مرجل الحقد والغضب يغلي خلال هذا الاجتماع لذلك لم يكن الحاكم الانكليزي قادرا للذهاب بنفسه الى الجامع خوفا من أن يبطش به الحاضرون ••• فاوعز الى خيري الهنداوي وهو الموظف العربي بالذهاب الى الجامع لكي يهدىء النفوس ••• فما ان دخل الهنداوي الاحتفال وسمع الشعر الحماسي المتدفق بالوطنية ••• حتى تدفقت نفسه على سجيتها ••• ووقف بين الجموع الهادرة ••• وحثها على الاخذ بالثأر والمطالبة بالاستقلال)[٢] فكانت نتيجة هذا نفيه الى هنجام مع من نفي من الاحرار ، وعندما عاد

(١) للتوسع في هذا الباب راجع : علي الوردي ـ طبيعة المجتمع العراقي ـ ص٣٤١ـ٣٤٢

(٢) يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي ـ ص٤١ـ٤٢

من منفاه في نهاية ١٩٢١م وجد الامور كما هي فالانكليز يقبضون على زمام الامور فهب ناصحا الشعب مبينا سوء العاقبة من مغبة سياسة المماطلة والتسويف التي يسلكها الانكليز حيث قال :

اذا قلت فأنصت ايها الشعب واسمع
فلست امرءاً يلقي الكلام ولا يعي

اراك جهلت الحزم فاختلت اعزلا
وانت بـوادٍ لو تعقلت مـسـبـع

اذا رجع الاقوام في الغرب خدعة
رقصت على الصوت البعيد المرجع[1]

وقد اسندت للكاتب في الحكم الاهلي عدة وظائف ادارية في الدولة منها مدير ناحية ، وقائمقام ومتصرف ، فانصرف الى وظيفته مبتعدا عن كل شيء يمس حياته ويؤثر في رزقه وعمله .

(فلم يساهم كما ساهم غيره من الشعراء في الاحداث التي مرت على العراق)[2] وآثر السكوت منذ تأسيس الحكم الاهلي حتى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م .

ولما قامت انتفاضة سنة ١٩٤١ بزعامة المرحوم رشيد عالي الكيلاني ضد الاسرة المالكة والمعاهدات الانكليزية الجائرة غير المتكافئة ظهر الهنداوي على مسرح السياسة بقصائده التي نظمها مندداً بالثورة والقائمين عليها واصفا ثوارها بأنهم صبيان . مما أغضب صديقه الشاعر معروف الرصافي والعراقيين كافة . جاء فيها :ـ

---

(١) جريدة العراق العدد ٤٩١ في ٢١ كانون الثاني عام ١٩٢٢م

(٢) يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي ـ ص٧٦

يا شاعر العصر غنّ الشرق اغنية
تهزّ من طرب عطف الاعاريب

وانظم من البشر شعرا كله طرف
يكاد يرقص من حسن ومن طيب

عج في الرصافة واهتف شاديا غردا
في الواديين وفي اعلى الاهاضيب

ثم استمع اليه يصف الثوار :ـ

ما ساس شعبا كذوب قام متكئا
على سواعد صبيان الكتاتيب

صفر الوجوه لهم من فوقها طرر
كأنها طرر البيض الرعابيب

ظنوا الحروب اكاذيبا ملفقة
أو انها بعض انواع الألاعيب[1]

ويظهر أن الذى دفعه الى هذا كما يبدو من سيرة حياته انه اقصي من وظيفته عندما كان مديرا عاما للتسوية عام ١٩٤٠م ، فاتخذ من هذه ذريعة للتنديد بخصومه • وقد أعيد الى منصبه هذا بعد فشل ثورة عام ١٩٤١م ، وبقى فيه الى عام ١٩٥٠م حيث احيل على المعاش • وفي اواخر ايامه اثقله المرض وزادته متاعب الحياة والعائلة الشيء الكثير حتى اختاره الله الى جواره عام ١٩٥٧م بعد أن خلّف مآثر لن تنسى من ادب جمّ ، ومواقف مشهودة في سبيل بلاده وامته العربية •

---

(١) يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي ـ ص٧٧

الكاتب الصحفي ـ رفائيل بطي

(١٩٠١م ـ ١٩٥٦م)

ولد بالموصل في عائلة فقيرة لاحظ لها من غنى أو ثروة • كان ابوه يمتهن الحياكة وقد اراد لابنه رفائيل مستقبلا يعينه على ما يلاقيه الأب من شظف العيش وفقر الحال فعني به عناية فائقة وفي الرابعة من عمره بعث به الى المدارس الابتدائية ثم المدرسة الثانوية ـ مدرسة البروتستانت الامريكان ـ الا ان القدر فاجأه وهو في الخامسة عشرة من عمره بفقد الاب العطوف فأثر ذلك في نفسه كما كان لها أثر في تكوينه الشخصي اذ حركت فيه الاعتماد على النفس ومغالبة الدهر • فغادر الموصل قاصدا بغداد ملتحقا بدار المعلمين الابتدائية وبعد أن أكمل المنهج المقرر بتفوق تخرج فيها ثم عين معلما في بغداد وكان يوزع وقته بين التعليم والعمل الصحفي • ولطموحه ورغبته في الاستزادة من المعارف دخل كلية الحقوق العراقية عام ١٩٢٤م وقد تخرج فيها عام ١٩٢٩م غير انه لم يزاول المحاماة وانما انصرف الى مزاولة الصحافة لولوعه بالعمل الصحفي منذ صباه فقد اتفق عندما كان طالبا في الثانوية بالموصل عام ١٩١٦م مع بعض الشبان في اصدار مجلة شهرية دورية يكتبونها باليد واختاروا لها اسم (اليراعة) تشبيها لها بهذا الطائر في الليل كأنه النهار • ويعتبر هذا المشروع النواة الاولى لعمله الصحفي[١] • وبعد ان استوى قلمه وعلت ثقافته أخذ يكتب في مستهل حياته الصحفية المقالات الادبية والاجتماعية في مجلة النادي العلمي[٢] وتعتبر باكورة اعماله الصحفية تلك المقالة التي نشرها في تلك

---

(١) راجع : فائق بطي ـ أبي ـ ص ٣٣ بغداد عام ١٩٥٦م •
(٢) صدر عددها الاول في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٩ •

المجلة بعنوان (بين الحقيقة والخيال) ذيلها بتوقيع محب السلام جاء فيها :

(ايها القلم الكسير ! انهض ايها القلم الكسير فقد طال رقادك تحت الستار الحالك في ليل الخطوب . ها ان فجر السلام قد افترت مباسمه عن شعاع الحق . أنت والسيف شقيقان مفترقان بل ضدان متناقضان ولقد تغلب عليك زمنا طويلا وهذا شأن القوى الجائر على الضعيف المنصف اما اليوم فقد ارجع السيف الى غمده بعد أن تلطخ بالنجيع وقام مجدك رافعا لواء الاتفاق والوئام والحب والسلام)[1] وكان رفائيل يذيل كتاباته باسماء مستعارة منها (محب السلام) ، (خالد) (فتى العراق) فبعد ان تخرج في كلية الحقوق انصرف الى عمله الصحفي والادبي في آن واحد انصرافا كليا تاركا التعليم فكان محررا فرئيسا لتحرير جريدة العراق[2] وقد شارك في الكتابة في أكثر الجرائد والمجلات العراقية وكان لمساهمته أثر في النهضة الثقافية والادبية والاجتماعية من ذلك ما كان يكتبه في مجلة الناشئة[3] من مقالات تحث على التقدم والنهوض بعنوان (خواطر جديدة) يعالج فيها النواحي الاجتماعية كقضية المرأة ونظرة المجتمع اليها جاء في احداها : (ضلع الرجل ، سماها قوم من الرجال ! وفي قلوبهم شيء من الاثرة ، وفتاة حواء ، دعاها غيرهم وفي نفوسهم غصة من جدتها الاولى . خلقت فتنة زعم بعضهم ، وفطرت رحمة قال آخرون ، وهي هي ، والدة الجنس البشري ، وام البرايا ، برغم ما يزعمون ويتقولون ! نظر اليها الناس ، فرأوها عظيمة ، اما عظمتها فقائمة بنفسها ، قوية ، اما

---

(١) مجلة النادي العلمي الموصلية ـ العدد الاول في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٩م .

(٢) صدر عددها الاول في أول حزيران عام ١٩٢٠ لصاحبها رزوق غنام .

(٣) مجلة شهرية صدرت في الثاني من كانون الاول عام ١٩٢١م لصاحبها ابراهيم صالح شكر .

قوتها فمستمدة من جبروت الاقوياء ووهن الضعفاء . وجدت منخفضة منبسطة في شمائلها فحمل ذلك منها فريق على الصغار وآخرون على الرفعة والسمو)[1] . وكان يحرر كذلك في جريدة الناشئة الجديدة[2] في باب (جمهورية الادب) عالج فيه مختلف الشؤون الادبية وكتب عن أكثر ادبائها وما امتازوا به . اسمعه متحدثا عن الكتب (عباس محمود العقاد) : (عباس العقاد نموذج التطور الحديث في أدب الضاد ، وزعيم مذهب التجدد في وادي النيل ... يريد العقاد ان يبني صرح الادب الحديث على ثلاث قواعد (الحق ، والجمال ، والقوة) تلك نحيزته في حياته وخطته في كتاباته . تناول الصحيفة التي يوشيها قلم الاستاذ العقاد ، فلا تلبث بعد ان تمشي نظرك فيها أن تعجب بذكاء كاتبها يفيض من حواشيها وتتزاحم امام بصيرتك من معانيها اشباح (الجمال) وقد البسها المؤلف حللا فاخرة من البيان الأخاذ مزركشة بدرر اللغة الغالية وتشعر بجرأته النادرة في الخروج على المألوف وتكفير ما يقدسه الجمهور خطأ وتزييف ما يكبره غلطا وعماية)[3] .

وللكاتب آراء في الحياة والادب والسياسة تعطينا الصورة الكاملة لفلسفته التي تبناها وتعيننا على تفهم شخصيته اذ الكتابة جزء من شخصية الكاتب كما يقال : ففي الادب يقرر : (متى استطاع الكاتب ان يجيد في اللغة ويتفرغ لمواضيعها ، حيث يسبك نتاجه بما يتفق ولغة الادب أصبح ذلك الكاتب من الادباء وحق لنا ان نسمي نتاجه أدباً)[4] وفي الحياة

---

(١) مجلة الناشئة العدد الاول ، كانون الاول سنة ١٩٢١م

(٢) صحيفة اسبوعية صدر عددها الاول في ٢٧ كانون الاول سنة ١٩٢٢م لصاحبها ابراهيم صالح شكر .

(٣) جريدة الناشئة الجديدة العدد ٥ في ٢٧ مايس سنة ١٩٢٣م

(٤) فائق بطي – أبي – ص١٥

كان يقول : (علينا أن نساير التطور الاجتماعي وأن ندعو الى مسايرة النهضات الاوربية مع الاحتفاظ بالتقاليد الدينية والعربية)[1] وفي السياسة يقول : (السياسي هو ذلك الانسان الذي يضع مصلحة المجموع والوطن فوق كل شيء ، والوطني من تصلب في عقيدته على أن تكون لصالح وطنه ، وهو من يتفهم وضع بلاده قديما وحديثا وغب الحوادث العالمية)[2] . عالج بطي هذه الامور جميعا بأسلوب رائع امتاز بسلاسة عباراته وسهولة الفاظه وعمق افكاره نهج هذا النهج في أسلوب اختص به بين صحافي هذا العصر وادبائه لما امتاز به من القدرة العلمية والكتابية في معالجته لمختلف القضايا تدل على براعة ودقة في التصوير .

يقول الكاتب أمين الريحاني : (ولرفائيل اسلوب في الانشاء سهل منسجم جليّ ، لا تكلف فيه ولا اغراب . وله في معالجة المواضيع مزية مستحبة ، هي انه يقف عند حد بين الاسهاب والاقتضاب فلا يطولها على نفسه فيمل ولا يقصرها على القارىء فيضل)[3] .

وقد عزم الكاتب أن يكافح على صفحات جريدة تعبر عما يروم تحقيقه لوطنه بعدما تفاقم الامر وعز المدافع عن الشعب فحصل على امتياز جريدته (البلاد) وقد صدر عددها الاول في الخامس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٢٩م وبرغم ان هذه الصحيفة صدرت بعد فترة البحث فانا مضطرون الى الاشارة اليها لانها تكمل الصورة التي في اذهاننا لهذا الصحفي ، فلك أن تقرأ خطتها في عددها الاول لتتبين صدق احساسه وقوة عقيدته قال : (سألني الكثيرون ما خطة جريدة البلاد ؟ فأجبتهم تقرأون خطتها بين سطورها اذ ليس بنافع لنا أن نتبجح بذكر خطة قويمة

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أمين الريحاني – ملوك العرب – ط٢ ج٢ ص٣٩٧ ، بيروت عام ١٩٢٩م .

اليوم ونلتوي عنها في السير غدا ٠٠ فخطة جريدة البلاد ما تقتضيه مصلحة البلاد وكل مصلحتها بل واكسير حياتها الحرية والاستقلال ٠٠ فما اتفق مع هذا المبدأ فالجريدة معولة عليه ناصرة له ، وما تنافر معه فهي حرب عليه هدامة له ٠٠٠ ومن يعتدي على البلاد فهو عدوها اللدود سواء اكان محسوبا عليها ام أجنبيا عنها)[١] وفي العدد نفسه يبين واجب الصحافة الوطنية ،وواجب الصحفي في الاوضاع الشاذة التي يواجهها باسلوب سهل ممتنع ٠ قال : (وأخيرا اتيح لنا أن نعمل في الصحافة ٠٠٠ فأنشأنا صحيفة البلاد عسانا نؤدي بها خدمة ضئيلة متواضعة في ميدان الجهاد ، جهاد هذه الامة المغلوبة على أمرها ٠ فالصحافة لسان الامة الناطق ومرآتها الصافية فهي معبرة عما يختلج في اعماق القلوب ، وهي المجلية صور النفوس ٠ ومهما يكن الوضع شاذا في العراق اليوم فبوسع الصحافة الجريئة أن تضج من فداحة شذوذه ، وبمقدورها أن تعرضه امام الرأي العام بقبحه وبشاعته ولا تذهب الضجة الخارجة من الاعماق سدى)[٢] وحسبنا ان ندلل على كفاءته الكتابية انه انضم الى تحرير جريدة الاهرام القاهرية واسند اليه تحرير الشؤون العربية كما اسند اليه وظيفة اخرى هي وظيفة محرر دنيا العرب في اسبوع[٣] في جريدة الاسبوع المصرية ٠ عاش رفائيل في ميدان الصحافة مدة ست وعشرين سنة استطاع في اثنائها بقلمه وصدق عقيدته أن يحصل على لقب نقيب الصحافة العراقية ٠ وقد دفعته اعماله الصحفية الى (خوض المعترك السياسي فدخل البرلمان مرات عديدة لاقى فيها صنوف العذاب والحرمان لمبدئه الذي اعتنقه وناضل في

(١ ، ٢) جريدة البلاد ـ العدد الاول ـ في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٩م ٠

(٣) اعتقل سنة ١٩٤٢ وأرسل الى العمارة وعند عودته من المعتقل أصدر جريدته البلاد لكنه هاجر من بغداد الى مصر في منتصف سنة ١٩٤٦م ٠

سبيله (عروبة حرة واتحاد كامل)[1] ولعل خير ما يمثل كفاحه في المجلس النيابي المقال الذي وجهه الى الشعب عندما رشح نفسه للنيابة بعنوان ـ الكرامة والخبز والحرية ـ (... لن يبلغ المواطنون هذه الغاية الا بالسعي لاستكمال استقلال البلاد وتوطيد سيادة الشعب ، وترسيخ قواعد الدستور ، في حكم ديمقراطي سليم ، يقيمه الوعي العام ، ويهيمن عليه مجلس نيابي يمثل ارادة الامة . بهذه الوسيلة ينعم الفرد بالرفاه ويتسنى لعراقنا أن يخطو خطوات واسعة نحو الاتحاد العربي ...)[2] .

ولقد صور هذا الكاتب الحكومة ورجالاتها ، والشعب ، والامة أدق تصوير ، ورسم لنا الحياة التي احسها الناس حوله ، دون ان يهاب ظلم حاكم أو نفياً وتعذيباً . اسمعه يخاطب الحكام محذرا اياهم من مغبة الارتباك في عملهم مخاطبا أياهم بقوله : (غربلوا رجالكم المسؤولين وراعوا النظام بحذافيره) جاء فيها (... ان الارتباك الحاصل ... سببه أن الشخصية الادارية الكبرى المسؤولة فيه ضعيفة أو ليس لها من المؤهلات ما يرفعها الى أن تمثل الدولة وعزتها ومهابتها في طول اللواء وعرضه : أن منصب المتصرفية على أعظم جانب من الدقة والحراجة ويتطلب رجالا كل الرجال . فتركب الحكومة اعظم الشطط في تهاونها في اختيار الرجال الذين يشغلون هذا المنصب كما انها لا تؤدي واجبها في خدمة البلاد اذا هي لم تجعل مفتتح أعمالها في التنسيق والاصلاح الاداري ...)[3] اما نواب الامة فقد حمل عليهم حملة عنيفة ودعا الشعب الى محاسبتهم حيث كتب مقالة عنوانها (الى متى هذا الهجوع) جاء فيها : (... وحرمة الحق اذا ما قصر النواب في واجبهم ولم يأوبوا الى

---

(١) فائق بطي ـ أبي ـ ص١٢

(٢) المصدر السابق ـ ص٣٦

(٣) جريدة البلاد العدد الثالث في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٩م

انفسهم فيوحدوا صفوفهم ويعملوا على ايجاد المعارضة القوية التي تحسب لها الحكومة حسابها فاللوم كل اللوم عليهم ... واذا ما اراد الشعب أن يحاسب فمحاسبة هؤلاء واجبة قبل محاسبة غيرهم اذ الحكومة تعمل في السبيل الذي يوافق مصلحتها وحزب الحكومة يؤيد الحكومة ويعضدها . ولكن ما عذر هؤلاء .. الذين يستسلمون لاغراضهم الذاتية ويخلدون الى الكسل فيبقون متنافرين غير ملتئمين بعضهم مع بعض)[1] وبقي رفائيل دؤوبا في عمله بين النيابة والصحافة والوزارة حتى توفاه الله في العاشر من نيسان عام ١٩٥٦م .

---

(١) جريدة البلاد العدد الخامس في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٩م

الفصل الســادس

الصحافة والادب

الصحافة والادب

للصحافة أثر كبير في المجتمعات توجيهها ، وايقاظها ، والسير فيها الى ما ترنو اليه وتروم تحقيقه • فهي العين السحرية التي تنفذ فيها الى اعماق الشعب للتعبير عن آماله ورغباته • فلا غرابة والحالة هذه أن يطلق الناس على الصحافة (السلطة الرابعة) ولم يكتفوا بهذا بل ارتفعوا بتسميتها الى اعلى المراتب ، ولقبوها القابا توحي بالهيبة والوقار • ولك أن تقرأ (صاحبة الجلالة) لتثير في مكامن نفسك ايحاءات تزيدها فوق هيبتها ووقارها رفعة وسموا • لهذا ليس من المبالغة في شيء عندما قال نابليون :ـ (انني وجس خيفة من ثلاث جرائد اكثر مما اوجس من مئة الف مقاتل) • فالصحافة الحرة المعبرة عن واقع الشعب ، اقوى من مدفع واعز من سلطان • لقد كنا نفهمها ـ الصحافة ـ انها السلطة الرابعة ، وصاحبة الجلالة بالنسبة الى السياسة ، وشؤون الحكم فقط ، لكننا (وجدناها كذلك بالقياس الى أمور اخرى أهم من السياسة وابقى من الحكم منها اللغة ومنها الادب)[1] لأن الصلة وثيقة بين الادب والصحافة منذ النشأة الاولى • كما وان الصحافة أثر من آثار الادب بالذات فهي أدب في واقعها والصحفي أديب في ذاته حيث انه يشارك المجتمع بتجاربه الشعورية وينقل احساساته ويتأثر بما يتأثر به المجتمع ويحس بما يحس به لأنه قطعة من روحه وشعوره • فلا يمكن بأية حال من الاحوال أن يكون الصحفي متفرجا أوينقل الصور جامدة باهتة كما تنقلها آلة التصوير (أو يروي الاحداث غير معني بما يصيب الامة والانسانية من خير

---

(١) عبداللطيف حمزة ـ مستقبل الصحافة ـ ج١ ص٢

وشر ••• والصحفي الناجح هو من يرتفع بالصحافة الى الادب)[1] •
فالصحفي أديب ينقب عن الالفاظ التي لها وقعها الفعال والتي تحمل بين ثنايا حروفها معانيها الحية من حيث جرسها وصحة قياسها • فالصحافة قد مهدت من ناحية اخرى الى تبسيط اللغة بحيث يفهمها اكبر عدد ممكن من القراء ، وزودتها بالحيوية الكافية للتعبير عن كل ما هو جديد أو مستحدث في الادب والعلم • فالصلة اذن وثيقة بين الادب والصحافة •
ويكاد يكون فضل الصحافة على اللغة والادب أمرا مسلما به • وفي هذا يقول الدكتور (عبداللطيف حمزة) :ــ

(لو نظرنا الى بعض الاداب الاجنبية الحديثة لوجدنا فضل الصحافة ظاهرا على كل من اللغة والادب بجميع اشكاله المعروفة بل لقد وصل القوم في أوربا وامريكا الى نتيجة هي الغاء المسافة بين الادب والصحافة حتى لقد اصبحوا لا يرون بين هذين الفنين أكثر من خيط دقيق لا شك انه وهن مع الزمن واوشك ان ينقطع)[2] ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا ما قلنا أن الصحافة أعم واوسع من الادب • فالاديب مهما أوتي من قوة البيان ورجاحة العقل لن توصله هذه الامور الى مرتبة الصحفي ما لم يضيف الى ادبه هذا علوما وفنونا اخرى من سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية حتى يستطيع التعبير عما يجيش في النفس من أمور المجتمع من مشاكل وحوادث يومية واسبوعية كيما تطلع الجماهير على ما يجري حولها وتوجهها الوجهة الصالحة • يقول الاستاذ (عبدالقادر حمزة) :

(ان المتعارف عليه هو ان الادب عنصر من عناصر الصحافة • ولكن الصحافة ليست الادب • بل هي فن اعم واوسع ، فالاديب قد يكون كاتبا مبرزا وبحاثة لا يشق له غبار ، ولكن لن يكفيه ذلك لكي يكون صحفيا

(١) سلامة موسى ـ الصحافة حرفة ورسالة ـ ص٤١ القاهرة سنة ١٩٥٨م •

(٢) عبداللطيف حمزة ـ مستقبل الصحافة ـ ج١ ص٥

وانما يكون بان يجمع الى الادب علوما وفنونا اخرى ثم بأن تكون له خبرة كافية بالناس وبالاشياء وبالحوادث وبأذواق الهيئات المختلفة ثم بان يرزق مع هذا كله الملكة الصحفية)[1] من هذا يظهر لنـــا انه ليس كل اديب صحفيا ولكن ينبغي ان يكون كل صحفي اديبا ، لان الصحـافة اصبحت اشبه بدائرة معارف وبات الارتباط بينها وبين الادب وثيقـــا • كما وان الاديب رجل ذاتي يعنى بشخصيته وحدها فيصور لنا ما يدور في خلجات نفسه واسرارها ويكون لوصفه صدى في نفوســ القراء ما داموا قادرين على قراءته وفهمه •

اما الصحافي فرجل غير ذاتي لانه مسؤول عن مجتمعه باسره فيسجل اراءه وسكناته ويقدمها الى القراء • ذلك لان الصحافة في جوهرها عمل اجتماعي يقوم على تنوير الاذهان والاتصال بالرأي العام ومن ثم كان على الصحفي ان يتأمل الحوادث والاخبار ويعقب عليها ويشرحها دون مراعاة لمصلحته الذاتية وانما تفنى ذاته ومصلحته الشخصية في مصلحة المجتمع ومستقبله [2] •

من كل ما تقدم يتبين لنا الصلة الوثيقة بين الادب والصحافة وفضل الصحافة في نمو الادب ورقيه باهم فنونه القصيدة والمقال • لذا كان لزاما علينا ان نتتبع الخطوات التي مهدتها الصحافـــة للادب لنتفهم مدى ما ادته الصحافة العراقية من خدمة للادب من حيث تطوره وازدهاره • وفي هذا الفصل سنتناول بالبحث :ـ

١ ـ القصيدة الشعرية والصحافة العراقية وهنا نتكلم عن :ـ

أ ـ القصيدة الشعرية في الاتجاه السياسي والوطني •

---

(١) هذه الفقرة مأخوذة من كتاب ـ الصحافة والصحف ـ لعبدالله حسين ط١ ص٥٣ سنة ١٩٤٨م •

(٢) راجع : عبداللطيف حمزة ـ مستقبل الصحافة ـ ج١ ص٨ـ٩

ب ـ القصيدة الشعرية في الاتجاه الاجتماعي •

ثم تكلم عن الصحافة العراقية وتطور فن المقـــال • وهنا تناول بالبحث :ـ

أ ـ المقالة في الاتجاه السياسي •

ب ـ المقالة في الاتجاه الاجتماعي •

(القصيدة الشعرية والصحافة العراقية)

للصحافة الاثر البالغ في القصيدة من حيث غرضها ، ومن حيث لغتها، واسلوبها ، ومن حيث الدور الذي ادته للبيئة العراقية في ميدان السياســة والمجتمع والادب • ولو تتبعنا الحركة الشعريــة في العراق من منتصف القرن التاسع عشر حتى اوائل القرن العشرين لوجدنا ان الشــعراء كانوا طليعة النهضة العراقية سياسية كانت أم فكرية أم ادبية أم اجتماعية •• كل هذا بفضل الصحافة التي لعبت الدور الفعال في نقل القصيدة من طور الى طور ، والارتقاء بالشاعر من حالة الى حالة ، فالشاعر الذي وجد قبل ظهور الصحافة والشاعر الذي وجد بعد ظهورها يختلفان كل الاختلاف •

الشاعر القديم كان يتخذ من شعره وسيلة للتسلية ، ويخاطب به طبقة خاصة من الناس الذين يفهمون لغته ورموزه ، وهذه الطبقة هي طبقة المثقفين ، بينما نرى الشاعر الحديث قد وهب نفسه لمجتمعـــه عن طريق الصحافة التي تقدم انتاجه الى ابناء وطنه ليعبر عن عواطفهم ومشاعرهم غير معني بعواطفه ومشاعره لانه رجل غير ذاتي • نتيجة لهذا تأثرت القصيدة الحديثة من حيث اسلوبها ومن حيث موضوعها •

امـــا من حيث الاســـلوب : فان لغـة القصـيدة أصبحت من السهولة بمكان بحيث يفهمها عامـــة الناس لان الشـــاعر يخـاطب بهـا العامــة ، كمـا يخاطب الخاصـــة أن اراد النجاح لهدفــه والســـمو لشعره ••• فلا بدله أن يفهم عامة الناس ويحسب حسابهم وبهذا تخلصت

القصيدة الحديثة من الالفاظ الغريبة والمستغلقة التي كانت تعتبر من علامات القصيدة الفريدة سابقا .

اما من حيث الموضوع : فقد كان الشاعر يقتنص المناسبات المختلفة ليتخذ من قصيدته عنوانا لمناقشة ظاهرة سياسية او اجتماعية او ادبية وتعليلها لان هذه الظواهر مجتمعة هي الموقظ والمنبه للشعراء على نظم القصائد ليقدموها الى الجمهور الذي ينتظر منهم قصائدهم . لذا كانت القصيدة في الصحف الاداة الاولى للتعبير عما يسمى - بالرأي العام - والرائد الحقيقي لبقية فنون الادب . فاذا حدثت في المجتمع حالة سياسية انبرت القصيدة للخوض في هذا الموضوع وتهافت الشعراء على نظم ما يبرز هذه الناحية واذا ما حدثت حالة اجتماعية قامت القصيدة للتعبير عن ذلك على صفحات الصحف ثم يأتي دور المقالة بعد ذلك معلقةوشارحة ما تهدف اليه القصيدة . من هذا يتضح ان القصيدة في الصحافة العراقية كانت اقوى تعبيرا واعمق تأثيرا من المقالة والسبب في ذلك : ان الطبيعة العراقية كانت ادنى الى الطبيعة القبلية او العشائرية تثيرها الحمية ، والنخوة ، وتطرب لسماع الشعر وتهتز له . وفي هذا اختلفت الحالة الشعورية في العراق عن الحالة الشعورية المقابلة لها في مصر في الاتجاه الصحفي . فالمقالة الصحفية في مصر كانت الرائد لجميع الفنون الادبية . يقول الدكتور عبداللطيف حمزة : (... اما المقالة الصحفية فقد كانت هي القائدة الحقيقية لجميع الفنون ... فاذا تحدثت الصحف عن الاصلاح الاجتماعي كان على الفنون الادبية كلها ان تخوض في موضوع الاصلاح الاجتماعي . واذا تحدثت الصحف عن الجهاد الوطني او السياسي وجب على الفنون الادبية كلها ان تسلك هذا الطريق ، وهكذا)[1] .

ولعل طبيعة اختلاف الثقافة في كلا البلدين - مصر والعراق - ادى

---

(١) عبداللطيف حمزة - مستقبل الصحافة - ج١ ص٥

الى هذا التباين في الاتجـــاه الصحفي • فمصر احتكت بأمتين عظيمتين ـ فرنسا وانكلترا ـ فأثر هذا الاحتكاك بها ، كانت نتيجته رقيها علمياً وثقافيا وسياسيا ، فبدأت منذ ذلك الوقت تنشط للعلم وللادب معا وتنتهز الفرص لتثقيف ابنائها واعدادهم للمستقبل وقد مكنت كتابها من معرفـــة اللغات الحية ، والتضلع فيها للاطلاع على خصائص الامم الاخرى والانتفاع من آثارها المدنية ، فلا بدع اذا ظهرت صحفها حـــافلة بانواع شتى من المعارف • وقـــد ظهر فيها ثلة من كبار كتـــاب الصحافة وحملة الاقلام ومشاهير الادباء • وقد سهلت هذه الوسائل على نمو الحركة الفكريـــة وساعدت على ارتقاء صحافتها ، حتى رن صدى مقالاتها في الآفاق[1] ، واحتلت المقالة مكان الصدارة فكانت القائدة الحقيقية لجميع الفنون الادبية كما يقول الدكتور حمزة •

اما العراق : فقد ظل في سبات وغفلة طيلة الحكم العثماني اذ تعمد العثمانيون اماتة اللسان العربي ، والقضاء على آدابه فلم تشجع تأسيس المدارس ، ولم تهتم بالتعليم وحدا بها الى ان تعلم الناس باللغة التركية فعاد ابناء العرب لا يعرفون من لغتهم اكثر مما يعرفه التركي منها • كما ان الاتراك عمـــدوا الى عزل العراق عن كل ما هو حـــديث لذا انصرف العراقيون الى تلاوة الشعر وترداده ، وبقي الشعر محافظا على اصالته ، فبهذا تخلفت المقالة الصحفية في العراق عن الشعر • وعنـــدما بزغ نـــور الحرية باعلان الدستور عام ١٩٠٨م تسابق الشعراء في الحصول على امتياز باصدار جرائد لهم حتى ليعتبر من النادر ان نجـــد شاعرا من شعرائنا المعاصرين من لم يزاول الصحافة • فمعظم الصحفيين في العراق كـــانوا شعراء كالرصافي ، والزهاوي ، وشكري الفضلي ، وحسين الازري ، وابراهيم منيب ، ومن لم يكن شاعرا جعل عنوان مقالته بيتا من الشعر ،

---

(١) راجع : جريدة دار السلام ـ العدد الثامن في ١١ اب عام ١٩١٨م

ورصّع مقالته بابيات كثيرة من الشعر لتؤثر في نفوس قرائها وهـذا هو الدليل الاخر على ان القصيدة الشعرية في الصحافة العراقية هي الرائـدة لجميع فنون الادب ، بينما تخلفت عنها القصيدة في الصحافة المصرية •وقد كان الشعراء في العراق الرعيل الاول الذي ساهم في ايقاظ الهمم والدعوة الى الاصلاح لذا نرى القصيدة في ادبنا العراقي الحديث قد سلكت طرقـا متعددة من اهم هذه الطرق اثنان هما :

طريق الجهاد الوطني والسياسي ، وطريق الاصلاح الاجتماعي •

(القصيدة في الاتجاه الوطني والسياسي)

كان الشعر منذ مدحت باشا عام ١٨٦٩م حتى قبيل اعلان الدستور عام ١٩٠٨م يترسم خطى الفترة المظلمة بكل تقاليدها الادبية سواء أكان ذلك في المعنى أم في الالفاظ أم في الاسـاليب • كما كان يسبح في فلك الولاة والوزراء فكان خادما امينا لاصحاب السلطة والجـاه يكيل المدح جاعلا من الوالي الظالم عادلا ، ومن البليد المعيا وهكذا انقلب معظم شعراء هذه الفترة الى مادحين • ولنستمع الى احد هؤلاء الشعراء وهو ـ عبدالقادر شنون ـ [١] حيث يقول مادحا والي العراق نامق باشا ـ عندما بنى الجسر الذي يربط الرصافة بالكرخ عام ١٩٠٢م :

هي الحضـــارة ما تعلو به الرتب
وما سوى العدل في الدنيا هو السبب
واليوم اضحت بملك ساسه ملك
من آل عثمان مضروبا له الطنب [٢]

---

(١) شاعر وصحفي ولد في بغداد (١٨٦٥م-١٩١٠م)
(٢) عبدالله الجبوري ـ من شعرائنا المنسيين ـ ص٣٣ ـ بغـداد ١٩٦٦م •

ومن الطريف أن نذكر أن الوالي نامق باشا عزل في يوم نصب الجسر فقال احد الشعراء فيه :

الله اكبر قوموا يا بني الزوراء نبتهل
فعن قريب جميع الخزي يرتحل

الله اكبر زال الشك وارتحلت
عنا الهموم وزال الخوف والوجل

قد جاء خير فأل من مؤرخه
بشرى فنامق بعد الجسر ينعزل (١)

وللزهاوي (١٨٦٣م - ١٩٣٦م) قصائد كثيرة في هذا الباب منها مدحه للوالي عاصم باشا (٢) عندما بنى جسر - قرارة - عام ١٨٨٩م جاء فيها :-

من ذاك جسر قد تمد د فوق دجلة بالمهارة
في قرب بغداد بمعبرة يقال لها قرارة
جمع المتانة والصيانة والرزانة والنضارة
أنشأه عاصم الذي تزهو بطلعته الوزارة (٣)

وقد حفظت لنا دواوين الشعراء الكثير من هذا النظم وقد استمر الاتجاه الشعري على هذا النمط حتى حدثت ظاهرة قبيل عام ١٩٠٨م عرفت (بالمشروط والمستبد) انقسم الناس فيها الى قسمين كل منهما يدعم رأيه بحججه ويناضل عنه ويسفه رأي خصمه .

---

(١) ذكر عباس العزاوي هذه الابيات في كتابه - العراق بين احتلالين - ج٨ ص١٤٤ وقال عنها : انها لا يعرف ناظمها .
(٢) من الولاة الذين تعاقبوا على حكم العراق .
(٣) عباس العزاوي - العراق بين احتلالين - ج٨ ص٩٦

فالفريق الاول ـ المشروط : يرون أن يكون حكم السلطان مشروطاً باقامة مجلس شورى ـ برلمان ـ وفي هذا الجانب المتحررون والمتجددون والقائلون باقامة حكم عادل ومساواة بين الرعية •

اما الفريق الثاني ـ المستبد ـ: فيرون اطلاق يد السلطان بكل ما يراه وحسب معتقده صلاحا لانه المرجع الديني •

وفي هذا المجال السياسي العنيف ـ المشروط والمستبد ـ انبرت القصيدة مصورة لهذا النزاع الفكري • وكان معظمها يدعو الى التحرر • وفي هذا يقول السيد عبدالمطلب الحلي يصف ـ محمود شوكت ـ بطل الانقلاب العثماني ويمدح الرئيس الاعلى (١) للمشروطية وهو العلامة المتحرر الشيخ ـ ملا كاظم ـ قال :ـ

وطار صماخ الجور حتى تركته ومعطسه من تحت نعليك راغم
غداة لطمت (المستبد) بلطمة على تاجه منها غدا وهو لاطم
فهبت رجال من سلانيك ايقظت الى العدل عين الحزم والحزم نائم
فلم تبق من تلك العروش وان علت بناء سوى الاثار وهي علائم
ترحل عنها صاحب التاج واغتدت ترن بهاتيك القصور الحمائم(٢)

وما ان اعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨م مبشرا المستعبدين بالحرية والمظلومين بالانصاف حتى انطلقت قرائح معظم الشعراء ، وهم السباقون في مثل هذه الحوادث ، للتعبير عما يعتلج في نفوس الجمهور العراقي •وقد اولى الشعراء والادباء هذه الناحية ـ الناحية السياسية ـ اهتمامهم اكثر من اية ناحية اخرى لانها كانت تهدد كيانهم اولا ، ولانها شيء جديد لم يألفوه في حياتهم سابقا • استمع الى الرصافي معلنا فرحته بهذا العيد ـ الدستور ـ حيث يقول :ـ

---

(١) راجع : عبدالكريم الدجيلي ـ محاضرات عن الشعر العراقي ـ ص ٢٤ ، ٢٥ القاهرة عام ١٩٥٩م •

(٢) المصدر السابق ص ٢٥ •

سقتنا المعالي من سلافتها صرفاً
وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا
وزفت لنا الدستور احرار جيشنا
فأهلا بمن زفت وشكرا لمن زفا
ولاحت لنا حرية العيش بعدما
اماطت لنا الاحرار عن وجهها السجفا[1]

ويمكن أن نعتبر اعلان الدستور العثماني المنطلق الاساسي للسير بالقصيدة[2] الشعرية في المحيط السياسي وذلك في الاتجاه الصحفي لهذه الفترة فكانت القصيدة تسير مع الصحافة جنبا لجنب ولا تترك مناسبة من المناسبات حتى تكون لها الكلمة الاولى • لكن الاتراك بعد فترة وجيزة رأوا في هذه الحرية التي اعلنوها بدستورهم ما يهدد كيان مملكتهم لان الروح القومية بدأت طلائعها تفعل فعلها في نفوس ابناء المملكة لا سيما العرب منهم • فأمعن الاتحاديون في تعذيب الشعراء والكتاب ومطاردتهم • وفي هذا الجو الارهابي انكمشت القصيدة السياسية في الصحافة واتخذت طابعا آخر مرةً بالتغني بأمجاد العرب ومفاخرهم وتارة اخرى تصف تأخر العرب وما وصلوا اليه بعدما كانوا سادة الامم • هذه النغمة في الشعر العراقي في المجال الوطني تتألف من الشعر الذي قيل في معنى ـ القومية ـ وقد كانت هذه النغمة قبل اعلان الدستور لا حدود لها ولا اطار ، وكان مفهومها آنذاك أن يتقدم العراق وسائر البلاد العربية وتنهض من رقدتها ، لكن اعلان الدستور حدد لها مفهومها واطارها الواضح كل ذلك بفضل الصحافة التي نبهت الافكار الى ما يراد بالعرب من شر • وقد صحب هذه الحركة الوطنية طائفة من الشعراء منهم : معروف الرصافي ، والزهاوي ، ومحمد مهدي البصير ، وعبدالرحمن البناء ، وخيري الهنداوي وغيرهم •

---

(١) ديوان الرصافي ط٤ ص١١٣ دار الفكر العربي •
(٢) راجع : فصل الصحافة وتطورها •

قال خيري الهنداوي من قصيدة عنوانها ـ اين كنا واين صرنا ـ جاء فيها :ـ

قم فجند من حزمك الأجنادا　　وادع بالعزم وامتطيه جوادا
واردع الروع واقتحم غمرات الـ　　ـموت واملأ صدر الفضاء طرادا

* * *

صاح طال القعود في ظلمات الهو　　ن فاقدح من للانهوض زنادا
وتذكر آباء آبائك الصيـ　　ـد وما قلدت به الاجدادا [1]

وقد تمثلت الروح القومية المخلصة في شعره عندما يفخر بقومه العرب متغنيا بامجادهم ، وشدة بأسهم في القتال . جاء في قصيدته ـ اين قومي ـ :

اين قومي وهل ترى غير قومي　　امة تصدع الصفا والحديدا ؟
اين قومي ابناء قحطان حازوا　　طارف المجد والعلاء التليدا ؟
شهد السيف انهم امة الحرب　　اذا هزت الكماة البنودا

* * *

ان ظني واكبر الظن حق　　ان قومي لا يرتضون القعودا
يتخطون بالقواضب حدا　　للعدو الذي تخطى الحدودا [2]

ولك ان تقرأ قصيدته بعنوان ـ استنهاض الامة العربية ـ لتراه يذكر الاباء والاجداد يوم عزهم وسطوتهم قال :

نحن ابناء قادة الناس واليو　　م تركنا منا اليها القيادا
بعد ان لم ندع من الارض شبرا　　لم تطأه الجيوش منا جهادا
فملأنا السهول خيلا ورجلا　　وارتقينا بخيلنا الاطوادا

(١) مجلة تنوير الافكار (العدد الاول) ص٣١ عام ١٩١٠م .
(٢) جريدة صدى الاسلام ـ عدد ٧٩ السنة الاولى ١٩١٥م .

سل جميع العباد عنا اذا شئت وسل ان اردت عنا البلادا

* * *

اصبحت خيلنا باندلس فأر | تج قطرا وضاق عنها وهادا
واناخت على مرابع قسطن | طين فانقاد اهلها استعبادا

ثم يختتم قصيدته بقوله :ـ

نحن قوم نريدبالناس خيرا | أوجد الله خلقه ايجادا[1]
قد طبعنا على الفضائل لما | ليس نعري لغير ذاك الجيادا

ثم استمع الى الشاعر ـ محمد السماوي ـ في قصيدة عنوانها ـ دعوة العراقين ـ جاء فيها :ـ

وا لهفتاه على العراق | اما به رصد لعالم
يا قومنا ماذا القعود | اما بكم للعلم قائم
نهضت بنو الدنيا وانتم | جاثم في اثر جاثم
انتم بنو القوم الالى | سبقوا فليس لهم مقاوم
حازوا الفواضل غير مكترثين في خز الغلاصم
فتبعوهم فالاراقم | لم تلد الا الاراقم
وتقدموا للفضل ان الفضل ذو بشر لقادم
وعظوا نفوسكم | وعضّوا نادمين على الاباهم[2]

وهذا الشاعر العراقي محمد الهاشمي[3] ينشر قصيدته ـ لغة العرب ـ في مجلة لغة العرب فتثير دويا في الاوساط القومية، وتهز اركان الدولة العثمانية ، فتودع الشاعر في السجن لافتخاره بلغة آبائه واجداده

---

(١) جريدة صدى الاسلام ـ عدد ١٣٣ السنة الاولى ١٩١٥م ٠
(٢) جريدة الرقيب عدد ١٣٣ السنة الاولى ٠
(٢) شاعر وصحفي ٠

وتنديده بالسياسة العثمانية • جاء فيها :ـ

الجـــائرون بحكمهم اهلوك ظلموك اذ خمدوا ومـا رحموك
كنت الملكية في اللغات وانمـــا كـان الملوك على الانـام ذويك
ابكيك مما يعتريك واننـــي ابكي زمـــانهم كما ابكيـــك
وسعت رصانتك الكتاب فما لهم جهلوا الكتاب وما لهم جهلـوك
أنسيت ايـــام الرشيد ام انثنـى منك الفؤاد الى الامين اخيـــك

★ ★ ★

عذلي اوجهه الى العـــرب الالى تركوك (والترك) الالى تركـوك
جهلوك (يا ام اللغات) جميعهم ولقـد شناك بنوهم وبنـــوك
تركوك (يا لغة النبي) وآثـروا في المسلمين سياسة التريـــك

★ ★ ★

ثم ينتقل الى وصف آلام العرب في اقطارهم لهذا الامر الجلل ليشير الى الرابطة العربية التي تربط هذه الاقطار فيقول :

ونعتك مصـــر والشآم وبعدهـا امسى العراق بدمعـــة يرثيك
حتى م يا شعب العراق اراك في لين الذليل وذلة المملــــوك
في امس فيك خلائق وعروشهـم كم فيك هذا اليوم من صعلوك[١]

وعندما قرأ الناس هذه القصيدة في هذه المجلة ، واصبح لها صدى في الرأي العام انبرى الشعراء يعبرون بقصائدهم عن هذا المعنى ، منهم الرصافي الذي قال بعنوان ـ سياسة لا حماسة ـ مطلعها :

الشـــعر مفتقر مني لمبتكـــــر ولست للشعر في حال بمفتقـر

ومنهـــا :

---

(١) مجلة لغة العرب العدد الخامس ص٢٣٣ عام ١٩١٣م •

وهي ان شئت مني ادمع غـــزر ابكي بهن على ايامنا الغـــررِ
ابكي على امة دار الزمان لهـــا قبلا ودار عليها بعـــد بالغـــيرِ
كم خلّد الدهر من ايامهم خبرا زان الطروس وليس الخبر كالخبرِ
ولست اذكر الماضين مفتخـــرا لكن اقيم بهم ذكرى لمذّكـــرِ

* * *

لهفي على العرب امست من جمودهم حتى الجمادات تشكو وهي في ضجر
اين الجحاجح ممن ينتمون الى ذؤابة الشرف الوضاح من مضر

* * *

يا ايها العرب هبّوا من رقادكم فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطرِ
كيف النجاح وانتم لا اتفاق لكم والعود ليس له صوت بلا وترِ
ما لي اراكم اقل الناس مقـــدرة يا أكثر الناس عداً غير منحصرِ (١)

كما كان الشعراء يحنون الى بلاد العروبة ، ويقتنصون المناسبات التي تحل فيها ليسجلوها على صفحات الجرائد لاحساسهم ـ اعني الشعراء ـ بان البلاد العربية كلها اسرةٌ واحدةٌ ، لها كيانها ، ومقوماتها ولها تاريخها ، كما وان مصائبها واحدة وان بعدت الاوطـــان وجالت الحدود . وفي ذلك يقول محمد الهاشمي بعنوان ـ الى مصر ـ :ـ

يا مصر هـــل لي مورد من نيلك الصـــافي الغزيـــر
اشـــفي بـــه ظمأي واطفـــيء غلتـــي ذات الســـعير
كم لي الى مصـــر بكـــا والليـــل مســـدول الستور
يا مصر ان يســـلُ اللسان فمـــا ســـلا يوما ضميري
شـــع الســـبيل على أســـير البعـــد أيام المســـير (٢)

والقصيدة طويلة تزيد على المئة بيت .

---

(١) مجلة لغة العرب العدد السادس ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ عام ١٩١٣م .
(٢) مجلة لغة العرب ـ العدد العاشر ـ ص٥٠ عام ١٩١٤م .

لكن هذه الدعوة القومية والوطنية اخذت تكبت اثناء الحرب العالمية اكراما للدولة العثمانية المسلمة • فكبت الشعراء احاسيسهم ونزعاتهم الوطنية متأثرين بالجامعة الاسلامية التي دعت الى جمع شتات المسلمين تحت ظل الخلافة العثمانية ، لذا نجد الشعر العراقي في هذه الفترة من سنوات الحرب يستمد اصوله من الدين (لان الشعراء كانوا يعتبرونه جزءا من القومية العربية وقاعدة مهمة من قواعده)[1] • وقد اوقف الشعراء العراقيون شعرهم والادباء ادبهم للدفاع عن الدولة العثمانية حامية الدين •وقد رافق هذه الحركةشعراءكثيرون من اهمهم عبدالرحمن البناء ، وشكري الفضلي ، والزهاوي ، وناجي القشطيني ، ومعروف الرصافي ، معلنين على صفحات الجرائد صيحاتهم للجهاد• قال عبدالرحمن البناء بعنوان ــ ونادت يا رشاد ــ :ــ

أ أصبح ماء دجلة غير ماء ... أم الاجسام حل بها اعتلال

* * *

فهلا قد علمتم كيف اودى ... باندلس ومصر الاحتلال
وقفقاس وايران وفاس ... وتونس كيف ادى الاعتزال
جوامعكم غدت بيعا وفيها ... سما فخرا على الحق الضلال
أيرسم فوق محراب صليب ... وفي افق الهدى يزهو الهلال
فحاشا بل هلال الدين باد ... وغايته التجلي والكمال
كأني بالليوث الصيد صالت ... على الكفار فانفرج المجال[2]

وهذا الشاعر شكري الفضلي[3] يصور لنا المعركة وما فيها من ابطال شجعان يحملون السيوف وهم يتهافتون على الموت ليعيشوا احرارا•

---

(١) يوسف عز الدين ــ خيري الهنداوي ــ حياته وشعره ــ ص١٦ •
(٢) جريدة صدى الاسلام العدد ــ ٤٧ ــ عام ١٩١٥م •
(٣) شاعر وصحفي ، ولد في بغداد عام ١٨٨٢م وتوفي عام ١٩٢٦م •

قال تحت عنوان ـ الدفاع عن الخلين ـ :ـ

نهضنـــا وللدهم العتاق صهيل
وللبيض في هـام الكمـاة سليل
نهضنـــا وحشو الجو زأر مدافع
تهـــول وملء الخـافقين عويـل
نهضنـــا وكل البر خيل عوابس
ورجل طغـــاة للقتال تسيـل
ترانا اذا فلّ الطعـان سلاحنـــا
أسود عليهـــم بالاكـــف نصول
فأنّا لنهوى موت عز مؤبـــــد
ونأبى حياة الذل وهي تطـول(١)

ثم استمع الى الزهاوي يمـــدح قائد الجيش التركي (انور) ثم يختمها بذم الانكليز وغدرهم تحت عنوان ـ ايها الجيش ـ فيقول :ـ

الا ايها الجيش اللهام المعسكر — تقدم فأنت المستطيع المظفـــر
تقدم تقدم للامـــام مهيمنـــا — تقدم ولا تحذر فخلفك انـــور

* * *

رعى الله للدنيا وللـــدين انوراً — فقـد سلّه سيفا له النصر جوهر
أ أنور انت اليوم درع لامـــة — يجاريها ثلثا الانام واكثـــر
وانك سيف الله يمحو به العـدى — ويخذلهم حتى يموت التجبـــر
قدمت على رحب لبغداد إنّهـا — لفضلك في هذي الزيارة تشكر

* * *

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ـ ٧٥ ـ عام ١٩١٥م .

يؤمل فيك المسلمون تقدمـــا يرجّ العدى حتى يولوا ويدبروا
وانك يا جيش الهلال على الذي يؤمل فيك المسلمون لتقـــدر
قد كنت في الماضي عليهم مظفرا وانك في الآتي كذاك مظفـــر

* * *

وما هذه في الـدهر اول مـــرة رأى الحقَ فيها الانكليز فانكروا
بَغَوا مرة من بعـد اخرى فنالهم اذى البغي والتاريخ امر مكرر

* * *

اذا داس رجل الانكليز ربوعها فلا خندف ترضى ولا الأوس تعذر[١]

ثم تقرأ قصيدة الشاعر (ناجي القشطيني) يعلن فرحته بانتصار الاتراك على الانكليز بعد محاصرة الكوت عام ١٩١٦م قـال تحت عنوان ـ نفثة مصدور ـ :

الا في سبيل الله هل من مجاهـد يجاهد عن اوطانه والعقـائد ؟
وهل من فتى شاكي السلاح يذود عن شريعة طه كل علج معاند ؟
ويحمي حمى الاسلام من كل معتد ويدرأ عنه عاديات الاباعـــد ؟
فهذا عدو المسلـمين تدفقـت اسـاطيله مشحونة بالمكايـــد
تصب عليهم نارها وعذابهـــا وان لجأوا للدور او للمساجد![٢]

الى ان يقول :

لقد حسبت انكترا انهم مضـوا ولم يتركوا اشبالهم في المراصـد
وسارت كما شاءت وشاء لها الهوى ولم تدر كم ليث بها غير راقـد
وما هي إلاّ جولـة ثم اصبحت كتائبهـــا ما بين ميت وشـارد !!
ثلاثون الفا كان (في الشط)هلكهم وعشرون الفا اصبحوا في المصائد
وطأطأ (تاونزند)[٣] للموت رأسه وما نقذ الحيات جلد القنـافد !

---

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ـ ٢٦٠ ـ عام ١٩١٥م ٠
(٢) ديوان الشاعر المخطوط في مكتبته الخاصة ٠
(٣) قائد الجيش البريطاني في الكوت ٠

ومنهــا :

غنيمة يوم لم يرَ الناس مثلـه ... بـه ذكـروا أيـام سـعد وخـالد
وقد شاهدوا في الكوت للنصر مشهدا ... سيبقى مدى الايام خير المشاهد !!

وقد استمرت القصيدة على هذا النهج حتى احتلال بغداد من قبل الانكليز عام ١٩١٧م . فاذا بالقصيدة تتجه الى مدح الانكليز ولم يثبت اكثر الشعراء على رأيهم . لقد تقلب الشعراء في الامور السياسية والرأي تحت تأثير العواطف العارضة ، لان الباحث يجد بين اشعارهم نقدا عنيفا للاتراك من جهة وتحسرا مريرا على عهدهم من جهة أخرى ، ثم نجد الشعراء أنفسهم يمدحون الانكليز من ناحية ويندّدون بالظلم والطغيان من ناحية اخرى . وهذا ما تزخر به جريدة صدى الاسلام المعبرة عن اهواء الدولة العثمانية وميولها ثم نجد في الجرائد الموالية للانكليز كالعرب ودار السلام ومجلة دار السلام قصائد للشعراء أنفسهم (١) فلنستمع الى ابن الاريحية في قصيدته بعنوان ـ الا ايها العرب الكرام ـ حيث يقول :

الا ايهـــا العرب الكــــرام ... الى كم ذا التغافل والمنـــام
افيقوا وانهضوا للمجد جمعـا ... فمــا يجديكم الا القيـــام

* * *

يميت الجوع آلافا ويُفنـــي ... (جمال) (٢) ما حوت حلب وشام
وكم للترك افعـــال قبـــاح ... واعمــال احلّوهــا حــرام
اساموا العرب فيها واستهـانوا ... ولم يعرف لهم فيها ذمـــام
لذا قام الشريف ابو المعـــالي ... (حسين) (٣) واستفز به الهيـــام

(١) راجع : فصل اهم الصحف .
(٢) أحد الولاة الاتراك . عرف بظلمه وقسوته حتى لقب (بجمال باشا السفاح) .
(٣) يريد (الملك حسين بن علي الهاشمي) .

اعينوا بالقنا حمقاء ملك ... له في الحرب افعال جسام
وكونوا في الوغى جنبا لجنب ... فان النصر آخره الختام[1]

ثم استمع الى (ابن ماء السماء) في قصيدته ـ ليلة سقوط بغداد ـ بيد الانكليز حيث يقول:

ما بال بغداد قد ضاقت بها الحال ... وخف بالاهل منها اليوم ترحال
بالامس كانت بقايا الجند رابضة ... فيها وللناس اشغال واعمال
وكان للترك فوضى من تجبرهم ... واليوم للترك لا قيل ولا قال
كانت بهم غرفات الظلم شامخة ... ما اصبح الصبح الا وهي اطلال
من جبهة الشرق وافتهم مصائبهم ... فخف منهم لنحو الغرب اثقال
من سوح معمعة خرّت بساحتها ... منهم نفوس نفيسات وامال[2]

وهذا ابن بابل ـ محمد مهدي البصير ـ يقول في قصيدته ـ الليل والصباح ـ :ـ

رب ليل كلل النجم له ... فوق عرش الافق تاجا فانعقد
ماجت الظلماء امواجا به ... فحسبت الشهب اذ تطفو زبد
رام ان يغرق فيها بدره ... فأقامت دونه الانوار سد
تخذ الجو له عاصمة ... وافر الحكم فيها واستبد
فغزاه الصبح في جيش السنا ... وشعاع الشمس يتلوه مدد
وقضى اذ حكم الضوء به ... لعرين الافق في نفي الاسد
مثل جور الترك قد كان لذا ... شمله مثلهمو صار بدد
فكأن الافق اذ تقهره ... حملة الظلماء شعب يضطهد[3]

---

(١) جريدة العرب ـ العدد (٣١) في ٦ ايلول عام ١٩١٧م .
(٢) جريدة العرب ـ العدد (٣٢) في ٧ ايلول عام ١٩١٧م .
(٣) جريدة العرب ـ العدد (٩٧) في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧م .

وهذا الشاعر كاظم الدجيلي في قصيدته ـ الزمان العتيد ـ حيث يقول :ـ

هاج وجدي ذكرى الزمان العتيد ... وشجاني فقد السري الرشيد
وعراني من دهشة الحال ما لم ... يعرني في زمان عبدالحميد
لست ان قلت بالمبالغ وصفا ... فلقد جئتكم بقول سديد
انا من عاش في العراق غريبا ... انا حرّ مقيد بقيود[1]

الواقع أن أكثر هؤلاء الشعراء صوروا لنا حياتهم النفسية المضطربة وقد كانوا مدفوعين بحب المال والجاه من قبل الاحتلال وفي هذا يقول الدكتور يوسف عزالدين : (اما الذين مدحوا الانكليز فقد كانوا خائفين وجلين مضطربين ، صوروا الحالة النفسية المضطربة التي تعقب الحروب ورسموا لنا المثل العليا والاهداف الاجتماعية السامية التي تختلف باختلاف الحاكم)[2] . لذا نرى الشعراء بعد أن هدأت الامور واستقر الوضع اندفعوا كما يظهر بدافع وخز الضمير مع صفوف الوطنيين فكانوا طليعة شعراء ثورة العشرين . تلك الثورة التي أقضت مضاجع الانكليز وقضت على احلامهم لان من طبيعة الشعب العراقي انه لا ينصاع لحاكم جائر ، شعب يعشق الحرية ويقدسها . فهذا الشاعر محمد مهدي البصير يهيب بالعراقين بالثورة على الاحتلال الانكليزي . شاحذا نفوس القوم لفك الاغلال وبذل النفس والنفيس لتحرير الوطن . اسمعه يقول :

هدموا السلام فوطدوا آمالهم ... بحماية الارعاد والابراق
ليحطم المستعبدون قيودهم ... فالجور أيأسهم من الاعتاق

---

(١) مجلة دار السلام ـ العدد السادس ـ ص ٢٠١ في ٢٣ آذار عام ١٩١٩م .

(٢) يوسف عزالدين ـ الشعر العراقي الحديث ـ ص١١٤ .

ولسوف اكسر غل عنقي جاهدا ان لا اسلمها الى الاطـــواق
انا يا رفقي لا اريد ســلامتي فتذكروني ان هلكت رفاقــي

الى ان يقول :

وعلى الدم العربي فيّ فواجبي تضمخ مجدي بالدم المهراق[1]

وهو القائل في قصيدته الثورية (وابيك أنّ الحق غالب) :ـ

بين الاســنة والقواضـــب شـــرف المبـادىء والعواقب
اهـــلاً بأبطـــال البلاد حماتها عنـــد النوائـــب
ردوا لنـا الحق الـــذي ما ان نـــزال به نطالـــب
ردّوه أن ســـــيوفكم عوذ له من كل غاصـــب
ظنـــوا العـــراق فريسة وقد التقت فيهـــا المخـالب
أيضـــام شعـــب باسل جمّ المـآثر والمنـاقب[2]

وهو القائل في قصيدته ـ لبيك ايها الوطن ـ :

ان ضـــاق يا وطني عليّ فضاكا
فلتتسع بي للامـــام خطـــاكـــا

اجرى ثراك دمي فان انا خنتـــه
فلينبذني ان ثويـــت ثراكـــا

بك همت بل بالموت دونك في الوغى
روحي فداك متى اكون فداكـــا

اتراك تضمـــن لي كرامة مصرع
فيه ابيت مجـاورا صرعاكـــا

---

(١) محمد مهدي البصير ـ البركان ـ ص ٤٨ عام ١٩٥٧م بغداد .
(٢) المصدر السابق ص ٥٨ .

هب لـي بربك موتـة تختارهـا
يا موطني اولست من ابناكـا [1]

وهذا عبدالرحمن البناء من شعراء الثورة العراقية المعروفين الذي كان ينشر قصائده في صحف الثورة حيث يقول :

الا هكذا من رام ان يتحـررا
يطالب ومن يسكت يعش متأخـرا
نهضنا فكسرنا القيود بهمـة
لها قد غدا جمع العـدو مكسرا
نهضنا الى استقلالنا بتكـاتف
نعمر مجدا قبلنا قد تبعثـرا [2]

وهذا الزهاوي[3] يرثي الشهداء ويصف موقعة الرميثة بين الابطال العراقيين والانكليز حيث يقول :

مـاذا بضـاحية الرميثـة
مـن غطـارفة جحاجح ؟
ولمـن اقيمـت في البيـوت
عـلى كرامتهـا المناوح ؟
قـوم الى دار البـوار
مشـوا فمن غـاد ورائـح

(۱) جريدة الاستقلال ـ العدد (٢٦) عام ۱۹۲۰م ٠
(۲) عبدالكريم الدجيلي ـ محاضرات عن الشعر العراقي ـ ص٥١ ٠
(۳) من الغريب أن الزهاوي عاد وهجا ابطال هذه المعركة عند قدوم المندوب السامي ـ برسي كوكس ـ الى العراق وهذا يعود الى قلق الشاعر وحبه للمال والجاه لاننا نراه بعدما يئس من الحصول على المركز عاد يحن الى عهد الاتراك ٠ والزهاوي لا يقاس بمن ذكرنا من الشعراء ٠

طلبـــوا مســاواة الحقـوق
فطوحت بهـم الطوائـــح

فزكت دمـــاء قد اريقـت
فـــوق هـــاتيك الاباطـــح

ثم يصف الثوار وشهامتهم والانكليز وصرعاهم فيقول :

ومطوحـــين بنفســهم
خوف المـــذلة في المطـــاوح

ترك العـــدى فتيانهـــم
صرعى على ســـوح المسارح

وكــــأن طيــــاراتهـم
فـــي الجـو عقبـــان جوارح[1]

وهكذا وقف الشعر معلنا الحرب على الانكليز لاســترداد حق مهضوم وحرية مسلوبة . حتى انتصرت تلك الصيحات بتأسيـــس حكم اهلي ، وانتخاب فيصل ملكا على العراق . وقد عقد العراقيون على هـــذا الحكم آمالا جساما ، غير انهم اصيبوا بخيبة امل مريرة ، لارتماء الحكام باحضان الانكليز ، والسير في ركابهم . فكان الشعراء لسـان هذه الامة الناطق وقلبها المعبر ، تارة بشكل سخرية لاذعة من الحكومة ووزرائهـــا ونوابها ، وتارة اخرى بالالم والحسرة لمن جعل من نفسه وصيا على هذا الشعب في توجيه سياسته . كل ذلك بالحان وطنية رقيقة الاسلوب سهلة المعاني وكان الرصافي هو السباق الى تسجيل هذه الظواهر حيث يقول :

انا بالحكومـــة والسياســة اعرف
أ ألام في تفنيدهـــا وأعنـــف

---

(١) ديوان الزهاوي ص ١٧٦ ـ المطبعة العصرية ـ مصر عام ١٩٢٤ .

سأقول فيها ما أقول ولم اخف
من ان يقولوا شاعر متطرف
هذي حكومتنا وكل شموخها
كذب وكل صنيعها متكلف

* * *

ثم يصف الدولة ودستورها ونوابها فيقول :

علم ودستور ومجلس امة
كل عن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنا سوى الفاظها
اما معانيها فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعلم انه
وفقا لصك الانتداب مصنف
من ينظر العلم المرفرف يلقه
في عز غير بني البلاد يرفرف
من يأت مجلسنا يصدق أنه
لمراد غير الناخبين مؤلف
من يأت مطرد الوزارة يلفها
بقيود اهل الاستشارة ترسف (١)

من كل ما تقدم يظهر لنا ان الشعر السياسي كان قائدا ورائدا في جميع معاركنا وقضايانا لم يتخلف عن معركة ولم ينفصل عن قضية ،وكان

---

(١) ديوان الرصافي ط٤ ص ٤٦٣ دار الفكر العربي .

له الدور الخطير في التعجيل بالثورة على المستعمرين واعوانهم حتى تم لنا النصر .

(القصيدة الشعرية في الاتجاه الاجتماعي)

في كلامنا عن القصيدة السياسية في الاتجاه الصحفي قلنا ان المشكلات السياسية قد استحوذت على جزء كبير من تفكير الشعراء وشغلتهم عن المشكلات الاجتماعية . لانها هددت كيانهم وهزتهم هزا عنيفا ، لذا كانت النواحي الاجتماعية تحتل المكانة الثانية . وقد كان الشعراء قادة الاصلاح الاجتماعي فهم اول المرددين لهذه النغمات التي لا تقل قوة وصراحة عما عالجوه في النواحي السياسية . وقد اتسع صدر الصحافة لهذه الصرخات الاجتماعية واحتضنتها على صدر صفحاتها تحض الجمهور على التقدم وتحثه على التجدد . واول هذه الصرخات تلك التي أطلقها الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) في جريدة المؤيد المصرية بعددها ـ ٦١٣٨ ـ من عام ١٩١٠م تحت عنوان (المرأة والدفاع عنها) . فهاج لها الرأي العام العراقي وسارت المظاهرات الصاخبة ضد الرجل متهمة اياه بالخروج عن الدين والمروق عن التقاليد . كما ان الزهاوي في الوقت نفسه كان يدعو الى تحريرها وفك اسرها من قيودها عندما كان يدرّس في مدرسة الحقوق في بغداد . وكان رجال الدين على رأس هؤلاء المنددين مما اضطر (ناظم باشا) والي بغداد آنذاك تلبية لالحاحهم الى اقصاء الزهاوي من مدرسة الحقوق . غير انه تنصل من مقاله الذي نشره على صفحات المؤيد خوفا من غضب العامة التي ارادت قتله ، لذا كتب في جريدة الرقيب مقالا تحت عنوان ـ شكوى الزهاوي الى ناظم الحكومة في بغداد ـ جاء فيه :ـ

(اسمع ان احد المشائخ المتلبسين بالتقوى في بغداد ، البلد الذي يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقي ، اخذ يدير رحى فتن جسام

فيحرض الجاهلين على الايقاع بي باسم الدين ، البريء من الظلم جزاء مقالة اجتماعية نشرت بامضائي في المؤيد الاسبوعي كما في تنوير الافكار، دفاعا عن المرأة . وهي عدا كونها شبهات ضعيفة استفهامية تزول من نفسها ولم يتعين بعد أكاتبها أنا أم هي مزورة على لساني من عدو لي في العراق ...) [1] لكن هذا لم يثنه عن عزمه وقد شملت المعركة بين القديم والجديد معظم النواحي الاجتماعية وحفظت لنا الصحف صورا دقيقة لهذه المشاكل . وكانت المرأةوتحريرها من ابرز الموضوعاتواكثرها اثارة للجدل . انقسم الشعراء من اجلها الى فرقتين فرقة تدعو الى التجدد والتقدم والتحرر ، وفرقة تبغي المحافظة على كل ما هو قديم . وكان الزهاوي والرصافي وخيري الهنداوي يمثلون الفرقة المتحررة .والشاعر عبدالحسين الازري ومحمد السماوي وحمزة قفطان وعبدالرحمن البناء يمثلون الفرقة المحافظة . وقد تأثر دعاة السفور وتحرير المرأة بالاراء التي اطلقها (قاسم امين) منادين بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل وتعليمها . غير انهم جوبهوا بالنقد اللاذع والتجريح شأن كل مصلح ينادي بفكرة لم يألفها المجتمع . اما المحافظون فقد رأوا في انطلاق المرأة من بيتها ما يهدد الكيان الاجتماعي والخلق العام [2] . اشتدت المعركة الفكرية بين الفريقين فقصيدة تأخذ بقصيدة ورأي يعارض نظيره . ولنستمع الى الزهاوي في قصيدته ـ هي الحقيقة ـ التي نظمها حين قامت الضجة عليه حيث يقول :ـ

هي الحقيقة ارضاها وان غضبوا
وادعيها وان صاحوا وان جلبوا

---

(١) جريدة الرقيب ـ العدد (١٧٢) السنة الثانية عام ١٩١٠م .

(٢) راجع يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي حياته وشعره ـ ص٣٢ .

اقولهـــا غير هياب وان حنقـوا
وان اهـانوا وان سبـوا وان ثلبوا

ان يقتلوني فكم من شاعر قتلـوا
أو ينكبـوني فكم من عالم نكبوا

ولست اول من ابدى نصيحتـه
لقومـه فآتاه منهم العطـب

الى ان يقول :ـ

هو التعصب قد والله اخركـم
عن الشعوب التي تسعي فتقترب (١)

لقد بقي الشاعر مثابرا ومعتزا برأيه في تحرير المرأة ولعلك تحس مدى ايمانه بهذه الدعوة ، وتسفيه رأي خصومه الذين زعموا ان السفور خروج على الفضيلة وانحدار الى الرذيلة حيث يقول :ـ

اسفري فالحجاب يا ابنة فهـر
هو داء في الاجتمـاع وخيم

كل شيء الى التجـدد ماض
فلماذا يقر هـذا القـديم

لقـد اعوج بالحجـاب لعمري
امر دنيانا فهـو لا يسـتقيم

انزعيه ومزقيه فقد انكره العصـر ناهضـا والحلوم

اسـفري فالسفور للناس صبح
زاهر والحجاب ليـل بهيـم

---

(١) ديوا نالزهاوي ص٣٠٦ المطبعة العربية بمصر .

لم يقل بالحجـــاب في شكله هذا
نبــي ولا ارتضـــاء حكيـــم[1]

كانت هذه صرخات مدوية فيها صدق العاطفـــة واندفاع لقلب مفاهيم المجتمع البالية التي ظن دعاة الحجاب انها من اسس الفضيلةوالدين، لكن الزهاوي كان في جوابه لهم يقيم الدليل على بطلان رأيهم ٠ استمع اليه يخاطبهم :ـ

عزوا الحجاب الى الكتـــا
ب فليتهـــم قـــرأوا الكتابـــا

ان التعصـــب مانـــع
ان تبصر العـــين الصوابـــا

زعموا ان في السفور سقوطـــا
في المهـــاوي وان فيه خرابا

واذا ما طـــالبتهم بدليـــــل
يثبت الدعوى اوسعوك سبابا

كذبوا فالسفور عنوان طهـــر
ليس يلقـــى معـــرة وارتيابا[2]

ثم ننتقل الى معروف الرصافي فنجد له صرخات لا تقل عن صرخات الزهاوي ، فقد انضم الى لواء المعركة معلنا سخطه على الجمود والتشبث بالعادات البالية ، وحبس المرأة في بيتها حيث يقول بقصيدته ـ المرأة في الشـــرق :ـ

---

(١) اللباب ص٢٣٥ـ٢٣٦ مطبعة الفرات ـ بغداد عام ١٩٢٨م ٠
(٢) الاوشال ص١٨٠ ، ناصر الحاني ـ محاضرات عن جميل صدقي الزهاوي ـ ص٥٤ـ٥٥

الا ما لاهل الشرق في برحـــاء
يعيشـــون في ذل به وشقـــاء

لقد حكموا العادات حتى غدت لهم
بمنزلة الاقيـــاد للاســراءِ

* * *

لقـد غمطوا حق النســاء فشددوا
عليهـن في حبس وطول ثــواءِ
وقـد ألزموهن الحجاب وانكروا
عليهـن إلاّ خرجـة بغطـــاء
اضاقوا عليهن الفضاء كأنهــم
يغارون من نـور به وهـواءِ[1]

وقد اثارت هذه القصيدة حفيظة جمهرة من الشــعراء المحافظين معلنين سخطهم واستنكارهم على الرصافي ومنهم الشاعر عبــدالحسين الازري[2] في قصيدته ـ الكتاب والحجاب ـ وقد فند فيها آراء الرصــافي داعيا الى الحجاب والتمسك به ، لانه من اصول الدين قال :ـ

أمــازل الخفــرات بالزوروراء
لا زعزعتك عواطـف الاهــواء

* * *

نص الكتاب على الحجاب ولم يبح
للمسلمــين تبرج العــذراء
مــاذا يريبك من حجــاب ساتر
جيـد المهاة وطلعـة الذلفـاء

(١) جريدة الاستقلال العدد ٦٠ عام ١٩٢٢م
(٢) شاعر وصحفي ولد في بغداد ١٨٨٠م-١٩٥٤م .

مـــاذا يريبك من ازار مـــانع
وزر الفؤاد وضلـــة الاهـــواء

ما في الحجاب سوى الحياء فهل من
التهذيـب ان يهتكن ستر حيـــاء

هل في مجالسة الفتاة سوى الهـوى
لو اصـــدقتك ضمائر الجلســـاء

شيد مدارسهن وارفع مســـتوى
اخلاقهـــن لصالح الابنـــاء [١]

وهذا الشاعر (حمزة قفطان) هو الاخر ينبري للرد على الرصافي، في قصيدته (المرأة في الشرق) وعنوان قصيدة القفطان ـ العلم والحجاب ـ جاء فيها :ـ

طغى بيننا تيارهم حين اهملـــوا
فـــال لجرف العلم والعلمـــاء

* * *

حكمتم على الشرق احتساء دوائـكم
وانتم على ذا الشـرق أكبر داء

ثم يخاطب الرصافي بقوله :ـ

سمعناك تنعي اليوم للشرق اهلـــه
وتدعو بني الدنيا نعـــاء نعـــاء

نقمت على العادات فيـــه وانهـا
بزعمـــك كالاغـــلال للاسراء

(١) جريدة الاستقلال العدد ٦٤ عام ١٩٢٢م

فما يمنع التحجيب والعلم نوره

اذا شع لم يمنعه سجف خبـاء

ايمنع ان تمشي الى العلم حـرة

محجبـة فـي برقـع ورداء[1]

ثم يقف (خيري الهنداوي) مدافعـاً عن معروف الرصافي رادا الشاعر (محمد السماوي) وجماعته معلنا بطلان زعمهم مـذكرا اياهم بالنساء المسلمات اللواتي كن يشاركن الرجل في المجالـس والحروب حيث يقول :ـ

مقـال الحـق اجدر باتبـاع

واولى من معـارضة الثقـات

ولكن التعصـب وهو اعمـى

يضل ذوي العقول الراجحـات

يريها الحق غير الحق جهـلا

ويلزمهـا اتبـاع الترهات

أيا مـن ردّ (معروفاً) رويـداً

لقـد اخطـأت مرمى الراميات

* * *

ارضـى يا محمـد يا بن ودّي

بجهـل نسـائنا المتسترات

وهن جهلن اصل الدين حتـى

جهلن الفرض من سنن الصـلاة

---

(١) مجلة اليقين السنة الاولى العدد ١٣ ص٣٩٠ عام ١٩٢٢م

تقول بنقصهن اذن فلم لا
تكمل بالعلوم الناقصات

فهل كانت ـ سكينة ـ[1] حين تبدو
وتنتقد الكلام من السراة

وهل عدت ـ صفية ـ[2] حين قامت
بقتل العلج كالمتبرجات

وام المؤمنين غداة سارت
على جمل لتفتك بالجناة [3]

وقد كان على رأس المناوئين لحركة تحرير المرأة واقدمهم واشدهم تحاملا على دعاة السفور وتحرر المرأة ، الشاعر (عبدالرحمن البناء) فلنستمع اليه بقصيدة عنوانها ـ قرة العين ـ مطلعها :ـ

دنا اجل الفراق فودعيني
وداعا كي تقر به عيوني

ومنها :

أذل الله اقواما ارادوا
خروج المحصنات من الحصون

---

(١) زوجة مصعب بن الزبير ، ومن شهيرات النساء المتعلمات في العصر الاموي . راجع : المدخل في تاريخ الحضارة العربية . ناجي معروف ص١٧٧ بغداد عام ١٩٦٠م .

(٢) صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم : سيدة قرشية ، شاعرة باسلة ، أسلمت قبل الهجرة وهاجرت الى المدينة ، وهي التي قتلت الجاسوس اليهودي أثناء معركة (أحد) ولها مراث رقيقة وفي شعرها جودة . راجع : ـ الاعلام ـ لخيري الدين الزركلي ط٢ ج٣ ص٢١٧ .

(٣) يوسف عزالدين ـ خيري الهنداوي ـ حياته وشعره ـ ص٢٣٢

يقولون القناع اذا تدلّى
تصير البنت في قيد الرهين

يقولون القناع اجلّ خطب
على الغيداء واضحة الجبين

يقولون القناع لها حرام
بأي شريعة وبأي دين ؟

لقد كذبوا وايم الله كذبا
يشيب لهوله رأس الجنين (١)

وله قصيدة بعنوان ـ الحياة المجهولة ـ جاء فيها :ـ

منعت عن الانظار حتى انها
تخذت لها ظلا هناك ظليلا

لولا حجاب حاجز من دونها
وجدت الى كشف الظنون سبيلا

لو انها اومت بمعصم كفها
تركت عزيز العاشقين ذليلا

تختال عزاً في جلال جمالها
في جنب زوج لم تجده ملولا

منحت به استقلال خير ادارة
لما رأت تحريرها مقبولا

تُنهي وتأمر في ادارة بيتها
وتميز التحريم والتحليلا (٢)

---

(١) مجلة تنوير الافكار ـ العدد العاشر ـ عام ١٩١٠م
(٢) مجلة دار السلام العدد ـ ١٤ ـ ص٣٢٦ عام ١٩١٩م

استمرت المجادلات بين الخصوم والانصار وكانت مقاومة رجال الدين والعامة قد بلغت اوجها وحتى القصائد الشعبية قيلت للوقوف بوجه دعاة الاصلاح وقد لحنت وغنيت هذه القصائد وتناقلتها الاحياء الشعبية العراقية تتذرع بها للتهكم والاستهزاء بمن يرفع عقيرته للمطالبة بحريتها وهذا هو المطرب محمد القبانجي يقول :ـ

ابنيّة بنت البيت قصت شعرها
عالمودة تمشي دلوع عافت سترها
عالمودة تمشي دلوع يا رب سترك
تحفظ جميع الناس منها ومكرها

وبقي الشعراء مطالبين لاحقاق حق اهتضم على صفحات الجرائد والمجلات ولعبت الصحافة [١] دورا فعالا في تهيأة الاذهان لتحرير المرأة مما جعل بعض المعارضين يخففون من غلوائهم ويعلنون على لسان المرأة مطالبتها بحقها في اختيار شريك حياتها ويعلنون شكواها من زواجها بدون موافقتها لان المدنية الحديثة عملت عملها في نفوس المعارضين . ولعل اصدق مثل على هذا ما قاله عبدالرحمن البناء في قصيدته ـ شكوى الفتاة العراقية ـ :

مَنْ مجيري من صروف النوب
اذ تناسى فرض تهذيبي ابي
وطوى عني جهلا كشحه
ودعاني رهن قيد اللعب
كلما شاهد مني زلة
راح مشمولا بكأس الطرب

---

(١) صدرت مجلات كثيرة خلال العشرينات منها : مجلة ليلى ، ومجلة المرأة الحديثة ، وفتاة العراق ، وفتاة العرب .

وعلى انســابه عوّلنــي
ليتــه ادرك حظّ النســب

ما الــذي اشغله عني لــو
حزت قصوى ادبـي مع حسبي

ثم ينتقل الى مطالبة الفتاة بالتعليم لتأخذمكانها في المجتمع حيث يقول:

انا في المشــرق لــو علمني
فقــت بالعلم فحــول المغرب

هذبونــــي وخذوا مني العلى
ماؤكـــم في مكثه لم يعــذب

كلمــا ازددت علوما وحجى
انا لا اجحــد فضل المذهــب

انا بالعلم وجوديَ يــزهــو
مثلما الكأس ازدهت بالحبب

اخــذ العهد على غاربـــه
انا لا ادخــل باب المكتــب

ثم ينتقل الى المأساة التي حلت بهذه الفتاة حيث زوّجها ابوها بشيخ وهي في ريعانة الصبا فيقول :ـ

بل ابي بالشيــخ قد زوجنــي
أين من غــول الدنيا مهربــي

* * *

باعني ظلما الى من ليس لــي
بزواجـي عنــده من مطلــب

اخــذ الدرهم عنـــي بـدلا
فكأنـــــي سلعة المكتسب

والـــذي قد غرّه عصر بـه
اهلك الانســان حب الذهب

ليــس للآداب حــظ عنده
آه من ضيعـة حظ الادب (١)

استمر التيار في مجراه غير عابيء بصيحات المحافظين ولم يقدر دعاة الحجاب على ايقاف عجلة التطور • فقد اكتسحهم سيل المدنية وكـانت نهاية المطاف الغلبة للاحرار ومشاركة المرأة الرجـل في مختلف مناحي الحياة وذلك عام ١٩٥٨ حيث منحها الدستور العراقي حقها الطبيعي •

ثم تلي هذه الدعوة دعوة من دعوات الاصلاح ترمي الى العطف على الطبقات الفقيرة كالعطف على الفلاح والعامل ، وما يعانونه من شـظف العيش ، والشفقة على الارامل واليتامى وقد شارك في هذه الدعوة شعراء كثيرون كأحمد الصافي النجفي ، ومحمد صالح بحر العلوم ، والرصافي ، والجواهري ، ومحمد رضا الشبيبي •

ودواوينهم تعطينا الصورة الواضحة لمقدار اهتمامهم بهذه الناحية • ظل هذا الاتجاه يقوى حتى بلغ اشده عند معروف الرصافي • فلنستمع الى هذه الدعوات في قصيدته ـ ام اليتيم ـ :

رمت مسمعي ليلا بأنة مؤلـم
فالقت فؤادي بين أنياب ضيغم
وباتت توالي في الظلام انينهـا
وبت لهـا مرمى بنهشة ارقم

---

(١) مجلة الزنبقة العدد الرابع السنة الاولى عام ١٩٢٢م

فيهفو بقلبي صوتهـــا مثلما هفت

بقلب فقير القوم رنة درهـم[1]

وله قصيدة ـ اليتيم في العيد ـ حيث يقول :ـ

اطل صباح العيد في الشرق يسمع

ضجيجا به الافراح تمضي وترجع

صباح به تبدي المسـرة شمسها

وليس لها الا التوهـم مطلـع

صباح به يختال بالوشي ذو الغنى

ويعوز ذا الاعدام طمر مرقـــع

صباح به يكسو الغني وليـــده

ثيابا لهـــا يبكي اليتيم المضيـــع

صباح به تغدو الحلائل بالحلى

وترفض من عين الارامل أدمع[2]

وقد انعكست صورة الفلاح في الشعر العراقي تلك الصورة التي تدعو الى الالم والحسرة فهذا الشاعر (علي الشرقي) يسجل هذه الآلام حيث يقول :ـ

ما لهذا الفلاح في الأرض روح

اهو من معشـر بـــلا ارواح

فهو في جنـــة ينال عذابـــا

وهو تحت الاشجار اجرد ضاح

---

(١) ديوان الرصافي ط٤ ص٣٩ ـ دار الفكر العربي •

(٢) ديوان الرصافي ط٤ ص٥٨ ـ دار الفكـــر العربي ـ شـــرح مصطفى السقا •

وقرى النمل ـ لهف نفسي ـ اثرى
من قراه، الا مـــن الاتـــراح

* * *

لارعى الله معشـــرا مدنيـــا
افســـدوا عيش عامل لصـلاح

رب قصر من فـــوق دجلـة
كالطاووس للزهر ناشرا بجناح(١)

وهو القائل في قصيدته بعنوان ـ نشيد الزوايا ـ:

لا تـــأخـــذوا بخناقـــي
كم في البســـاتـــين ورْقُ

في صـــدر كل عراقـــي
اجراســـ شـــعري تـــدق

وفي احتجـــاج رفاقـــي
يشـــع نـــور وحـــق

مـــاء جرى في الســـواقي
ام ذاك فَقْـــرٌ ورق(٢)

وقد علت الصيحات المدوية باصلاح حال الطبقات الفقيرة حتى رن صداها الى اجواء المجالس النيابية . قال الشاعر حسين كمال الدين بعنوان ـ الفلاح ـ :

(١) جريدة العراق ـ العدد ١٨٩٨ السنة السابعة في ٢٧ تمـوز سنة ١٩٢٦م

(٢) جريدة العراق ـ العدد ١٩٨١ السـنة السـابعة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦م .

أنوابَنـــا هل لكم نهضة ؟
تقومــون فيهـا باصلاحنـا

فقــد كاد يهلــك عمالنـا
وأودى الطــوى بفلاحنـا

اذا مــات فلاحنـا جائعا
فلا فخــر ننجو بارواحنـا(١)

ولعل هذه القصيدة التي قالها ـ الشاعر المتألم ـ تجمل لنا آلام الشعب حيث يقول :ـ

يا شفــاء الكون في اوضاعــه
واعتلالَ النــوع في المجتمــع

اين من يشفيــه من اوجاعــه
انها تعي الطبيــب الالمعــي

* * *

فتكت في جســمه اســواؤه
فتكــة ساءت وقــد ساء المزاج

فغــدت مزمنــة" ادواؤه
ولــذا اعيــا على الطب العلاج

* * *

ليت هــذا الجهل لمــا يخلــقِ
باديــا بالســوء من اخلاقه

(١) جريدة النهضة العراقية العدد ـ ٢٧٢ ـ السنة الثانيـة في ٧ كانون الاول عام ١٩٢٨م ٠

انـــه جيـلٌ جنونٍ مطبــقٍ
ولكـــم دلّ عـــلى اطباقــه[1]

وهذا الشاعر ، حسين الحاج وهج ، يصف لنا الفلاح وما يعانيه من مصاعب سكنية ومالية حيث يقول :ـ

هـــا انا الفـــلاح مما حل بـي
ظلت ابكي بـدموع سخنـــات

كلمـــا اقصد حرثـــي فاعلا
ثبطـــت عزمي ديون باهظـات

قد لقيت العيش مراً نكـــدا
دائم الاوقـــات أبدي النفثـات

* * *

هـــذه اكواخنـــا قد بليت
فترات كالقبـــور الدارســـات

لم نجـــد فيها انيسا لا ولا
غيرَ أنـواع البلايـا كامنـــات[2]

اما المفاسد الخلقية ، والاستهتار بالقيم ، والمثل التي ورثناها عن اجدادنا فقد ندد الشعراء بها ، وحاربوا دعاتها ، ودعوا الى التمســك بالفضيلة ونبذ الرذيلة فهذا الشاعر محمد جواد السوداني يقول :ـ

---

(١) جريدة دار السلام العدد ـ ٧ ـ في ٤ آب عام ١٩١٨م وأظنه هو باقر الشبيبي كما يذكر يوسف عزالدين في الصفحة ١٣٠ من كتابه الشعر العراقي الحديث ٠

(٢) جريدة النهضة العراقية العـــدد ٢٨١ في ١٨ كانـــون الاول عام ١٩٢٨م ٠

ابكـي على الاخلاق صوح زهرها
منهـا فلا اثر لهـا ووسـام

(ولقد يقام من العثار وليس من
عثرات اخلاق الشعوب قيـام)

و (مذبذبين ولا مبـادىء عندهـم
ابدا فلا كفر ولا اسـلام

مرضت عقولهـم وماذا ارتجي ؟
من بعدهـا ان صحت الاجسام

الى ان يقول :

الله في الشـعب الضعيف فانتم
فـي اهلـه الامنـاء والقـوام[1]

وقد نادى الشعراء بالاخاء والتعاون لتحل محل الجفوة التي سادت مجتمعهم آنذاك والحض على العمل وترك الكسل والتمسك بالدين .

قال الشاعر ابراهيم منيب قصيـدة بعنوان ـ خير النـاس من نفع الناس ـ :ـ

يحصد الانسـان ما قد زرعا
فازرع الخـير وكن منتفعـا

والى الشـر فلا تركـن وكن
حـذرا في فخه ان تقعـا

كم وكم من صـانع للشر قد
خطفتـه كف ما قـد صنعـا

---

(١) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٢٥ في ٨ شباط عام ١٩٢٩م

وعظ النـاس بمـــا تدري وان
كنـــت لا تدري فكن مستمعا

* * *

وعلى الدنيـــا فلا تعتب اذا
لم تجد من رزقهـــا متسعـا

ان في الدنيـــا اتساعـا للفتى
في طـلاب الرزق لو كان وعى

فاسع في دنياك ان رمـت المنـــى
سعي مقدام تجـــده طيّعـا

حصـــة العاجز حرمـــان وان
ليس للانســـان الا ما سعى (١)

واكثر الشعراء في تنبيه الناس الى نتيجة هذا الخمول الذي يسود المجتمع قال الشاعر عبدالرزاق الكرخي قصيدة بعنوان ـ تنبيه وايقاظ ـ:

ان كنت يا شرق ترجو الفوز والاملا
فانهض بعزمك وأتبع قولك العملا

ان الطغاة اذا استولوا على بلـــد
يضيقون على اســـلامها السبلا

ومنهـــا :

يا اهل بغداد ان الناس قد ســعدوا
ولم تزالوا نياما والغطيط عـــلا

---

(١) مجلة لغة العرب العدد العاشر عام ١٩١٤م

الى م يا قوم قلب الشعب منشعب
والحر فيكم يقاسي الهم والفشلا

هذا الصحافي مشغول بحرفته
يهجو ويمدح حتى يبلغ الاملا

وذا السياسي مهموك بنشوته
مع الرواقص يمشي مشية الخيلا(١)

ومن العادات القبيحة التي سرت في المجتمع عادة شرب الخمور وما يرافقها • تلك العادة التي حاربها الشعراء ونددوا بها على صفحات الجرائد محاربة لا هوادة فيها • وهذا ابراهيم منيب(٢) يقول في قصيدة بعنوان ـ زكاة النصح ـ :

لاح المشيب ولم تزهد ولم تتب
الى ام هـذا التصابي بابنة العنب

انستك نشوتها كأس الحمام وكم
من شارب مات بين الانس والطرب

قد كفن الشيب منك الوجنتين متى
تتوب من معصيات اللهو واللعب

اراك تعتب ان نابتك نائبـة
على الزمان وتشكوه من الوصب

ولست تذكر ما قد كنت مقترفا
من المعاصي في ماضٍ من الحقب

* * *

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول عام ١٩١٠م
(٢) شاعر وصحفي ولد في بغداد ١٨٧٥م–١٩٤٨م

من يتق الله في كل الامور يكن
محصنا آمنا من طارق النوب
والنفس اياك لا تخضع لها ابدا
فتابع النفس لم يسلم من العطب
اني نصحتك فاختر ما تشاء وذا
مني اليك زكاة النصح في رجب(١)

وهذا الشاعر كاظم الدجيلي يهيب بالقوم بترك هذه العادة الذميمة مبينا مضارها ونتائجها في قصيدته بعنوان ـ الخمرة ـ :

وجدت الخمر اولها مرار
وآخرها لشاربها خمار(٢)
تطيش بها عقول راجحات
واحلام وادمغة كبار
وتذهب صحة ويجيء سقم
وتسلب الجلالة والوقار
وتفقد عفة ويزول نسك
ويخلع من اخي الورع العذار
وتنحط الجسوم بها انحطاطا
ويحدث في العيون بها احمرار
ويثقل رأس حاسيها اذا ما
تصاعد في الدماغ لها بخار(٣)

---

(١) مجلة لغة العرب العدد الاول عام ١٩١٣م
(٢) جاء في قاموس المحيط للبستاني في مادة خمر (... قال عبدالملك الاموي للاخطل التغلبي : ماذا يعجبك من الخمر فان أولها مرار وآخرها خمار . فقال نعم ولكن بينهما ساعة لا أبيعها بملكك) .
(٣) مجلة دار السلام العدد ـ ١٦ ـ عام ١٩١٩م

ثم صرنا نسمع نغمة اخرى تنبعث من الشعراء نتيجة لكثرة الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، تلك النغمة هي الدعوة الى السلام والمحبة والالفة . قال محمد مهدي البصير في قصيدته ـ يا حب ـ :

يا حب حسبك صبوة وهياما
رقصت دمعك فاستحال غراما

* * *

قلت السلام على السلام فقد ابى
حتى الجماد مع الحياة سلاما
الا اذا انقرض التنازع في البقا
فالسلم ينشر في الورى اعلاما
والناس لو يتناصفون تصافيا
لم يسق قوماً آخرون حماما
ولو انهم يتدبرون لما ابتغوا
الا التساوي للانام اماما
خسروا نفوسهم لتفلح عصبة
بهوى النفوس تدبر الاحكاما (١)

وفي هذا المعنى يقول كاظم الدجيلي قصيدة بعنوان ـ الزمان العتيد ـ :

ليس من ازهق النفوس شجاعاً
ليس من جد فاتكاً بمجيد
انما اشجع البرية طرا
مصلح قام بين اهل الجحود

(١) جريدة دار السلام العدد ـ ٤ ـ عام ١٩١٨م

ليس في القتـل للبريـة نفـع
بل تـراه اشـارة للحقـود

فمتى يا تـرى يمـوت غـواة
حبـذوه لقـائد ومقـود

فيعم السـلام فـي الناس طـرا
ويعـود الهنـاء للمسـتعيد

ليس ذا عصر مدفع ترك النـا
س اذا ما رمى كحب الحصـيد

ان ذا العصر عصر نور وعلـم
ومطار فـي مركب وحديـد[1]

تلك أمثلة قليلة مما قاله الشعراء في الاصلاح الاجتماعي من نواحي كثيرة ولم نرد الاطالة في ايراد هذه الامثلة الكثيرة خشية السأم والملل • غير انه يتبين مما أوردناه من الامثلة القليلة أن العبء الاكبر من نواحـي الاصلاح الاجتماعي وقع على كاهل الشعراء الذين ظلوا يشاركون المجتمع في كل ما يتصل به ، شأنهم في ذلك شأن الصحافة يضاف الى كل ما تقدم أن القصيدة كان عليها واجب آخر في خدمة المجتمع وهو أن تمدح الفرد على أنه ادى خدمة لمجتمعه وامته ووطنه ، وترثيه على أنه فرد من افراد المجتمع فقدت الامة بموته عضـوا نافعـا ، وفقدته الجمـاهير التي كانت مصالحها مرتبطة به كذلك لانهـم هم الذين يشـيدون مجدها ويعيدون عزها • وبهذا ابتعدت القصيدة عن المدح الذي ورثته من العصور الماضـية ذلك المدح المبني على التزلف والملق والرياء وحب العطاء من اولي المـال والجاه كالامير والسلطان كل ذلك بفضل الصحافة التي عملت عملها في

(١) مجلة دار السلام العدد السادس عام ١٩١٩م

نفوس المصلحين والمجتمع معاً ، ولان الامر في أواخر فترة البحث كان بيد الاسرة المالكة التي تأتمر بمشيئة الانكليز فقد وجدنا الشعراء في الصحافة العراقية لتلك الفترة وبعدها ينقسمون الى قسمين قلة يمدحون الملك وحاشيته ، وكثرة غلبة تناصبه العداء ولا تكتفي بذلك حتى تبذل جهدها في مدح زعماء العرب خارج العراق • ومن الامثلة على ذلك القصائد التي قيلت في مدح سعد زغلول • قال الشيخ عبدالمحسن الكاظمي قصيدة بعنوان (ان ابلال مصر في ابلاله) :

علمت واعتلا لها باعتلاله
ان ابلال مصر في ابلاله

علمت مصر ان ابلال (سعد)
هو ابلال نيلها ونواله

ايه (زغلول) أن دهرك أمسى
غير زغلول لا يمر بباله

انت من يصنع الجميل ويولي
بتوالي جهاده ونضاله

انت في حالتيك أمنع من ان
يدّريه حسوده لنباله

من يكن عاملا لخير البرايا
فالبرايا والخير من عماله

من يكن لامة يقيها اذاها
كان مرمى سهامه ونصاله(١)

---

(١) جريدة الناشئة الجديدة العدد ـ ١٣ ـ عام ١٩٢٣م

وهذا الشـاعر محمد بهجة الاثـري[1] يقول في قصـيدته بعنوان (الى مصـر) :

ايا (سعد) ردد ذكـر مصـر فانني
يحن الى مصـر فؤادي وينـــزع

وكرر حديث النيل أن حديثـه
(هو المسـك ماكررته يتضـوع)

فوالله قـد ذابت حشاشـة مهجتي
(ولم يبق في قوس التصبر منزع)

وانـي على مـر الزمـان وحلـوه
ليـزداد فـي قلبي الحنين المرجع

فيا (سعد) لا تكر ولوعي وصبوتي
فليست بذات الدل والحسن تولع

ومن حزم أهل الحزم أن يترحلوا
اذا ما سطا جيش الخمـول ويقلعوا

لذا همت في مصـر وزادت صبابتي
اليها وقلبـي بالجـوى يتقطـع

الى أن يقول :

فسقياً لوادي النيـــل ما حن والـه
اهاجتـه ورقـاء تنوح وتسجع[2]

---

(١) شاعر وأديب تقلد عدة وظائف في الدولة العراقية وكان آخرها مدير الاوقاف العام وله بحوث أدبية كثيرة ٠

(٢) جريدة الاستقلال العدد ـ ١٥٩ ـ عام ١٩٢٣م

الصحافة العراقية وتطور فن المقال

شهد العراق ميلاد صحافته على يد المصلح (مدحت باشا) عـام ١٨٦٩م • وكانت أول أمرها رسمية وبقيت كذلك حتى ظهرت الى جانبها الصحافة الشعبية عام ١٩٠٨م عندما أعلن الدستور العثماني • وقد اسرع الكتّاب العراقيون الى اصدار الصحف الكثيرة • وفي هذه الفترة نمت هذه الصحافة الشعبية فيما بعد على أيدي جماعة من الصحفيين ساروا بها نحو خدمة الشعب في مختلف المجالات ، وقد تأملت في اغراض المقالة الصحفية فوجدت كتابها يجمعون في شخصياتهم بين السياسة والاجتماع وسبب ذلك انهم كانوا الطبقة الموجهة في البلد آنذاك ، وكان الواحد منهم هو المالك للجريدة نفسها الى جانب انه كاتب صحفي ، لهـذا نرى كتاب المقالـة يتحدثون في موضوعات شتى وفق ما تمليه عليهم الظروف • فاذا ما حدثت حادثة سياسية اندفع الشعراء أولا للتعبير عنها وابداء وجهـة نظرهم الى الجمهور ، ثم يأتي دور كتّاب الصحافة فيؤلفون من انفسهم الطبقة الثانية للتحدث عن هذا الموضوع • واذاما حدثت مشكلة اجتماعية انبرى الشعراء معلنين رأيهم فيها ثم يأتي كذلك كتاب الصحافة فيؤلفون الصف الثـاني وهكذا • أي أن المحرر الصحفي يجمع في شخصيته ، كما قلنا ، بين الكاتب الاجتماعي والكاتب السياسي • يظهر مما تقدم ان المقالة تحتل المكانــة الثانية بينما كانت القصيدة تحتل الصـدارة • فكلما ارتفعت صـيحة من الصيحات كان الشعراء هم المعبرين عنها أما الكتّاب فكانوا يرددون النغمة ذاتها من التعليق عليها والشرح لهذه المشاكل وبيان اغراضها ، واهدافهـا سواء أكانت المشكلة سياسية أم اجتماعية ، معبرين في كل ذلك عما يسمى ـ بالرأى العام ـ وقد عني الكتّاب عناية فائقة بالمقالة حيث اتجهوا بها الى البساطة في الاسلوب ، والدقة في المعنى لصلة المقالة الوثيقة بالجمهور كما وأن المقالة هي التي مهدت الطريق لمعظم الكتّاب لبلوغ الشهرة ، وهيأت

لهم الجو المناسب لذيوع انتاجاتهم الادبيـة الاخـرى • لانهم ادركوا ان الكاتب الذي لا يجيد كتابة المقالة الصحفية يظل بعيداً عن الجمهور • لأن فن المقالة يتطلب مقدرة خاصة على تبسيط الاسلوب ، وتركيز الفكرة ، والقدرة على معرفة مدارك القراء وميولهم المختلفة ، وهي مواهب لا تتوفر لكل أديب[١] • وقد أتخذ الكتّاب من الصحافة ميداناً فسيحاً لعـرض آرائهم المختلفة • وهكذا اتجه المقال الصحفي اتجاهات كثيرة من أهمهـا واكثرها تردداً في صحافتنا هي :ـ

١ ـ المقال في الاتجاه السياسي •

٢ ـ المقال في الاتجاه الاجتماعي •

المقال في الاتجاه السياسي

المعروف عن العراقي انه مغرم بالسياسة ، متتبع لها في حدود بلده ، بل يتجـاوز هـذا الامر الى خارج وطنـه فما يكاد يصـدر أحدهـم مجلة أو جريدة أدبية أو علمية حتى يجرفه تيار السياسة والخوض في لججها[٢] ، نتيجة لتسلل الآراء الجديدة الى الشـعب العراقي كالحريـة والعدالة والمساواة • هـذه الآراء دفعت الكتّـاب الى المطالبـة بالتحـرر والاصلاح • ويعتبر اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م نقطة الانطلاق لجهاد الشعب العراقي وللصحافة • ومن هنا ظهرت في الميدان السياسـي طائفة من المسائل شغلت بال الرأى العـام العراقي فكانت الصـحف هـي الناطقة عن وجهة نظر هذا الرأي • ولو أمعنـا النظر في هـذا الميدان لوجدنا لكل فترة تياراً يتحدد بالسلطة الحاكمة التي حكمت في كل فترة من هذه الفترات •

---

(١) راجع : عبدالله الجبوري ـ نقد وتعريف ص٦ ـ بغداد عـام ١٩٦٢م

(٢) راجع عبدالقادر أمـين ـ القصص في الادب العراقي الحديث ـ ص١٥ بغداد عام ١٩٥٦م

ففي العهد العثماني :ـ اندفعت الصحافة أول أمرها الى تأييد الدولة العثمانية متأثرة بدعوة الجامعة الاسلامية تتخللها صيحات قومية عامة لا حدود لها كالقومية العربية فكان الكتاب ينشرون المقالات الطويلة في تأييد الدولة حامية الدين ، ويندون بخصومها واعدائها الانكليز . ولو ذهبنا نحصي المقالات هذه نجدها أكثر من أن تحصى . وكلها مدح واطراء للدولة وذم وتنديد بالانكليز . فلنستمع الى محرر مجلة تنوير الافكار في مقال له تحت عنوان (الانكليز وتحقير العرب) : (هل اتاك حديث غاشية ظلم الانكليز . وتحقيرهم للامة العربية وفعلتهم التي فعلوها في ساحل عمان ... مهلاً مهلاً أيها الانكليز أن فعلتكم التي فعلتموها في الامة العربية قد انتعشت في قلوب عموم الموحدين ... فلا تحسبوا ان الامة العربية كغيرها من الامم ولعلكم لم تدرسوا التأريخ ولم تعرفوا احفاد العرب فهي التي أن غضبت زعزعت وأن عادت دمرت ... خيولها جمة وجيوشها فخمة لا ينثنون لذعر ولا يتنكرون لدهر . سيوفهم حداد واعمارهم قصار بيد أنهم يتهاجمون على الموت تهاجم الجياع على القصاع . ولعلكم ترون يوماً تشيب لهوله الابدان)[١] .

يخيل الي وانا اقرأ هذا المقال انني استمع الى قصيدة من الشعر في باب الحماسة والفخر هذا فضلا عن خصائص أدبية اخرى ظهرت في هذا المقال ومنها بدايته بعبارة (هل اتاك حديث) وهو اسلوب يذكر باساليب القرآن ، وذلك أيضاً فضلا عن خصيصة أخرى تظهر في هذا المقال من استخدام الكاتب للهجة الخطابية التي يدل عليها مثل قوله (مهلا مهلا) ونحو ذلك . بعد هذا الوصف لقوة العرب وشجاعتهم وشدة بأسهم ينتقل الكاتب الى وصف الجامعة الاسلامية ، ومقدار ما فعلته في نفوس العرب حيث يقول : (ايها الانكليز ما هذه الوقاحة أو

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد التاسع ص ٣٢٤ـ٣٢٦ في ١٥حزيران عام ١٩١٠م

ليست جزيرة العرب مستقلة تابعة للدولة العليّة ـ العثمانية ـ كما هو مصرح في معاهداتكم وان عمان جزء عثماني لا يقبل الانفصال ولا يمكن فصله الا اذا صبغت الارض بدماء العثمانيين الطاهرة الزكية وانمحقت الامة العربية • نعم نحن لسنا في شك من ان حكومتنا الدستورية ستشدّ أزرهم وتلبي صوت نبيها وترسل اليهم من يسكن روعهم وقد خدمت الدين والتوحيد ونصرته (أن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)[1] أرايت كيف اندفع المحرر متشبعاً بالجامعة الاسلامية وكيف عبر عن شعوره بقوميته ؟! • كانت هذه الافكار السياسية تشغل حيزاً كبيراً في الصحف ، وقد دارت على السنة الكتّاب والصحفيين • فلنستمع الى الكاتب (ابراهيم حلمي العمر) في مقال له تحت عنوان ـ الوطن والوطنية ـ جاء فيه : (••• من صفات الوطني بذل النفس والنفيس في سبيل وطنه ••• وقد مست الحاجة اليوم الى حفظ الوطن العثماني باسره ، فاما العام فقد حماه بأس آل عثمان ، واما الخاص فقد أصبح يعطي اقطاره مسرحاً لبغاة الاعداء ـ الانكليز ـ ••• وهو الآن ينادينا بلسان فصيح لا يعرفه الا أرباب الدين الصادق والوطنية الصحيحة ويأمرنا بان نريق من دمائهم أكثر مما شرب العدو من دجلة بل يأمرنا أن نجعل من دمائهم دجلة ثانية •••)[2] وفي هذا المعنى يقول محرر جريدة ـ صدى الاسلام ـ في مقال تحت عنوان ـ الخبث الانكليزي ـ جاء فيه :

(••• بقيت هذه الحكومة ـ انكلترا ـ تنقب وتبحث عن العامل الحقيقي الذي تتمكن أن تضرب به الضربة القاضية على الملة الحنفية فلم تجد اليه سبيلا يسهل لها الوصول الى نواياها ما دامت الخلافة الاسلامية • فايقنت أن أهم الواجبات عليها هو انزال الضربة أولا بالذات على رأس

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد التاسع ص٣٢٤ـ٣٢٦ في ١٥حزيران عام ١٩١٠م •

(٢) جريدة صدى الاسلام العدد ـ ٧١ ـ عام ١٩١٥م

الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية)[1] . وهذا الكاتب خيري الهنداوي يعطينا الصورة الواضحة لهذا الاتجاه السياسي حيث يقول في مقال لـه تحت عنوان ـ الحرب والاسلام ـ :

(لقد خاب والله فألهم وكذبتهم امانيهم ، أن الامة الاسلامية اليوم غيرها بالامس ، وليعلموا أن تلك الروح الشريفة قد نفخت اليوم في الامة العربية فهبت من سباتها العميق وقد آلت على نفسها أما أن تسترجع مجدها واما أن تموت وهي تصافح اليوم ابطال الاتراك كما صافحتهم وحاربت معهم في الحروب الصليبية)[2] . ثم لنستمع الى تمجيده العرب وذمه الانكليز حيث يقول في مقال تحت عنوان ـ هل من الممكن سلوانهم ـ جاء فيه : (ان الانكليز يرون العالم جميعاً دونهم خلقاً وخُلُقاً وانهم أولى الناس بالسيادة العامة على البشر بل انهم ينظرون الى من سواهم نظر الانعام السائمة . تالله أن الاباء العربي لاجل وارفع من أن يرضى بهذا المقام الذي يريد الانكليز انزاله فيه

أملي بقومي سوف تنهض نهضة
للمجد يقصر دونها الصمصام
يستبعد الرجل الخبير وقوعها
بل لا تجيء بمثلها الاحلام
نبقى وأن خلق الزمان جديدة
لم ينتقض تجديدها ابرام

ستكشف الايام للانكليز سوء مغبة اعمالهم وسيندمون على ما فرطوا

---

(٢) المصدر السابق العدد ـ الثاني ـ عام ١٩١٥م
(٣) المصدر السابق العدد ـ ٩٣ ـ عام ١٩١٥م

والعاقبة للمتقين)[1] • هذه المقالات عبرت جميعها عن الشعور بالولاء للدولة العثمانية والجامعة الاسلامية تتخللها صيحات قومية عامة تظهر وتختفي احياناً اكراماً للدولة العثمانية • وقد استمر المقال على هذه الشاكلة حتى احتلال الانكليز بغداد عام ١٩١٧م ، واذا بالمقال ينحو منحى آخر ويسلك تياراً مغايرا ، ذلك هو التيار الموالي للاحتلال الانكليزي اذ اغرت سلطة الاحتلال هؤلاء الكتّاب بالمال واجزلت لهم أجور الكتابة كما انها ـ سلطة الاحتلال ـ الفت قلوبهم وشجعتهم باساليبها المعروفة على انها تروم بث الفكرة العربية وخدمة اللغة العربية وتثقيف الشعب[2] •

سيطر الانكليز على الصحافة وشجعوا كتابها بالسير نحو هذا الاتجاه السياسي • ومن يقرأ جريدة العرب ، وجريدة الاوقات البصرية ، وجريدة العراق ، ومجلة دار السلام ، ومجلة النادي العلمي يجدها قاطبة تكيل المدح والاطراء لقوات الاحتلال البريطاني[3] • اذ جعلت منهم اساطين عدل ورواد حرية ورجال علم • ومن ناحية اخرى تلقي مسؤولية كل ما حدث في العراق من ظلم واضطهاد وجهل وفقر واضطراب سياسي وكبت للحريات على عاتق الدولة العثمانية • فالسعادة في الاحتلال البريطاني والشقاء في ظلم الحكم العثماني فلنستمع الى هذا كله في جريدة العرب تحت مقال ـ الارض تشقى وتسعد ـ (••• ليس على الله بعزيز أن يطهر بفضل منه تعالى تلك البلاد بسيوفهم الماضية[4] ـ الاحتلال البريطاني ـ من سيطرة قوم نسوا الله وتعدوا حدوده في الظلم على خلقه واهانوا العرب •• ويا لها من سعادة ثلجت لها القلوب وحظيت بها بغداد

---

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ـ ١٥ ـ عام ١٩١٥م

(٢) راجع : رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٤٧

(٣) راجع : فصل **أهم الصحف** •

(٤) في الاصل بسيوف (حزبه الماضية) وبهذه الصورة لا يستقيم المعنى لانه ليس من المعقول أن يكون الانكليز في نظر الكاتب (حزب الله) •

بعد شقاء طويل الم بها من قبل الاتراك)[1] • وانظر بعد هـذا كيف تتحسن أمور العراق تحت ظل العلم البريطاني العادل ؟! هذا ما تحدثنا عنه جريدة الاوقات البصرية • حيث تقول : (دخلت بريطانيا البصـرة فاخذت من أول وهلة تباشر الاعمال ••• فذللت كل الصعاب لتمهـد السبيل للعمران والتجارة وهكذا تتحسن أمورها ـ البصرة ـ تحت ظل العلم البريطاني العادل)[2] • وأخيرا فأنظر في مقال نشـرته مجلة دار السلام بعنوان ـ ذكرى فتح بغداد من قبل الانكليز ـ مرحبا ومهللا !! ومتمنياً بقاءهم محتلين الى الابد !! (أهلا بكم وسهلا يا أيها البريطـان فبمثلكم ليفتخر الانسان ، اذ جبلتم على كل حسنة ، وعلى كل مكرمـة تشكر • فنحن لاننساكم وأن طال الامد ونحن نلهج بذكركم وأن عشـنا عمر لبد ، بل الى الابد ، فاهلاً بكم وسهلاً فلقد نزلتم على سعة وابقـوا بجانبها الى أن تقوم الساعة)[3] • الا ان هذه الجرائد لم تلاق رواجـا وعزف الناس عن قراءتها • ففطن الاستعمار الى حيلـة هي التخفيف من لهجتها السياسية وتعزيز النواحي الوطنيـة بطريقـة معتدلة • أنظر الى جريدة الاوقات البصرية في مقالها تحت عنوان ـ الاشخاص والحكومات ـ جاء فيه :ـ

(اذا صلح الاشخاص صلحت الاشياء واذا تربّى الافراد تربـى المجموع ••• وليس من وظيفة الحكومة الاهتمام بأمر الرعية سوى السهر على حراستها ودرء كل عدوان عليها ونشر العدل بينها وما عدا ذلك فشأن الجماعات • وما الحكومة في نظرنا الا عاملة مأجورة على وظيفة تقـوم

---

(١) جريدة العرب العدد ـ الثالث ـ في الثامن من تموز عام ١٩١٧م

(٢) جريدة الاوقات البصرية العدد ـ ٣٩ ـ السنة الثالثـة في ٢٤ كانون الاول عام ١٩١٧م •

(٣) مجلة دار السلام العـدد (الخامس) ص١٧٧ـ١٧٨ في ٩ آذار عام ١٩١٩م •

بعبثها ••• أيها الشرقيون انتم الآن في عراك دائم ونزاع قائم والذي يتبطن احوالكم يقول عنكم انكم في دار حرب لا ينطفيء أوراها ولا تخمد نارها ••• فلا يذهبن بكم الغرور الى الاقتناع بأن ما لديكم من معدات النهوض ••• كاف للوحدة والاستقلال••• أن الفريق الاكبر من الشرقيين يتألم من تذكيره بالحقائق ومطالبته بالعمل • واولئك الناس ينتظرون زوال هذه الاحوال بالتواكل والتمني وهم نيام فأن كانت هذه امانيهم فليتوقعوا أن يفقدوا انفسهم كلياً ••• والله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون)[١] • وهذه جريدة العراق هي الاخرى تسلك المسلك ذاته في مقالاتها السياسية • جاء في مقال لها تحت عنوان (الامة برجالها) :

(لا تبعث الامة من مرقد الذلة الى محشر العزة ولا ترقى من مهاوي الضعف الى ذرى القوة ولا تعرج من حضيض الشقاء الى أوج السعادة الا برجالها المتضلعين في فنون تنازع البقاء في معترك الحياة الدائم •

••• الذين ادركوا حكمة الوسط في تدبير الامور وادارة شؤونها واعرضوا عن الافراط والتفريط ••• واقاموا الامة من غفلتها وساروا بها في سبيل التقدم والنجاح • فالكاتب العبقري يستنهض الامة من مضاجع الجمود وينفض عنها غبار الخمول •• والشاعر النابغة يقيل عثراتها ويقوي عزماتها •• والسياسي الماهر يوثق عرى سياستها واقتصادها مع الخارج ويسعى وراء تحكيم علاقاتها مع الامم الاخرى)[٢] • ثم استمع اليها في مقالها ـ حاجة الوطن ـ تشعر وكأنك تقرأ صفحة من صفحات جريدة مكافحة وان كانت أبعد ما تكون عن هذا المعنى • وقد جاء فيه : (حاجة الوطن شديدة الى كتاب متجردين عن الهوى ، ينفثون في صدر الامة المبادىء الحية والحقائق الراهنة نقية ، بعيدة عن كل غش وطلاء •• يفتقر

---

(١) جريدة الاوقات البصرية العدد ـ ٣٠١ ـ عام ١٩١٩م
(٢) جريدة العراق العدد ـ ٨ ـ عام ١٩٢٠م

وطننا الى خطباء مصاقع يصدعون بالحق من غير أن تأخذهم فيه لومة لائم ، وينشرون على رؤوس المرء حاجيات البلاد ، مشخصين للامة مواطن الضعف فيها لتعمل على تلافيه وتقويتها ... الوطن بحاجة الى عمال نشيطين يؤدون أعمالهم بامانة واستقامة .. كما يوحيها الوجدان الحي والضمير الطاهر .. يا ما أشد حاجة الوطن الى شبيبة منورة شريفة المبدأ أبية النفس تعمل في كل حين على ما يرفع اسم الشعب ويعلي شأن الوطن . الوطن بافتقار الى موظفين مستقيمين يشعرون بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم، فيسهرون على وظائفهم بامانة واخلاص ... حاجة الوطن عزيزة الى زعماء صادقين للشعب الذي ألقى اليهم بزمام أموره ، واقامهم على رعاية حقوقه، يبذلون غاية مجهودهم ليؤدوا بوفاء هذه الزعامة ، ولا يتخذونها آلة للتعظيم والتجبر ... وطننا بحاجة الى رجال ممتازين يضحون مصالحهم على مذبح محبة العموم ويبذلون مهجهم خدمة لاخوانهم ... فان كنت يا هذا حقاً تحب وطنك وبلادك وتغار على مصالحها اعمل على قدر طاقتك وأدّ لهما خدمةتقضي بها حاجة من هذه الحاجيات الضرورية ... ويقيننا انه اذا قام كل منا بواجبه أحسن قيام لا يصعب علينا أن نقيل عثار وطننا ونرفعه الى أوج المعالي ، وليس على الرجل العامل بأمر عزيز)[1] . ثم أن هذه الجريدة كانت تقتنص المناسبات التي يقيمها الرجال الوطنيون فتنشر مقالاتهم على صفحاتها . من ذلك نقلها خطاب ـ دولة السيد طالب باشا النقيب ـ الذي القاه على حشد من الناس اثناء اقامة تمثيلية وطنية جاء فيه : (ايها الحفل الكريم وايتها الشبيبة العراقية، لعباراتكم الشاقة وكلماتكم الرقيقة تأثير عظيم في النفس ، وأي نفس لا ترتاح الى نداء الوطن المتمثل في نفوس الشبيبة الحية . وانني قائم بينكم الآن لأعلاء شأن الامة ولا همّ لي سوى اسعاد الوطن ، وترقيته السريعة المستمرة ، واني لمثابر على مطالبة

---

(١) جريدة العراق العدد ـ ٢٦ ـ عام ١٩٢٠م

الحكومة ـ اي الاحتلال ـ بحقوقنا المشروعة بكل ثبات ... ولن أخاف في الحق لومة لائم ...)[1] بهذه الطريقة استطاعت الجريدة أن توهم أكثر الساسة بنزعتها الوطنية مما حدا (بمحمد مهدي البصير) أن يصيح بأعلى صوته (لتحي جريدة العراق بينما كان يخطب في أحد المهرجانات الثورية)[2] وشاركت جميع الصحف آنذاك هذا الاتجاه . لهذا شعر المخلصون بخيبة أمل لارتماء أكثر كتاب الصحف في احضان المستعمر ومن هنا نشأ التيار القومي باجلى مظاهرة على السنة الكتّاب والصحفيين فزادوا الشعور بهذا قوة وصار الناس يتجاوبون مع شعورهم هذا واصبح الكتّاب يرددون : لا يمكن ان يحكم العراق من قبل الانكليز وانما الحكم فيه لابنائه وابتدأ الصراع بين التيارين وكانت ثمرة كفاح التيار القومي ايقاظ الشعور الوطني والتمهيد لثورة العشرين . فلنستمع الى لون من هذا التيار القومي على لسان محرر مجلة اللسان تحت عنوان ـ وظيفة الوطني ـ جاء فيه : (... ان أهم مبدأ يجب على الوطني أن يتمسك به وتتشرب به روحه هو (الحرية) سواء كان في القول أم في العمل أم في الرأي ، حافظا لشرفه من الاهانة ولعرضه من التعرض ، رابط الجأش عند النوائب ، صبورا لدى اشتداد الكوارث . يجب أن يكون الوطني عالما بأن للجمعية التي يعيش فيها حقا عليه ... بل الوطنية كل الوطنية هو أن رأى أحدا قد عمل ما يخل بأحد المواطنين أو تجاوز على حق من الحقوق العمومية أن يقف أمامه وقفة الخصم وأن ينصب نفسه كالمحامي عن حقوق الآخرين)[3] . غير أن الحركة القومية ما كادت تفيق من نكستها الوطنية التي منيت بها أثر فشل ثورة العشرين حتى عاد التيار القومي بصورة أقوى وأعنف مما كان عليه وكان من نتائجه أن اصطبغ الادب العراقي

---

(١) المصدر السابق العدد ـ ٥٢ ـ في ٣١ تموز عام ١٩٢٠م
(٢) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٥٣
(٣) مجلة اللسان العدد ـ الاول ـ عام ١٩١٩م

والفكر العراقي بصبغة سياسية في أكثرها مما أدى في النهاية الى تأليف الحكومة الاهلية بانتخاب فيصل ملكا على العراق عام ١٩٢١ • وقد سار المقال السياسى في هذه الفترة بما يحتمه الواجب الوطني والقومي رغم ما لقيه من الملك وأعوانه من تعنت واضطهاد • تلك هي المجالات التي سبح فيها المقال السياسى منذ ظهوره على مسرح الصحافة العراقية حتى تأسيس الحكم الملكي •

المقال في الاتجاه الاجتماعي

ان المشاكل الاجتماعية التي عانى منها العراق منذ القرن التاسع عشر حتى العشرينات من هذا القرن الذي نعيش فيه كثيرة منها مشكلة المرأة وتحررها ، والجهل ، والفقر ، والمرض • تلك المشاكل التي ارتفعت الصيحات من أجلها مطالبة بالاصلاح على صفحات أكثر الجرائد الشعبية التي كانت المنبر الحر لرجال الاصلاح الذين عملوا جاهدين أن يعينوا الداء الذي كان يشكو منه المجتمع العراقي اذ ذاك • طالب المصلحون أول الامر بتحرير المرأة ، وتعليمها ، ومساواتها بالرجل • هذه الفكرة شغلت بال الرأي العام العراقي أكثر من غيرها من النواحي الاجتماعية وانقسم الكتّاب بسببها الى فريقين ، فريق دعا بحرارة وايمان الى تحريرها ومشاركتها الرجل • وفريق آخر ناهض هذا الرأي وجمد على ما رأى آباءه عليه فدعا الى حجابها ، والابقاء على ما كانت عليه أسيرة البيت • ومن أشهر المقالات وأولها التي أضرمت نار المعركة بين الفريقين تلك المقالة التي نشرها الشاعر جميل صدقي الزهاوي على صفحات (جريدة المؤيد الاسبوعي للسيد علي يوسف) بعددها المرقم (٦١٣٨) عام ١٩١٠م تحت عنوان (المرأة والدفاع عنها) مطالبا بحريتها ، مما أحدث ضجة في المجتمع العراقي الذي لم يكن مستعدا لتقبل مثل هذه الدعوة • وأثار نقمة العامة،

ورجال الدين معلنين سخطهم على الزهاوي متهمين اياه بالكفر والالحاد لكن الزهاوي تنصل من مقالته تلك خوفاً من غضب الناس وهياجهم مما اضطره الى أن يعلن براءته مما اتهم به على صفحات جريدة الرقيب البغدادية بعددها المرقم ـ ١٧٢ ـ عام١٩١٠م بمقال تحت عنوان ـ شكوى الزهاوي الى ناظم الحكومة ـ والذي سبق ذكره[١] • كانت هذه المعركة الصحفية عنيفة ، أنفق العراقيون من الجهد ومن الوقت الشيء الكثير ، حتى أصبحت قضية الدفاع عن حقوق المرأة ، وخصومها تحتل الصدارة من قضايا الشؤون الاجتماعية الاخرى • فانظر الى مجلة تنوير الافكار في مقالها (الاسلام والدفاع عنه) رداً على مقالة الزهاوي : (اطلعت في عدد المؤيد الاسبوعي على مواضيع مما كتبه جناب الاديب ـ جميل الزهاوي ـ ضمنها مقالته التي أسماها ـ المرأة والدفاع عنها ـ فاذا قد زل قدمه وشط به قلمه الى انتقاد بعض الاحكام القدسية • قال الزهاوي : (وليست المرأة المسلمة مهضومة من جهة واحدة بل هي مهضومة من جهات عديدة فهي مهضومة :

١ ـ لان عقدة الطلاق بيد الرجل •

٢ ـ لانها لا ترث ن أبويها الا نصف ما يرثه أخوها الرجل •

٣ ـ مهضومة لانها تعد نصف انسان وشهادتها نصف شهادة •

٤ ـ لان الرجل يتزوج عليها بثلاث وهي لا تتزوج الا به وحده ••• الخ) •

لقد قلقت نفسي لقول الزهاوي هذا ، واضطربت حواسي وعيل صبري عن السكوت والتسليم له ، اذ لو ساغ لرجل غير مسلم أن يرتاب في صحة التعاليم الاسلامية لما جاوز الحد ••• اني أرى أن التسامح معه

(١) أنظر القصيدة الشعرية في الاتجاه الاجتماعي •

الى هذا الحد مما يزيده تماديا في الباطل وغلواً في الآراء السخيفة)[1] •
ثم تنبري جريدة الرقيب في الرد على هذا المقال مناصرة الزهاوي في مقالها تحت عنوان ـ الدفاع عن حقوق المرأة ـ جاء فيه : (قرأنا في مجلة تنوير الافكار فصلا عقدته في الرد على مقالة نشرت بهذا العنوان في (المؤيد) منسوبة لوطنينا الاديب (جميل صدقي الزهاوي) ••• وقد استغربنا نسبة تلك المقالة لهذا الفاضل • اذ لا يمكن أن تصدر من أقل الناس علما ودينا ، مثل تلك الاقوال الزائفة المنافية للقرآن الكريم ولما جاء به الدين الاسلامي ••• ولكن قد ظهر ولله الحمد الحق للعيان وتنصل الموما اليه من تلك المقالة حسبما نشر في الرقيب تحت امضائه ، من أنها مكذوبة عليه مذيلة بامضائه زوراً ، ولعلها من بعض أعدائه في العراق •• وان تستر بامضاء هذا الفاضل الذي تبرأ منها •••)[2] • وقد ذهب دعاة الحجاب الى أن مشاركة المرأة الرجل في مختلف المجالات العملية مما يوقعها في مهاوي خلقية كثيرة تهدد الوضع الاجتماعي • يقول محرر مجلة تنوير الافكار تحت عنوان ـ مشروعية الحجاب ـ جاء فيه : (أصبحت المرأة مطمح فكر الرجل ومرمى أنظاره ••• ذلك أنه لو أبيح للمرأة أن تسفر وجهها أو تكشفه وأبيح النظر اليها لغير ضرورة لفسد نظام الهيئة الاجتماعية واختل ترتيب المجتمع ••• على أن وجود امرأة غير كاملة في الاداب والتدين مما لا يرتاب فيه أحد وبالحجاب يذهب الريب فيها ••• ان قلنا أن المرأة كالرجل عقلا وفهما وادراكا وتحملا للاذى • كما هو رأي المدافع الذي يريد مساواة المرأة بالرجل فيلزمه الاعتراف بأن لا ضرورة للتعلم باختلاطهما واجتماعهما بل كل واحد يتوقف رقيه باجتماعه مع جنسه ، وهو الذي مشت عليه سُنّة الاقوام الذين حظوا بجانب عظيم من

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الثاني ـ ص٥٥ـ٥٧ في ١٩ ايلول عام ١٩١٠م

(٢) جريدة الرقيب العدد ـ ١٧٣ ـ عام ١٩١٠م

المدنية والحضارة)[1] . اشترك في هذه المعركة الفكرية كتّاب الصحافة فكانت سجالا بين مؤيد ومعارض . لذا نرى الجرائد كانت أشبه بالمنبر الحر فرأي كعارض رأياً وقول يرد على نقيضه ، وكل يبدي حججه فيما يقول . جاء في مجلة اللسان مقال تحت عنوان ـ وظيفة المرأة ـ بقلم فتاة بيروت : (المرأة الحقيقية هي التي عرفت أن لهـا وظيفة يجب أن تقوم بها ، وواجبات يجب أن تؤديها . هـي التي تحسن ادارة منزلهـا ... وتشتغل بأعمالها السامية بكل سرور وابتهاج فتجعل منزلها مقراً للهنـاء ومجلباً للسعادة ... تربي أولادها مع التقوى والتهذيب من نغمـات صوتها الرقيق يتولد الحب ومن الحب تتولـد الالفـة العائلية ، ومن بين كلامها اللطيف تظهر الفضيلة والاخلاص والصدق . على هـذه الصفات تربي أولادها الذين سيكونون رجال الغد وعليهم سيتوقف رقي الهيئـة الاجتماعية . من بين جدران منزلها يخرج التاجر والمخترع ، ومن بـين يديها ينشأ الملك والحاكـم ، وبنظراتها يربى الفيلسوف والعالم . فمـا أعظم هذه الوظيفة وما أسماها . ما أجمل المرأة عندما تركع أمام سـرير طفلها تلقنه لبان العلوم والمعارف ، بل ما أشرفها وهي ترتل له هذه الانغام وهي : الشجاعة ، الدين ، حب الوطن ، خدمة الانسانية فينام على ألفاظها هنيئاً مرتاحاً . هذه هي المرأة التي تربي الطفل بحنوها ولطفهـا ، هـي الأم والاخت والزوجة ، والرجل منقاد اليها في طفولته وشبابه وشيخوخته اذن فهي العالم كله ، وكله سائر كما تهوى ...)[2] . ثم أنظر الى مقال تحت عنوان ـ طال الرقاد فمتى الافاقـة ـ بقلم فتاة دجلة جـاء فيه : (... ليس الولد الا كغصن يغرسه الاب ثم تسقيه الأم ثم يعلمه المعلم ويقوّم عوجه ثم تقطف ثماره القوم . وان من هذب شابا فقد هذب فردا

---

(١) مجلة تنوير الافكار العـدد ـ الثالث ـ ص١٠١ـ١٠٣ عـام ١٩١٠م .

(٢) مجلة اللسان العدد ـ الاول ـ ص١٣ـ١٤ عام ١٩١٩م

واحدا ومن هذب فتاة فقد هذب عائـلة بأجمعها • فما لي أرى القـوم يسلكون طرقا بعيدة وهم في زرعهم مسرعون • يا فتيات العصر العشرين ••• هل تذكرن حالة نساء العرب في القرون الاولى والوسطى ؟ ثم أما تنظرن اليوم حالة الفتاة الغربية ومكانتها من المجتمع البشري ! أما تخجلن مني اذا استنهضت الفتيان للأخذ بأيديكن من الحضيض الى العلا والكمال ••• أتجهلن ـ وما أظن ذلك ـ كيف كانت جداتكن قد أفحمن الرجال حتى الملوك • أما في أنفسكن كفـاءة بأن تؤسسن مشروعا مثلما أسس أولئك الشبان ؟ أيتها الفتيات هل أسمع منكن ـ وليت شعري ـ جـواب (نعم) في القريب العاجل أم لا تستطعن ؟ لا تكن أمواتا • وليس عـلى الله بمستنكر أن يبث فيكن حيـاة جديـدة فسبحان من يبعث مـن في القبور)[1] • وينبري لفتاة دجلة الكاتب المعروف ـ رفائيل بطي ـ يناقشها آراءها مدافعا عن المرأة، مطالبا بحريتها مستشهدا بما نالته أختها من حقوق في مصروسوريا ، تحت عنوان ـ الى فتاة دجلة ـ وقد وقعـه باسم مستعار عرف به ـ محب السـلام ـ جاء فيـه : (••• كنت أتمنى أن يكون استهلال كلامك غير الذي كان • فانك أنزلت حكمك على أن المرأة مـا خلقت لادارة البيت فقط ••• وفي حكمك هذا نظر بل أنظار ! وجـدت المرأة بعد أن وجد الرجل وظلت أعصراً طوالا تسام من أحفاد ذلك الجد العظيم أبي البشر أنواع الخسف والهوان حتى بزغ فجر التمدن الاوربي وكانت مسألة الجنس قد شغلت أدمغة عقلائهم ومفكريهم ، فكان ذلـك التطور المجيد محمود العاقبة عليهن ، اذ عرف الغربيون معنى المرأة وسر وجودها ووضعوها في الموضع الذي خلقت له ••• ثم جاء القرن العشرون يتهادى ، وقد فسح لضلع الرجل في صدره أوسع محل وفيه قال (فكتور هوغو) :(ان العصر العشرين سيكون عصر المرأة) • ظل موضوع المرأة

---

(١) مجلة النادي العلمي العدد الثاني ص٩ عام ١٩١٩م

أعظم شاغل لعقول الكبار والفضلاء ••• فنرى قسما من الكتاب والشعراء يحصرون وظيفتها في بيتها ••• منهم الفيلسوف الروسى (تولستوي) • وقد قال حافظ ابراهيم :

في دورهن شؤونهن كثيرة   كشؤون رب السيف والمزراق

ومنهم من يعطيها حق مشاركة الرجل في كافة أعماله ولا يرى له ميزة عليها ••• نقل عن الفيلسوف (جان جاك روسو) قوله : (ان أردتم رجالا فضلاء عظماء فعلموا المرأة العلم والفضيلة) • ولا يمكنني أن أنسى العلامة – الزهاوي – واضطهاد القوم له لسلوكه هذا السبيل المعروف لدى الخاص والعام •• والفتاتان السورية والمصرية أيتها الفاضلة – قد سبقتاك بأشواط في مضمار التقدم والمدنية ، ولكن الامل معقود على أمور ستدركينها في هذا الميدان ••• فالى الامام يا فتاة دجلة •••)[1] • وقد كان لهذه الدعوات الصادقة التي نادى بها الكتاب أثرها الواضح في بعث النفوس وايقاظ الهمم ، واصلاح ما بلي من عاداتنا ، وتهذيب المرأة التي عليها يتوقف مستقبل البلاد • وقد أشار الى هذا محرر جريدة العراق تحت عنوان – خواطر في المرأة ونهضتها العصرية – قائلا : (••• لا يمكن لأمة من الامم أن ترتقي ارتقاء ثابتا ما لم يرتق نساؤها ويصرن قادرات على القيام بما يطلب منهن كما يرتقي رجالها على حد قول (روزفلت) •• نرى العراق اليوم في نزعة الى الاصلاح والرقي ، ويعلم كل مفكر أن أهم مسألة يتحتم علينا العناية بها هي (تهذيب المرأة) لاننا بتهذيب المرأة نضع حجر الزاوية في عمران الامة • ان المرأة هي العامل الوحيد في رقي الاسرة ••• عليها يتوقف مستقبل البلاد •••)[2] • آت هذه الصيحات

---

(١) مجلة النادي العلمي – العدد الخامس – ص٧٥–٧٧ في ١٥ اذار عام ١٩١٩م •

(٢) جريدة العراق العدد – ٢٢ – في ٢٦ حزيران عام ١٩٢٠م

ثمارها رغم ما لاقته من دعوات بعض الكتاب الذين اتخذوا من الديـــن وسيلة لايقاف تيار التحرر . فكان المعارضون يرون (في سفور المـــرأة واختلاطها بالرجل خطرا سيكلف المجتمع مشكلات خطيرة وعدّوا السفور مخالفاً لتعاليم الدين الاسلامي)[1] . وهكذا انتهت هذه المعركة بفوز دعاة التجدد وانتهى الامر بتحرر المرأة ومشاركتها الرجل في مختلف الميادين. أما النواحي الاجتماعية الاخرى كالحث على الفضيلة ، والنهي عن الرذيلة ومعالجة الامراض الاجتماعية ، والدعوة الجامحة الى الالفـــة والمحبـــة والمثابرة على العمل ، فان كتّاب الصحافة لم يغفلوا ذكرها . فقد أرهفت احساسهم وأثارت شعورهم فوصفوا مشاهدها أصدق تصوير . قال محرر مجلة دار السلام تحت عنوان ـ الناس أبنـــاء ما يحسنون في يومهم ـ : (... يجب علينا نحن معاشر العراقيين ، أن نضع نصب أعيننـا الارادة ... ونعمل بها لانها ستكون قوام حياتنا الادبية والمادية ... فانتهزوا اذاً ـ أيها العراقيون الكرام ـ هذه الفرصة السانحة ... ولا تضيعوها ، لان الفرص تمر مر السحاب . فتقدموا سائرين ان أردتم الولوج أبـــواب النجاح والسير في سبل الفلاح)[2] .وهذا محرر جريدة الشرق البغدادية يحدثنـــا عن الامراض الاجتماعيـــة التي حلت بالمجتمع ويهيب بالمصلحين لعلاجها فيقول : (... يا حبذا لو تنبه الشعب العراقي الى اقامة معهـــد لمعالجة جراثيم أمراضه الاجتماعية ومداواة أسقامه الادبية ، تلك الامراض والاسقام التي أخذت تفتك بمجتمعنا هذا ... فيا قادة أفكارنا وحمـــلة الاقلام فينا ... وجهوا سهام أقلامكم الحـــادة ... وسددوا حـــراب انتقاداتكم المرة الى الخلل الناتج في أعصاب مجتمعنا . واذا ما بان لـــكم محل الداء ، صفوا العلاج وارشدوا الشـعب الى أن يقيم له جامعـة كبيرة

---

(١) يوسف عزالدين ـ الشعر العراقي الحديث ـ ص٢٥١
(٢) مجلة دار السلام ـ العدد الخامس ـ ص١٨٣ في ١٩ اذار عام ١٩١٩م .

تضم بين جدرانها شتاته ، وأرشدوه أن يبني له مدنية جديدة على أنقاض مدنيته الحاضرة حتى يتعانق أبناء هذا الوطن ويتصافحوا فيسيروا سيرا حثيثا الى العمل لانعاش هيئتنا الاجتماعية واحياء حياتنا القومية)[1] . أما الدعوات الاصلاحية التي ترمي الى العطف على الطبقات الفقيرة ، وحث الاغنياء على مساعدة المساكين والارامل واليتامى ونحو ذلك ، فقد صور الكتاب نواحيها وعرضوها عرضا دقيقا منتزعا من صميم الواقع بقصص مؤلمة وعبر بالغة . قال الشاعر معروف الرصافي تحت عنوان ـ ما حاك في الصدور ـ : (... لا شك أن المسلمين اليوم لو فكروا في اصلاح حالتهم الحاضرة وتتبعوا داء تأخرهم في العلم وغيره من سائر ضروريات الحياة الاجتماعية في هذا العصر لوجدوا لهم من مناجم الثروة في الاوقاف ما هو كاف لتقويم أودهم بتشييد صروح العلم في بلادهم وتأسيس كثير من المؤسسات الخيرية كملاجيء الفقراء ومجامع العلم وأندية الادب على الطراز الذي تقتضيه المدنية العصرية ... نقول يا هؤلاء ان الواقف وقف هذا الملك مثلا لصرف وارده في طريق الخير ... حسبما اقتضته الظروف التي كانت في زمانه ... فهلموا لنبني مستشفى وهلموا لنبني مدرسة فانا في أشد الحاجة الى تغذية الارواح بالعلم ...)[2] . في تلك المجالات الاجتماعية القليلة تجول كتابنا العراقيون واتخذوا من الصحافة ميدانا لهم لنشر آرائهم في اصلاح المجتمع العراقي .

---

(١) جريدة الشرق ـ ٢٣ ـ في الثاني من تشرين الاول عام ١٩٢٠م
(٢) جريدة الرقيب العدد ـ ١٢٧ ـ السنة الثانية عام ١٩١٠م

الفصل الســابع

تطور الاساليب الصحفية

(١٨٦٩م ـ ١٩٢١م)

تطور الاساليب الصحفية

(في فترة البحث)

كان لكل فترة من فترات البحث صحف لها طابع خاص يختلف من واحدة لاخرى من حيث الاساليب ، والالفاظ ، والمعاني • وفي هذا الفصل سنتكلم بايجاز عن مدى ما شاركت به الصحافة العراقية في مجال التطور الاسلوبي واللفظي والمعنوي ، وتبيان مقدار تأثير الصحافة في الآراء والافكار في العهود الثلاثة : ١ ـ العهد العثماني • ٢ ـ عهد الاحتلال البريطاني • ٣ ـ عهد الحكم الملكي •

١ ـ الصحف في العهد العثماني : كان من حظ العراق أن هيأ الله له عام ١٨٦٩م والياً ـ مدحت باشا ـ عني بشؤون العراق عناية فائقة من جميع نواحيها • وكان من حظه كذلك أن مدحت باشا أول من أنشأ الصحافة في العراق حتى قرنت باسمه • ومنذ أن وطئت أقدام هذا الوالي العراق التفت الى أمور الشعب ، والى السياسة التي اتبعت قبل مجيئه فعمد الى بث مفاهيم الحرية ، والاخاء والمساواة ، واتباع القوانين والانظمة • كل ذلك بفضل جريدة الزوراء التي نبهت كل فرد الى ما له من حقوق وما عليه من واجبات • واذا ما أردنا أن نعرف شيئاً من أخلاق الناس وعاداتهم في تلك الفترة التمسنا ذلك كله في الزوراء اذ تعتبر المرجع المهم لهذه الحقبة • لكن الولاة الذين خلفوا مدحت باشا عمدوا الى طمس معالم الرجل الاصلاحية ، كما أن جريدة الزوراء تغيرت في خطتها وملامحها وشاركتها في هذا التلون في الاتجاه جريدتا الموصل والبصرة اللتان صدرتا بعدها • وقد كانت هذه الصحف الثلاث في أساليبها أدنى الى العامية العراقية منها الى الفصحى لان أكثر الكتّاب الذين حرروا فيها

أول الامر كانوا من الاتراك الذين لا يحسنون العربية . لذا أصاب القسم العربي منها الركاكة في الاسلوب . وتطالع القارىء رطانة لا صلة لها بالعربية وألفاظاً عامية حتى ليخيل له أنه غريب في لغته ومصطلحاته . قال الاب أنستاس ماري الكرملي واصفاً الزوراء : (واما مواضيعها فلا تستحق الذكر وا أسفاه على ولاية بغداد أن تكون جريدتها الرسمية بهذه الصورة الدنيئة)[1] . ومما يلاحظ على جريدة الزوراء التي تمثل طفولة الصحافة العراقية ، كثرة الاغلاط النحوية والاملائية فضلا عن ضعف الاساليب الكتابية . والامثلة على هذه الاغلاط كثيرة . جاء في مقال تحت عنوان ـ مواد عمومية ـ (لا يخفى ان الدولة التي تمتلك أورمانات[2] واسعة فلا شك ان هوائها يكون معتدلا ... اما ممالك السلطة السنية حال كونها مملوة ... وبقت تلك الثروة مرمية على الارض)[3] نلاحظ هذا النثر أقرب ما يكون الى العامية ، ومرجع هذا أن المجتمع آنذاك كانت تسوده لغات متعددة منها التركية ، والايرانية ، والهندية ، كما أن هدف الجريدة كان منصبا على ايصال الفكرة الى الناس دون الاهتمام باللغة ، والالفاظ ، والنحو مما أدى الى شيوع الالفاظ المعمية والرطانة الواضحة . ثم أنظر الى مقال تحت عنوان ـ عريضة مخصوصة الى جريدة حقايق الوقايع ـ لترى العجمة والاسلوب المهلهل وكثرة الاغلاط . (بينما انا في مطالعتي الى نسخة جريدتكم التي نمرتها (١٦٩) الواردة بهذه المرة مع البوستة وقرائتي الى صورة المكالمة التي جرت بين الصلح والحرب واذا ورد جاسوس خيالي الذي كنت قد ارسلته مقدما الى تجسس الافكار وحيث انني قد امرته بالذهاب الى الجبهة الشمالية ...)[4] يقول رفائيل

---

(١) مجلة المسرة اللبنانية عدد شباط عام ١٩١١م

(٢) اسم للاجمة باللغة التركية .

(٣) جريدة الزوراء العدد ـ ١٣١ ـ السنة الثانية عام ١٨٧٠م

(٤) جريدة الزوراء العدد ـ ١٢٨ ـ السنة الثانية ١٨٧٠م

بطي : (ولغة هذه الصحافة في فجر حياتها تشوبها العجمة وأسلوب الكتابة فيها ضعيف مهلهل وعباراتها مشحونة بالاغلاط اللغوية والنحوية بحيث اهتاج عالم لغوي عراقي كبير فقال في وصف لغة الصحافة في العهد التركي : (كانت لغة جرائد بغداد في العهد العثماني خليطا من جميع اللغات التي بها متكلمون في الزوراء فترى فيها التركية والكردية والهندية والفارسية ولغة مؤلفة حروف ألفاظها من كل هذه اللغات معا أو من بعض منها)[١] هذا ما يلاحظه القارىء من حيث اللغة والاسلوب • أما من حيث الموضوعات فكانت تدل على التخلف الثقافي وشيوع الامية مما جعل من النادر أن نجد كاتبا مهما في هذه الفترة من حياة الزوراء • أما في أواخر أيام الزوراء (في العهد العثماني) فقد تولى تحريرها جماعة من فطاحل الادب واللغة منهم العلامة محمود شكري الالوسي ، وفهمي المدرس ، وجميل صدقي الزهاوي ، مما أدى بها في النهاية الى أن تصل في لغتها وأسلوبها الى الذروة • أنظر الى الزوراء في هذه الامثلة لترى الفرق الواضح في اسلوبها • جاء في عددها (٥٥١) : (••• ان جريدتنا وان كانت حملت فوق عاتق همتها عبئاً ثقيلا من الوعد والتعهد ••• فان جريدتنا التي قد أزينت وتحلت كالغانية الحسناء والجارية الوسيمة الغيداء تجلو قلب من رآها وتسحر سحرا لا يحل لسواها •••)[٢] ثم استمع الى مقال بعنوان (أحوال بغداد) • جاء فيه : (••• نسي الملوك ••• ما صدق عليه قول القائل :

يا نائم الليل مسروراً بأوله ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تركنن لليل طاب أوله فرب آخر ليل أوقد النارا

وغفلوا عن قولهم :

---

(١) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٣٥
(٢) الزوراء العدد ـ ٥٥١ ـ السنة السابعة •

ولا تقطعن الحبل حبل محبة   فانك ان تقطعه فالوصل مشكل

فرجحوا محبة الدنيا الدنية التي هي عبارة عن خمسة أيام بل طيف منام)[1] والمطالع لهذه الجريدة وزميلاتها في هذه الفترة يجدها تارة تهبط في لغتها وأسلوبها الى أرك من الركاكة وأخرى تصل الى الجودة والاتقان. وفي ظني أن منشأ هذا يعود الى اختلاف ثقافة محرريها وقابلياتهم المتباينة. فالقارىء المتصفح لاعدادها المختلفة وفي فترات متباينة يطالعه أحيانا في عباراتها حسن السبك ، وجزالة اللفظ ، وسلامة التعبير ولا سيما في أعدادها الاخيرة ، والى جانب هذا يرى عبارات عقيمة غامضة ضحلة وألفاظاً أعجمية يصعب فهمها . هذا ما كانت عليه الصحافة قبل اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م .

أما صحافة العهد العثماني منذ اعلان الدستور عام ١٩٠٨م ، فقد لاحظت على صحافته سوء استخدامها للحرية المكفولة بحكم هذا الدستور، وميلها الشديد الى الاساليب البذيئة والالفاظ الجارحة . يقول محرر جريدة العرب البغدادية : (كانت محتويات تلك الصحف الانتقاد بلهجة شديدة قارصة تدل على تهور وانتقام وسوء أدب وقد يقحم في عباراتها السب والشتم)[2] مما حدا ببعض الكتّاب الفضلاء الى الانسحاب من ميدان الصحافة حتى لا يصيبهم رذاذ من هذا التراشق . يقول رفائيل بطي : (لم يكن يقدم على الكتابة في هذه الصحف في هذه الفترة العثمانية حملة العلوم الدينية وأشياخ التدريس والفقهاء . اذ أن الكثيرين منهم يرون الكتابة في الجرائد السيارة مزريا فهم يربأون بأنفسهم أن يساهموا في التحرير فيها)[3] وقد فتح العثمانيون للصحافة العراقية منذ أعلان

---

(١) المصدر السابق العدد ـ ٥٥٧ ـ السنة السابعة .

(٢) جريدة العرب العدد ـ ٤٤ ـ عام ١٩١٧م

(٣) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٣٥

الدستور ، الباب واسعاً لكل من يريد أن يدخل هذا الباب ولو لم يكن عنده استعداد لدخوله أو قلم يكتب به مقالاته أو ثقافة ولو بسيطة يصدر عنها في كتابة هذه المقالات • فنشأ عن ذلك وجود فئة من الصحفيين لا تحسن التعبير ولا تقوى على الاداء ولا تغري القراء بشيء من جمال العبارة وقوة الاسلوب • فقد اتخذت هذه الفئة من الصحافة وسيلة للعيش والاتجار وتسلقت هذه الفئة كذلك مقاعد الكتاب والادباء مع أن في زوايا العراق ثلة من كبار الكتّاب • وقد عرفوا بآثارهم في صحف مصر والشام كالزهاوي ، والرصافي ، ومحمد رضا الشبيبي ممن كانوا ينشرون قصائدهم ومقالاتهم في صحف الخارج[1] • يقول عبدالقادر حسن أمين : (••• ان كثيرا ممن لا كفاية لهم ، أقبل على الاشتغال بالصحافة الادبية والسياسية ، وهو في الواقع لا يحسن أن يخط سطرا واحدا يسلم من الغلط وقد غدت الصحافة ••• ملاذ المخفقين في حياتهم المدرسية ••• فكانوا أفدح بلاء على الفكر وأرباك الرأي العام)[2] الا أن أكثر هذه الصحف توارت عن الانظار وهي في مهدها لعزوف الناس عن قراءتها ، ولم تبق الا الجرائد التي عرفت بمكانتها وبعدها عن المهاترة والسعي لخدمة الامة • ومن هذه الجرائد الرقيب وصدى بابل والرياض فقد اختلفت في لغتها وأسلوبها ولها مميزاتها • ومما يلاحظ أيضا في هذه الصحف ظاهرة تميزها هي ظاهرة (العنوانات) اذ اتخذت أكثر الصحف عنوانات بارزة مغرية • قد تكون حكمة من الحِكم ، أو شطرا من بيت شعر ، أو ظاهرة تجلب انتباه الرأي العام •

---

(١) رفائيل بطي ـ الصحافة في العراق ـ ص٣٦

(٢) عبدالقادر حسن أمين ـ القصص في الادب العراقي الحديث ـ ص١٥ بغداد عام ١٩٥٦م •

وهناك أمثلة منها : (الرجال صناديق مقفلة)[1] (الحريـــة روح الانسانية والمساواة مدنيتها)[2] (لو ذات ســوار لطمتني)[3] (صاحب البيت أدرى بالذي فيه)[4] • وهذه العنوانات تضمنت التوجيه للرأي العام فيما يكتبه الكاتب • وقد كان العنوان معبراً تعبيراً صادقاً عن فحوى المقال، وان كان هذا المقال كثيرا ما يتميز بالاطالة ، والاطناب ، وغالبا ، ما يكون مطرزاً بالشعر • أنظر الى هـذا المقال تحت عنوان (الحرب والشـرف) للكاتب خير الهنداوي حيث يقول :

(لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

••• تالله ان الكرم والشمم ليأبى أن يمس شرفنا بسوء ••• ما دام فينـا عرق ينبض في هذه الحياة ، بل الحياة بغير الشرف ما هي الا الموت •••

فاما ممات يغسل العـار ذكره واما حياة تتبع الفتح بالفتح)[5]

فأنت تشعر انك أمام كتّاب يعتمدون في مقالاتهم على طريقة أدبيـة وهي تطريز مقالاتهم بالشعر • وقد أكثر معظم كتّاب هذه الفترة من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم • قال فهمي المدرس : (••• أما أبناء يعرب فانهم اليوم في شغل شاغل ••• بما خبأته سياسة الاستعمار ••• وبما صورتـه ••• تجعلك تعتقد بأن القوم على بيّنة من أمرهم وان هي الا أضـغاث أحلام ، أو (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) ••• وفي تلك السـاحة الغبراء وفي عالم الطيف والخيال حرب عوان بين النفوس الناشـزة التي

---

(١) جريدة الرقيب العدد ـ ٩١ ـ عام ١٩١٠م

(٢) جريدة صدى بابل العدد ـ ٢٢ ـ عام ١٩١٠م

(٣) المصدر السابق العدد ـ ٣٣ ـ عام ١٩١٠م

(٤) المصدر السابق العدد ـ ٣٩ ـ عام ١٩١٠م

(٥) جريدة صدى الاسلام العدد ـ ٨٦ ـ عام ١٩١٥م

يحملها أناس ـ سماعون للكذب أكالون للسحت ـ)[1] • ثم أنظر الى جريدة (صدى بابل) حيث تقول : (••• أما العدل : فهو أساس الملك وحسبك أن الله أمر به فقال : (واذا حكمتهم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ••• أما العلم : فالبحث في وجوب تعميمه يعد من قبيل تحصيل الحاصل لان الدستور أوجبه صراحة كما أن الله سبحانه وتعالى قال : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ••• »)[2] كل ذلك ليجعل الكاتب أسلوبه واضحا سهلا ، متمشيا مع مستوى المخاطب • وتناول الكتاب عرض الفكرة مبسطة متعمدين اثارة وجدان القارىء، وتوجيهه نحو ايقاظ الحس القومي ، متخذين من أساليبهم وسيلة لمشاركة القارىء تجاربه واحساساته • أما من حيث الالفاظ فيمكن أن نلاحظ الصحف في هذه الفترة تستعمل الالفاظ الواضحة التي ألفها الناس • غير أنه لوحظ كذلك أن بهذه الفترة ألفاظا قديمة تتوارد على أقلام الكتاب في حالات نادرة ، وهي أدنى الى لغة الشعر منها الى لغة النثر مثل : (المهيع) ، (الاغوار) (الانجاد) ، (تمرع) ، (الرقاد) ••• الخ •

جاء في جريدة الرقيب تحت عنوان ـ بشرى ـ : (••• ولعمري انه لخبر هام يهش له كل عربي بحت اذ جعل العربية لسانا للحكومة مما ينهض بتلك اللغة الشريفة نهضة يخضر بها عودها وتمرع أغوارها ونجودها)[3] • كما يلاحظ في بعض المقالات أنها تتجه الى الالتزام بالسجع وأكثر ما يكون هذا في المواقف السياسية والوطنية • جاء في مجلة تنوير الافكار مقال تحت عنوان ـ الانكليز وتحقير العرب ـ : (••• فلا تحسبوا أن الامة العربية كغيرها من الامم ••• فهي التي ان غضبت زعزعت

---

(١) فهمي المدرس ـ مقالات ـ ج١ ص٢

(٢) جريدة صدى بابل العدد ـ ٤٠ ـ عام ١٩١٠م

(٣) جريدة الرقيب العدد ـ ٩٦ ـ السنة الثانية ١٩١٠م

وان عادت دمرت ... خيولها جمة ، وجيوشها فخمة ، لا ينثنون لذعر ، ولا يتنكرون لدهر . سيوفهم حداد وأعمارهم قصار)[1] . والملاحظ كذلك في مقالات جرائد العهد العثماني انها لا تهتم بالتنقيط فتكاد تكون مقالاتها قطعة واحدة مما يصعب على القارىء فهمها الا بعد قراءتها مرات متعددة . هذا ما كان عليه المقال في العهد العثماني . اما القصيدة الشعرية فقد اتجه اكثر الشعراء فيها الى تقليد الماضين في طرائفهم . فصرنا نسمع انماطا قديمة من الشعر تتخللها بعض الالفاظ التي تدل على قدم هذه الانماط كذلك . من ذلك الفاظ (الدد) (مخاريق) (الارسم الدثر) (الالواح) (الدسر) (الاراقم) (الغلاصم) ومنشأ هذا كله ، كما قلنا سابقا ، ان الحكومة العثمانية تعمدت اماتة للغة العربية فلم تهتم بتعليم ابناءالعرب كما وان المدارس كانت تدرس باللغة التركية . لذا اتجه اكثر الناس الى دراسة الشعر القديم متخذين منه العظة والعبرة ، واعتمدوا في ذلك على مجهوداتهم الشخصية حين لم تواتهم الفرص التي يتعلمون فيها الادب العربي عن طريق المدرسة او المعهد او الجامعة . جاء في جريدة الرقيب قصيدة للشاعر معروف الرصافي :

هي الساحة النكراء فيها تلاعبت
مخاريق ضيم تخلط الجدّ بالدد

* * *

وقد عميت منها النوافذ والكوى
فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود

* * *

---

(١) مجلة تنوير الافكار العدد التاسع ص٣٢٤ عام ١٩١٠م

فلو كان للعبـــاد فيها اقامـــــة
لصلّوا بها ظهرا صلاة التهجد [1]

ولم يكتف الشعراء بهذا بل قلدوا الماضين في اســـتهلال قصائدهم بمخاطبة الديار ومساءلها • جاء في مجلة تنوير الافكار قصيـدة بعنوان : ـ حوادث الدهر ـ :

يا سعد عرّج وقف بالارسم الدثر
ونادهـا كيف أبلتهـا يـد الغير

فامهل رويدا بدار العلم مستمعا
نـــداء مستنصر بالله منتصــــر

كانت تروق بهم في حسن موقعهـا
من جسر بغداد ذي الالواح والدسر [2]

ثم استمع الى الشاعر خيري الهنداوي حيث يقول :ـ

أين قومي وهل ترى غير قومـي
امـــة تصدع الصفا والحـديدا

ايـن قومي ابناء قحطان حـازوا
طـــارف المجـد والعـلاء التليـدا

شـهد السيف انهم امة الحرب اذا هـزت الكماة البنودا [3]

وأخيرا فلنستمع الى الشـــاعر محمد السماوي في قصيـــدته بعنوان ـ دعوة العراقيين ـ:

---

(١) جريدة الرقيب العدد ـ ٩٦ ـ السنة الثانية عام ١٩١٠م
(٢) مجلة تنوير الافكار العدد الثاني ص٧٦ عام ١٩١٠م
(٣) جريدة صدى الاسلام العدد ـ ٧٩ ـ عام ١٩١٥م

انتم بنو القوم الالى
سبقوا فليس لهم مقاوم
حازوا الفواضل غير مكترثين في حز الغلاصم
فتبعوهم فالاراقم
لم تلد الا الاراقم (١)

هذه هي الطريقة التي اتبعها الكتّاب والشعراء في العهد العثماني معبرين عن احساسهم ومشاعرهم واغراضهم متوخين فيها التأثير في نفس القارىء ، باساليب عبروا بها عما يحدث في مجتمعهم بكلمات اختاروها وفق بيئتهم التي عاشوا فيها .

٢ - الصحف في عهد الاحتلال البريطاني :- امتازت الصحف في هذه الفترة بميزات تختلف عما كانت عليه الصحف في العهد التركي . اذ تضافرت عوامل كثيرة على النهوض بالمقالة الصحفية والقصيدة الشعرية . منها : انتشار التعليم في العراق وكثرة عدد المثقفين كما أن القوات المحتلة استمالت خيرة الكتاب العراقيين والشعراء المعروفين الى التحرير في الجرائد والمجلات التي انشأتها واغرت هؤلاء الكتاب والشعراء بان هذه الجرائد والمجلات تبغي بث الفكرة القومية ، وخدمة اللغة العربية ، وتثقيف الشعب . وكانت نتيجة هذا ان برزت الصحف والمجلات متشحة باساليب تمتاز بافكار مبسطة والفاظ سهلة . كما انها امتازت بمعالجة الموضوعات الجديدة التي تفتحت للكتاب والشعراء على نطاق واسع ، كالتحدث عن العلاقات السياسية التي كانت بين العرب والاتراك ، والعلاقة بين الانكليز والعرب ، وما يرومه العراقيون في المستقبل ، ومناقشة هذه الامور جميعا . كما وجدنا ان الكتاب والشعراء اتجهوا الى ابواب اجتماعية تفتحت لهم فاكثروا من ذكرها . والمتصفح لجرائد هذا

---

(١) جريدة الرقيب العدد - ١٣٣ - السنة الاولى عام ١٩٠٩م

العهد ومجلاته يجدها اتجهت بلغتها واسلوبها وجهة ادبية طابعها التعبير الواضح واختيار الالفاظ السهلة مع الاهتمام بالمعاني وجودة العبارة والنحو • كما ان المقال اتجه على العموم الى الاسلوب الموضوعي الواقعي • ولكان تتبين هذا في المقتطفات التي نوردها من صحافة ذلك العهد • جاء في جريدة العرب مقال تحت عنوان ـ انكلترا محررة العرب ـ: (•• رأت بريطانيا ان تحارب الاتراك في العراق فصرحت سرا وجهرا ••• انها لا تحارب العرب ••• انما تحارب الاتراك ••• اصدقاء الالمان)[١] ويدرك القاريء ان هذه المقالة واضحة كل الوضوح • وهناك موضوع اخر كتبت عنه جريدة العراق يكاد يكون بابا جديدا تطرق اليه الكتاب مرات عديدة الا وهو موضوع العلم والدعوة الى الانتهال من فيضه • جاء في جريدة العراق تحت عنوان ـ لا حياة للشرقيين الا بالعلم ـ :ـ (••• كلما اقترب الكاتب من مواطن الاخلاص في الفكر والصدق في القول اخترقت سهام قلمه كبد الحقائق، وكلما مال به التطرف، وساقه الغرض الى الطرق المعوجة والمسالك الوعرة ، طاش سهمه واخفق في مسعاه •••)[٢] • اظن القاريء يشعر أن هذا اسلوب جديد اتجه الى الواقعية والموضوعية اضافة الى انه أبتعد عن التعقيد في كتابته بحيث يستطيع ان يفهم قصده العام والخاص•ثم انظر الى الجريدة نفسها تطرق الى (الواجبات الاجتماعية) فتقول : (••• لا شك ان التعاون هو من أهم الواجبات الاجتماعية واجلها • وهو من أكبر دواعي التقدم ومن اجل صفات البشر واقدسها •• ان الواجب يدعو كل فرد ان يشترك بالالم الذي يصيب افراد امته ويتوجع لوجعهم وذلك يمليه الضمير الطاهر ، والوجدان الشريف •••)[٣] وهذه مجلة دار السلام تحدثنا عن (اركان الدولة) فتقول : (اركان

(١) جريدة العرب العدد الاول عام ١٩١٧م
(٢) جريدة العراق العدد الاول عام ١٩٢٠م
(٣) جريدة العراق العدد التاسع عام ١٩٢٠م

الدولة اربعة : الدين ، والعدل ، والمشورة ، والمال • ولا تقوم مملكة يعبث أولياؤها بأحد هذه الاركان ، أو يرين على قلوبهم ما كانوا يكسبون من هوى او جهل او حمق فيعدلون عن منهج الصواب وعن التمسك بعراه الوثقى واحترام سننه الكبرى •••)[1] • فالقاريء يلاحظ أن هذه المقالة قطعة ادبية امتازت بعلو الاسلوب وتسلسل الفكرة وحسن الاداء بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من الناس على اختلاف أذواقهم وثقافاتهم • أما القصيدة الشعرية : فقد كانت تحتل المكان الفسيح في جرائد هذه الفقرة ومجلاتها • وبدت القصيدة وكأنها مقال منظوم له هدف يسعى الى تحقيقه، وبذا تحولت القصيدة عن غرضها القديم من مخاطبة الامير ، والسلطان ، وذوي المال الى غرض جديد هو مخاطبة الجماهير بالفاظ شعرية ادنى الى السهولة• والملاحظ ان اكثر الشعراء اولوا عنايتهم بالمعنى الواضح واللفظ السهل • وهذه أمثلة نسوقها شاهدة على ما نقول • قال معروف الرصافي من قصيدة عنوانها ـ تهذيب الفتاة ـ :ـ

هي الاخلاق تنبت كالنبات
اذا سقيت بماء المكرمات
واخلاق الوليد تقاس حسنا
باخلاق النساء الوالدات
وليس النبت ينبت في الرياض
كمثل النبت ينبت في الفلاة
ولم ار للخلائق من محل
يهذبهم كصدر الامهات

---

(١) مجلة دار السلام العدد ـ ١٤ ـ عام ١٩١٨م

فيا صدر الفتاة رحبت صـــدرا

فانت مقـر أسنى العاطفـات[1]

ثم استمع الى جريدة (الاوقات البصرية) تحث القوم على النهوض حيث تقول :ـ

يـــا قوم هبّـــوا للعلـــو

م فنفعهـــا لا يحصــــر

واســـــتيقظوا من رقـــدة

مــــن رام عزّا يســـهر

قــــد كنتم الشعب الـذي

قحطـــان فيكم يفخـــــر[2]

وهذا (ابن الاريحية) في قصيـــدة له بعنوان ـ الا ايها العرب الكرام ـ :ـ

الا ايهـــا العرب الكـــرام

الى كم ذا التغافل والمنـــــام

افيقوا وانهضوا للمجد جمعـــا

فما يجـديكم الا القيـــام

* * *

اناموا العرب فيها واســـتهانوا

ولم يعرف لهم فيهـــا ذمام[3]

---

(١) جريدة العراق العدد ـ ٩٤ ـ عام ١٩٢٠م

(٢) جريدة الاوقات البصرية العدد ٣٠ السنة الثالثة عام ١٩١٧م

(٣) جريدة العرب العدد ـ ٣١ ـ عام ١٩١٧م

ارأيت كيف اتجهت القصيدة الشعرية بالفـــاظها واساليبها الى البساطة ، حتى كأنك تقرأ نثرا مقفى منسقا ومنظما تتجلى فيه وحـدة الموضوع • وقد لوحظ فضلا عن ذلك ان قســما من الشعراء اتجه في شعره الى القصص الشعري فلنستمع الى (ابن ماء السماء) في قصيدتـه ـ ام الطفل في معترك السلب والحريق في بغداد ـ حيث يقول :ـ

لاحت لي امرأة في السوق ماشية
ودمعها فوق صحن الخد هطـال

تقود طفـــلا صغيرا وهي صارخة
رحماك رباه قد ضاقت بي الحال

وقد غدوت عن الدنيا مجـــردة
لا والد لي ولا عمٌ ولا خـــال

ولا شقيقٌ ولا زوجٌ ولا صلـةٌ
ترجى ولا لي بها دار ولا مـــال

بل كان لي ولطفلي ها هنا ســكن
من بعض اجرته للقوت نكتـــال

شبّ الحريق به والناس قد نهبوا
انقاضه فهو هذا اليوم اطـــلال

رحماك يا رب اني لست قـــادرة
على المعيشة ربي كيف احتـــال

* * *

وقـد دنوت قليلا نحوهـــا ولهـا
حنيت رأسي وحني الرأس اجلال

وقلت يا هذه لا تيأسـي ابـدا
فشيمة الدهر ادبار واقبـال [1]

وهذا القصص الشعري اكثر ما تردد في شـعر الرصافي وجميل صدقي الزهاوي . من هذا تظهر لنا النعمة التي اسدتها الصحافـة على الادب العراقي والفكر العراقي اذ نقلته من التقليـد الى التجديد ومن الالفاظ المغلقة الى الالفاظ السهلة ومن الاتباع الى الابداع .

٣ ـ الصحف في العهد الملكي :ـ ما ان اعلن الحكم الاهلي وانتخاب فيصـل ملكاً على العراق عـام ١٩٢١م حتى تهـافت الكتاب العراقيون على اصدار الجرائد والمجلات لبناء كيان الدولة الجديدة . وقد سـار معظم كتاب الصحافة الى توجيه الرأي العام العراقي وايقاظه ودعوته الى العمل والجد والمثابرة للنهوض بهذه المملكة الفتية . لذا كانت المقالة الصحفيـة فكرة من الفكر يقتنصها الكاتب من الحوادث اليومية فيتأثر لهـا ثم يعبر عنها ليقدمها لقرائه متحدثا عن امور تتصل اتصالا وثيقا بحياة المجتمع في هذه الفترة . كما ان كتاب الصحافة عنوا باللفظ السلس ، والاسـلوب السهل لانهم ارادوا توعية الجماهير وتوجيهها نحو هدف يطمحون اليـه كالاستقلال ، والحرية ، والعمل . فخاطبوا العامي كما خاطبوا المثقف. لذا سادت كتاباتهم السلاسة في العبارة ، وعذوبة الحديث، ووضوح الفكرة لكي يؤدي المقال واجبه . واليك مقتطفات من نثر هذه الفترة . جاء في جريدة ـ لسان العرب ـ :ـ (عدنا بعد غياب طويل الى هذا الوطن الذي خدمناه بكل قوانا وعملنا على اعلاء شأنه بما في طاقتنا ووسعنا ... وقـد جرأنا على مزاولة العمل في ديارنا هذه ما رأيناه فيهـا من آثار الوطنية الصحيحة والسير السريع نحو المعالي والمفاخر والعمل على احياء مجد

---

(١) جريدة العرب العدد ـ٣٣ـ عام ١٩١٧م .

دارس ...)[1] . ثم انظر الى مجلة الناشئة تحدثنا عن (الكاتب العربي) فتقول :- (في العالم العربي اليوم كاتبان الواحد يكتب ليفيد والثاني يكتب ليعيش ومن نكد الدنيا ان يموت الاول ويعيش الثاني . الكاتب العربي الذي يريد ان يعيش من قلمه يجب ان يكون تاجرا لا مصلحا يجب ان يرضي الناس لا ان يقوّم اعوجاجهم واذا لم يكن كذلك مات شرميتة.. ارني الذين يعجب بهم الرأي العام ويقبل على آثارهم لاريك انهم تجار لا كتاب وبعد ذلك أريك انا من هم الكتبة الحقيقيون وحينئذ ترى انهم أموات لانهم لم يقدروا أن يعيشوا)[2] . وهكذا سارت المقالة على هذا المنوال بما يحتمه الواجب القومي . اما القصيدة الشعرية في هذه الفترة: فقد ظلت محافظة على طابعها السابق في عهد الاحتلال من حيث اللغة والاسلوب . والذي تغير في ملامحها اننا صرنا نسمع نغمات الحرية ، والوطنية ، والاستقلال ، والشعب ، الى غيرها من الالفاظ التي تنبه اليها الشعراء اضافة الى النواحي الاجتماعية الاخرى من سفور وحجاب وفقر ومرض . أي ان موضوعات القصيدة يقتنصها الشاعر من مناسبات مختلفة ليتخذ من قصيدته عنوانا للتعبير أو لمناقشة ظاهرة من مظاهر المجتمع الكثيرة . وخلاصة القول : أن الادب العراقي مدين بأسلوبه ، ولغته للصحافة العراقية التي مهدت له سبيل التطور ، والازدهار ، ونقله من طور التقليد والتعقيد الى طور التجديد والانفتاح ، وتلك نعمة اغدقتها الصحافة على الادب من حيث نموه وازدهاره .

---

(١) جريدة لسان العرب العدد الاول في ٢٣ حزيران عام ١٩٢١م
(٢) مجلة الناشئة العدد الثاني عام ١٩٢١م

(الخاتمـة)

هذه خلاصة ما استطعت ان ابحثه في هـذا الموضوع الحيوي الذي ما زال في حاجة الى عناية اكبر ، ورعاية اكثر من قبل الباحثين العراقيين . وقد كشفت فيه جوانب خفيت عن الانظار ، وهي ان الصحافة العراقيـة صانعة الادب ، واستقصيت في دراستي هذه المراحل التي مرت بهاصحافتنا بمختلف ادوارها بما تيسر لي ، وبما استطعت ان اكتشفه . غير ان بحثي هذا ما هو الا بدايـــة الطريق ، فعسى ان يتولاه الباحثون بالـــدرس ، والاستقصاء لكل فترة صحفية لا بل تتبع كل جريدة ، واشباعها درسا ، وتمحيصا ، لنحيي هذا التراث الذي ظل مهملا سنين طويلـــة . وبذلك يؤدي الباحثون للصحافة العراقية ، ولتاريخ العراق خـــدمة هي اعز ما يرجوها عراقنا الحديث . ولا بد لي ان اسـجل ما انتهت اليه دراستي هذه من نتائج :ـ

١ ـ بدأت صحافتنا في اول امرها بداية مولود جديد اعتراه الوهن، والضعف في كل ناحية من نواحيه ، شأنها شأن كل جـــديد يبدأ ساذجا بسيطا حتى ينمو ويتكامل . وهذا ما حدث لصحـــافتنا في اواخر فترة البحث حين نمت وازدهرت ، وليس من المبـــالغة في شيء ان نقول ان الصحافة العراقية قديما كانت هي الرائد والقـــائد للرأي العام ، وقد لا اكون مغاليا اذا ما قلت ان المقالة او القصيدة في صحافتنا القديمة كان ، على الاكثر ، رائدها الحق ، وديدنها الصدق ، لا تركع لحاكم مستبد ، ولا تستخذي لمال او جاه وذلك باستثناء صحافة الاحتلال ، ولنا من جريدة الرقيب ، ومجلة اللسان ، ومجلة لغة العرب وغيرهـــا امثلة واضحة على ذلك .

٢ ـ ان الصحافة خلال فترة البحث شاركت مشـــاركة فعالة في تطوير الادب العراقي الحديث ، اذ هجرت الاساليب القديمة التي اصبحت لا تتفق ومطالب العصر الحديث ، والتعبير فنه ، فشاعت الالفاظ السهلة والاساليب المبسطة لان الصحافة ارادت ان تخاطب عامة الناس كما تخاطب الخواص •

٣ ـ ان اكثر المقالات يعوزها التنظيم الصحفي من مقدمة ،وعرض، وخاتمة • فقد كانت المقالة اشبه بحديث عام يستحوذ عليـــه ، في اعلب الاحيان ، الاستطراد والاطناب •

٤ ـ الظاهرة الملاحظة على صحافة العراق في هذه الفترة اهتمامها بالشعر وذلك يعود الى طبيعة الشعب العراقي الذي هو اقرب الى الطبيعة البدوية ، وما زالت هذه الحالة تستهويه الى يومنا هذا ، لذلك عندما تقرأ أية مقالة تراها متشحة بالشعر أما من نظم الكاتب ، أو من نظم غـيره • وهكذا وجدنا الشعراء هم رواد الصحافة العراقية ، واما كتّاب المقـــال فانهم يأتون بعد ذلك • وهذا بخلاف ما حدث للصحافة المصرية في نفس هذه الفترة التاريخية من ان رواد هذه الصحافة كانوا هم الكتّاب ، امـا الشعراء فانهم يأتون بعد ذلك •

٥ ـ الظاهرة التي تسترعي الانتباه أن صحفي العراق عاشـوا فترة اضطهاد وسجن وتعذيب ، ففي العهد العثماني عومل الصحفيون المعارضون من ذوي النزعة القومية بقسوة بالغة ، فنفوا الكاتب (داود صليوا) صاحب جريدة صدى بابل ، و (الاب انستاس ماري الكرملي) صاحب مجلـة لغة العرب ، و (ابراهيم صالح شكر) صاحب مجلة الرياحين ، وطاردوا البقية الباقية • لكن هؤلاء الكتّاب جميعا بقوا على عقيدتهم رغم الاضطهاد والابعاد ، كما فعلت السلطات المحتلة مثل هـــذا لتقضي على كل معارضة تقف في وجهها •

٦ ـ استطاعت الصحافة العراقية ان تغطي ميدانين فقط من الميادين العراقية هما الميدان السياسي ، والميدان الاجتماعي . واما الميدانان الادبي والفني فلم نجد للصحافة العراقية فيهما بلاء يستحق الذكر .

٧ ـ ان اكثر كتاب الصحافة لم يتفرغوا لكتاباتهم لانهم كانوا المالكين لها ، والمصححين لموادها ، والمصنفين لاقلامها ، وكانوا الموزعين في اكثر الاحيان ، لذا كانت كتاباتهم مشحونة بالاخطاء النحوية والاملائية وغيرها .

٨ ـ ان الصحافة العراقية الشعبية ، في مختلف ادوارها ، قامت على اكتاف الفرد ، فقد كان بأمكان اي فرد يملك ثمن الورق ، والطبع ان يصدر جريدة مما جعل هذه الصحف قصيرة العمر في اغلب الاحيان .

٩ ـ اهملت السلطات الحاكمة الصحافة ، وكتابها في مختلف الادوار ، وفوق ذلك جرّدت سيفها الرهيب (قانون المطبوعات) على رقابها ، ورقاب كتابها فكان هذا اعظم بلية على الصحافة العراقية .

١٠ ـ واخيرا ان الادب العراقي مدين باسلوبه ، ولغته للصحافة العراقية التي مهدت له سبيل التطور ، والازدهار ، ونقله من طور التقليد ، والتعقيد ، الى طور التجديد والانفتاح . وتلك نعمة اغدقتها الصحافة على الادب من حيث اسلوبه ، وموضوعاته وغير ذلك .

وبعـــد :ـ

فأرجو ان اكون قد وفيت الموضوع حقه او بعض حقه من البحث والدراسة والله الموفق للصواب ؟

المصادر

ابراهيم الوائلي	الشعر السياسى العراقي	بغداد ١٩٦١
أبو الثناء الآلوسى	غرائب الاغتراب	بغداد ١٣٢٧هـ
أمين الريحاني	قلب العراق	بيروت ١٩٢٣
أمين الريحاني	ملوك العرب الطبعة الثانية ج٢	بيروت ١٩٢٩
أنستاس ماري الكرملي	خلاصة تاريخ العراق	بصرة ١٩١٩
أنيس فريحة	أسماء المدن والقرى	بيروت ١٩٥٦
جعفر محبوبة	ماضي النجف وحاضرها ج١	صيدا ١٣٥٣هـ
جميل صدقي الزهاوي	ديوان الزهاوي	مصر ١٩٢٤
جميل صدقي الزهاوي	اللبـــاب	بغداد ١٩٢٨
جميل صدقي الزهاوي	الاوشـــال	بغداد ١٩٣٤
خليل صابات	تاريخ الطباعة في الشرق العربي	مصر ١٩٥٨
خيري الدين نعمان الالوسى	الاصابة في منع النساء من الكتابة	بغداد ١٨٩٧
داود سلوم	تطور الفكـرة والاسلوب في الادب العراقي	بغداد ١٩٥٩
رفائيل بطي	الصحافة في العراق (معهد الدراسات العربية)	القاهرة ١٩٥٥
رفائيل بطي	الادب العصري في العراق العربي ج١ ، ج٢	مصر ١٩٢٣
سليمان فيضى	في غمرة النضال	بغداد ١٩٥٢
سليمان البستاني	عبرة وذكرى	مصر ١٩٠٨
صبيبة الشيخ داود	أول الطريق	بغداد ١٩٥٨
عباس العزاوي	العراق بين احتلالين ج٨	بغداد ١٩٥٦
عبدالله الفياض	الثورة العراقية الكبرى	بغداد ١٩٦٣
عبدالله حسين	الصحافة والصحف ـ الطبعـة الاولى	مطبعة النصر ١٩٤٨

عبدالله الجبوري	نقد وتعريف	بغداد ١٩٦٢
عبدالله الجبوري	من شعرائنا المنسيين	بغداد ١٩٦٦
عبدالكريم الدجيلي	محاضرات عن الشعر العراقي الحديث	القاهرة ١٩٥٩
عبدالقادر حسن أمين	القصص في الادب العراقي الحديث	بغداد ١٩٥٦
علي الوردي	طبيعة المجتمع العراقي	بغداد ١٩٦٥
عبداللطيف حمزة	مستقبل الصحافة ج١ (الطبعة الاولى)	القاهرة ١٩٦١
عبداللطيف حمزة	الصحافة والمجتمع (الناشر دار العلم)	القاهرة ١٩٦٣
عبدالرزاق الحسني	الثورة العراقية الكبرى	صيدا ١٩٥٢
عبدالرزاق الحسني	تاريخ الصحافة العراقية ج١	النجف ١٩٣٥
عبدالرزاق الهلالي	تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني	بغداد ١٩٥٩
فائق بطي	أبـــي	بغداد ١٩٥٦
فليب ايرلاند	العراق ، دراسة في تطوره السياسى (ترجمة جعفر خياط)	بيروت ١٩٤٩
فيليب دي طرازي	تاريخ الصحافة العربية ج٢ ، ج٤	بيروت ١٩١٣ ، ١٩٣٣
فهمي المدرس	مقالات ج١ ، ج٢	بغداد ١٩٣١
كوركيس عواد	أنستاس ماري الكرملي ، حياته ومؤلفاته	بغداد ١٩٦٦
لونكريك	اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط)	بغداد ١٩٥٤
محمد أمين العمري	تاريخ حرب العراق ج١	بغداد ١٩٣٥
محمد جميل بيهم	المرأة في حضارة العرب	بيروت ١٩٦٢

محمد طاهر العمري	تاريخ مقدرات العراق السياسية ج٣	بغداد ١٩٢٥
محمد مهدي البصير	القضية العراقية ج١ ، ج٢	بغداد ١٩٢٤
محمد مهدي البصير	نهضة العراق الادبيـة في القرن التاسع عشر	بغداد ١٩٤٦
محمد مهدي البصير	البركـــان	بغداد ١٩٥٧
مصطفى السقا	شرح وتصحيح ديوان الرصافي (الطبعة الرابعة) دار الفكر العربي	القاهرة ١٩٥٣
معمر خالد الشابندر ، هاشم الوتري	تاريخ الطب في العراق	بغداد ١٩٣٩
ناصر الحاني	الادب العربي	بغداد ١٩٤٤
ناصر الحاني	محاضرات عن جميـل صـدقي الزهاوي (معهد الدراسات العليا)	القاهرة ١٩٥٤
ياسين العمري	غرائب الاثر (نشـر الدكتور محمد صديق الجليلي)	موصل ١٩٤٠
يوسف عزالدين	الشـعر العـراقي : أهدافـه وخصائه في القرن التاسـع عشر	بغداد ١٩٦٥
يوسف عزالدين	الشعر العراقي الحديث	بغداد ١٩٦٠
يوسف عزالدين	خيري الهنداوي : حياته وشعره	القاهرة ١٩٦٥

الجرائد

الزوراء	١٨٦٩_١٩١٧
الرقيب	١٩٠٩_١٩١١
صدى بابل	١٩٠٩_١٩١٤
صدى الاسلام	١٩١٥
الاوقات البصرية	١٩١٥_١٩٢١
العرب	١٩١٧_١٩٢٠
العراق	١٩٢٠_١٩٤٦
لسان العرب	١٩٢١
الناشئة	١٩٢٢
الامل	١٩٢٣
الناشئة الجديدة	١٩٢٣
الاستقلال	١٩٢٣
النهضة العراقية	١٩٢٨_١٩٢٩
البلاد	١٩٢٩
الزمان	١٩٣٠
الاخاء الوطني	١٩٣١
الاخبار البغدادية	١٩٣١
الايام البغدادية	١٩٦٢

المجلات

العلوم	١٩١٠
العلم	١٩١٠_١٩١١
تنوير الافكار	١٩١٠
لغة العرب	١٩١١_١٩٣١
الحياة	١٩١٢
سبيل الرشاد	١٩١٢_١٩١٣
المقتطف القاهرية	١٩١٣
الغرائب	١٩١٣
الرصافة	١٩١٣
مقتبسات	١٩١٤
النور	١٩١٤
دار السلام	١٩١٨_١٩٢١
النادي العلمي	١٩١٩
اللسان	١٩١٩
الناشئة	١٩٢١
اليقين	١٩٢٢
الزنبقة	١٩٢٢
الحرية	١٩٢٤_١٩٢٥
النجم	١٩٣٤
المؤرخ	١٩٣٩
الهلال القاهرية ـ سلسلة الكتاب الذهبي	١٩٤٢
منبر الاثير	١٩٤٥
الاقلام	١٩٦٤
بغداد	١٩٦٥

الفهرست

الصفحة

التقديم ٤
المقدمة ٧
الفصل الاول :
الحالة السياسية ١٠
الحالة الاجتماعية ٢٧
الحالة الثقافية ٣٥
الفصل الثاني :
الصحافة ، نشأتها وتطورها ٤٦
الفصل الثالث :
أهم الصحف (١٨٦٩ - ١٩٢١) ٧٤
الفصل الرابع :
أهم المجلات ١٤٢
الفصل الخامس :
أهم كتاب الصحافة ١٨٢
الفصل السادس :
الصحافة والادب ٢٢٠
الفصل السابع :
تطور الاساليب الصحفية ٢٨٨
الخاتمة ٣٠٤

٣٣/١٠٠٠/١٩٦٩

JOURNALISM IN IRAQ

POLITICAL, SOCIAL AND
CULTURAL TRENDS
1839 — 1921

BY

MUNIR BAKIR AL-TIKRITI